

کتاب

الطریقۃ فی

تألیف

حضرة الاستاذ الفاضل الشیخ

الحمدی

(ناظر مدرسة القبة الحادیة)

كتاب

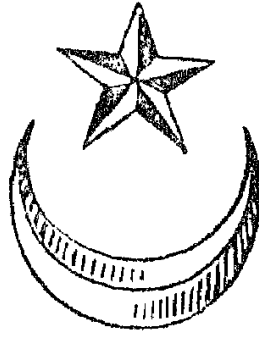
الطبيب المستنير

تأليف

عضرة الاستاذ الفاضل الشيخ

الاجل

(ناظر مدرسة القبة الحديوية)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد
واياك نستعين اهـدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم
غير المغضوب عليهم ولا الضالين

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الأُمي الذي
أرسله الله بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا لينذر
قوما ما أناهم من نذير من قبله لعالمهم يهتدون وأنزل معه كتابا
فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون

(يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات
الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) فالذين آمنوا به
وعزروه ونصره واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون
به اهتدى الخلق الى طريق سعادتهم الدنيوية والأخروية اذ تدبروا
آياته واتعظوا بعظاته واعتبروا بعبثهم وعملوا بخبره فوضحت لهم
بذلك طرق السعادة فسلكوها وتوصلوا الى نعيم الحياة فتمتعوا به
وارتفعوا الى أوج من الحمد لم ينله غيرهم ولم يسم اليه سواهم

سورة	آية
	لذلك قد أعظم الله به المنه وضاعف به النعمة حيث يقول (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) قد جعل جل شأنه للإيمان به علامة تدل عليه وأما ترشد إليه فقال جل ثناؤه (إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا وسجوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون) كما جعل جل شأنه للكفر به والاعراض عنه بين الدلالة وصريح المقالة فقال (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولَّوْا على أدبارهم نفورا) لاجرم أن كان قائدا للخير وداعيا للرجح ومستتبعا للمزيد من النعمة وهدي وشفاء لمن آمن به ونقمة وشفاء لمن كذب به وصدف عنه (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عى) وعلى آله البرره وأصحابه الخيرة الذين نهض بهم القرآن الى حد لم يطمع في تناوله غيرهم ولم يصل اليه سواههم إذ جعلوه رائدهم والعمل به قائدهم فمدّوخوا الممالك وفتحوا الفتوحات ونشروا الدين واللغة والمدنية وبسطوا نور العلم والتهديب والتربية ﴿وبعد﴾ فلما نيطبى النظر في إدارة شؤون مدرسة القبة الخديوية سنة ١٣١١ هجرية من قبل الداورى الاكرم والمليك الاجل الأفخم ولى نعمتنا وحامى حوزتنا سمو خديو مصر المعظم أفندينا (عباس حلمى باشا الثانى) أدام الله دولته وأعلى كلمته وأيد شوكرته وقت بتدريس بعض العلوم الدينية بتلك المدرسة السنية وكان من تلك العلوم علم تفسير القرآن الجليل غير أن قصر الزمن وقصور

قوى الطلبة العقلية حالادون قراءته حسب ترتيب التنزيل أعلت
 الفكرة فيما يستجمع فكر التلامذة بجمع آيات كريمات من القرآن
 تشمل على ماتهم معرفته مما يتعلق بالاعتقادات والعبادات
 والآداب ومكارم الاخلاق فاستعنت الله تعالى في انفاذ هذه الفكرة
 وهو خير معين ووضعت هذه الآيات الكريمت في هذه الاغراض
 المختلفة والمقاصد المتباينة وعوّث على شرحها بعد الوضع شرحا
 لا يصعب على متناوله ولا يستعسى على طالبه وقد وقع الاختيار
 بعد الاختبار على تقسيمها الى ثلاثة أقسام (الاول) في الآيات
 التي ترشد الخلق الى معرفة الله تعالى باعتقاد وجوده وانصافه بصفات
 الكمال وتنزهه عن صفات النقصان والى معرفة رساله الكرام
 عليهم الصلاة والسلام وماجاؤا به من عند الله تعالى (الثاني) في
 الآيات المتعلقة بالعبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج مع بيان
 ما اشتملت عليه هذه العبادات من الاسرار والحكم والفوائد والمنافع
 (الثالث) في الآيات المتعلقة بالآداب الفاضله والصفات الكامله
 وبعد أن نسقتها على هذا النسق الرائق ووضعتها على هذا الوضع
 الفائق عرضتها على سمو الامير علما منى بأن مثل هذا العمل يشرح
 صدر سموه ويسر خاطره الكريم فسر « حفظه الله » بما رأى
 وصدر نطقه الكريم بما جبل عليه طبعه السليم من النفع للعامة
 والخاصة أن أشرح هذه الآيات الكريمت شرحا وافيا حتى لا يحرم
 الكبير فائدة ثم أختصر ذلك الشرح بما يمكن للصغير تناوله ويسهل عليه
 تحصيله ويطبع على نفقة سموه الخاصه ليدرس في مدارس سموه حبا
 من جنابه الرفيع في تعميم النفع للعامة والخاصة وهذا أوان الشروع
 في المقصود وعلى الله أنكل وعلى جنابه الرفيع أعول وإني أسأله تعالى
 كما وفق لعمله أن يوفق للانتفاع به إنه ولي الرشد والسداد وعليه المعول
 في المبدأ والمعاد

اللَّهُ

ابراهيم

٣٢

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ
لَكُمْ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْآنْهَارَ
وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ
وَالنَّهَارَ^{٣٣} وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعِدُّوا نِعْمَةً
اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ

الروم

٤٨

اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُبْرِسُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي
السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ
مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ^{٤٩} وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ
قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ^{٥٠} فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ

النحل

٧٨

وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ

سورة	آية	
غافر	٦٧	شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ^{٦٧} هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ
الفرقان	٥٣	وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مُّحْجُوراً^{٥٣} وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا
المجادله	٦	ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ^٦ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِنْ طِينٍ^٨ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ^٩ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ
غافر	٦٢	ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنِّي تُؤْفِكُونَ

الدين الاسلامي

هو ذلك الدين الذي بعث الله به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم للناس لينقذهم به من الضلالة ويبعدهم عن الغواية ويرشدهم الى اعتقاد العقائد الصحيحة الحققة ويهديهم الى ما فيه صلاح حالهم وسعادة ما آلهم وتقويم أخلاقهم وتهذيب نفوسهم بمصادق قوله تعالى (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق)

ولما فيه من هذا الخير الجسيم والفضل العظيم قد امتن الله به على المؤمنين حيث يقول (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)

ولما كان ذلك الدين هو المتكفل بمصالح الخلق وسعادتهم الدنيوية والأخروية دون غيره كان هو الدين المرضي عند الله تعالى وما عداه فليس عنده في شيء من الدين قال الله تعالى (إن الدين عند الله الاسلام) أي إن الدين المرضي عند الله هو دين الاسلام لا غيره

ولقد شدد «جل شأنه» التنكير على من طلب دينا غيره ونادى عليه بالويل والخسران حيث قال (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) وقال تعالى (أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها واليه ترجعون) أي كيف يطلبون غير دين الله وهو الاسلام (وله أسلم) أي انقاد (من في السموات والأرض) من أهل الإدراك والتعقل فمنهم من كان انقياده (طوعا) وهو من أعده بأصل الفطرة لإدراك الأدلة وحسن النظر فيها فانساق اليها بدون شيء ومنهم من انقاد (كرها) بالرغم عنه وهو من تقهره الأدلة على الاعتراف وإن كان يجد من نفسه مقاومة فيه أي

لا يصح لهم أن يطلبوا ديناً غير دين من هذه حالة أهل السموات
والارض معه وقد حث الله « جل شأنه » على اقامته والعمل بما فيه
والاستمسك بعروته التي لا انفصام لها ووصى رسوله بذلك ولما في
اقامته من الخير والنجاح والسعادة والفلاح قال الله تعالى (شرع لكم
من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصىنا به إبراهيم
وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) أى شرع لكم من
الدين ما وصى به هؤلاء الرسل الكرام وهم أولو العزم من الرسل والدين
الذى جاء به الرسل كلهم هو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له كما قال
تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا
فاعبدون) وفي الحديث « نحن معشر الانبياء أولاد علات ديننا واحد »
أى القدر المشترك بينهم واحد وهو عبادة الله تعالى وحده لا شريك
له وان اختلفت شرائعهم ومناهجهم المتعلقة بمصالح الأمم فان هذه
تختلف باختلاف الازمنة والامكنة كما قال تعالى (لعل جعلنا منكم
شريعة ومنهاجا)

وكما حث الله سبحانه على اقامة هذا الدين والتمسك به والعمل بمقتضاه
ونهى عن التفرق فيه كذلك بالغ في الانكار على من عمل بخلافه وسعى
في تفرقه واجتهد في عدم اقامته حتى جعل نبيه صلى الله عليه وسلم
بريئاً منه وكان عقابه في الآخرة أشد وأسى حيث يقول (ان الذين
فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ انما أمرهم الى الله ثم
ينبئهم بما كانوا يفعلون)

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم
ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب
ابن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس

سورة	آية	ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان أرسله الله تعالى بهذا الدين القويم والصرط المستقيم لينذر قوما ما أنذر آبائهم فهم غافلون فتلا عليهم آياته وعلّمهم على أن يصيروا به أزياء طاهرين من خبائث العقائد والاعمال وعلّمهم الكتاب والحكمة ليصيبوا في القول والعمل ويضعوا كل شيء موضعه كما أخبر الله تعالى بذلك حيث قال (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة وقد مدح الله الفريق الأول وبالع في الثناء عليه وضرب به الامثال في الامم الدائرة والكتب القديمة المنزلة على رساله الكرام فقال (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رخاء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعهد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) كما ذم الفريق الثاني حيث قال (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية) وقال (ان الذين كفروا وصعدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى ان يضربوا الله شيا وسيحبط أعمالهم) الى غير ذلك من الآيات الواردة في ذمهم وسوء عاقبتهم وناهايك بما خص الله به نبيه صلى الله عليه وسلم من الفضل والكرامة حيث وصفه بما لم يصف به نبي قط من الرأفة والرحمة اللتين هما أخص صفاته تعالى فقال (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) ولما أفاض الله سبحانه وتعالى عليه صلى الله عليه وسلم من الاخلاق

أجلها ومن الصفات أكملها حتى تكمل وتكمل خاطبه بقوله (ولأنك
لعل خلق عظيم) وقد جعل الله تعالى لكل عناية به صلى الله عليه
وسلم اتباعه في كل ما جاء به من عنده تعالى دليلا على محبته
تعالى فقال (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وقرن
محبته بمحبته في قوله (قل ان كان آباؤكم وأبنائكم وأخوانكم
وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها
ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا
حتى يأتى الله بأمره) فانتظر كيف فضل الله محبته صلى الله عليه
وسلم على الآباء والأبناء والأخوان والأزواج والأقارب والأموال والتجارة
والمساكن وبين أن من كانت محبته لهذه الأشياء أكثر من محبته له صلى
الله عليه وسلم كان جزاؤه النكال الشديد والعقاب الاليم

فهو صلى الله عليه وسلم أحب الناس الى الله وأقربهم منزلة لديه ولذا
خصه بما لم يخص به أحدا من العالمين فن ذلك مأمونه من المنة
الكبرى والمنة العظمى (وهى القرآن الكريم) الذى جمع من علوم
الاولئل والاواخر مالا يمكن الاتيان على أطرافه ولا الاطاطة باوصافه

الْقُرْآنُ

هو كلام الله تعالى المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وقد
اشتمل على ما لم يشتمل عليه كتاب منزل فضلا عن كتاب موضوع فقد
اشتمل على مواعظ وآداب وأخلاق وأحكام وأمثال وترغيب وترهيب
ومدح الاخيار وذم الفجار وتحذير من قبائح السجيا ومواقع الدنيا
وتدبير السياسات ومراعاة الاوداء ومدافعة الأعداء وتبكيك الطغام
واقامة الحجية على الخصوم واقامة الدلائل على وجود الله تعالى وتوحيده
وعلى الحشر والنشر ودفع الشبهة وازالة الريب ووصف دار النعيم

وأحوال سكانها ودار الجحيم وأهوالها ووصف عالم السموات وما في العالم العلوى من الآيات من كواكب وأمطار وسحاب وبروق ورعود وعجائب ووصف الأرض وجبالها وسهولها وبحارها ونباتاتها وأشجارها وما اشتملت عليه من نباتات وحيوانات ومعادن وأزهار وأثمار وأشجار وأطياف وظلمات وأنوار حتى يصح أن يقال انه لم يبق علما من علوم الاوائل والاواخر إلا صرح به أو أشار اليه على أساليب متنوعة وطرائق مبتدعة لم يقع فيه تناقض ولم يتخلله تضارب خاليا عن جميع العيوب خارجا بحسن نظمه عن مشابهة كل أسلوب الى غير ذلك من الصفات التي لا يحدها حد ولا يحيط بها أحد

ولاشتماله على تلك الصفات التي لا يمكن لأحد من البشر أن يأتي بمثلها ولو كان من أجلا العلماء وأكبر السياسيين وأعظم المقتنين نادى الله سبحانه وتعالى على إعجازه فقال (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) ولقد تقولوا فيه الاقاويل الكاذبة ووسموه بما لا ينطبق على عقل فقالوا أساطير الاولين اكتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا فرد الله تعالى عليهم بقوله (قل أنزل الذي يعلم السر في السموات والأرض) وقوله (ننزيل من رب العالمين) ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين وإنه لتذكرة للمؤمنين وإنا لنعلم أن منكم مكذبين وإنه لحسرة على الكافرين وإنه لحق اليقين)

ولم يكتف «جل شأنه» بذلك حتى أقام لهم الحجج العقلية والبراهين القطعية على دعوى أقوالهم وتسفيه أحلامهم حيث قال (وكذلك أنزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون وما كنت تتلون من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك اذا لارتاب المبطون بل هو آيات بينات في

صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرسالة وذكري لقوم يؤمنون)

فلا غرور اذا كان هذا القرآن الكريم من المنى الكبرى والنعمة العظمى التي يجب على كل مسلم أن يؤدي واجب شكرها لله تعالى كما قال تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يظنكم به)

ولمكانة هذا القرآن الكريم من الله تعالى وعظم شأنه وكرامته عليه أمر « جل شأنه » أن لا يسهه الا المطهرون فقال (انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يحسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين) وجعله هدى ورسالة وشفاء لمن آمن به وصدق ونقمة وشقاء لمن كذب به ونأى بجانبه عنه فقال جل شأنه (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وهم وقور وهو عليهم عمي أولئك ينادون من مكان بعيد) وقال جل ذكره (هذا بصائر للناس وهدى ورسالة لقوم يوقنون) وقال جل ثناؤه (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) وقال تعالى (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورسالة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا) وقال تعالت أسماؤه (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين)

وبالجملة فهو الهادى الى الخير والداعى الى الرشده من استمسك به فقد استمسك بالهروة الوثقى التي لا انفصام لها ومن اعتصم به فقد اعتصم بالله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم ومن آمن به فقد وفق ومن عمل به فقد فاز جعله الله عزاء لمن تولاها وهدى لمن اتتم به وبرهاناً لمن تكلم وشاهداً لمن خاصم وعلماً لمن وعى وحديثاً لمن روى وحكماً لمن قضى فهمة الله حكمه وأسراره ووفقنا للعمل به إنه سميع

الدعاء واسع العطاء

كيفية انزال القرآن

المراد من انزال القرآن أن جبريل عليه السلام تلقى كلام الله تعالى في علوشاته فهبط به على الرسول صلى الله عليه وسلم عن تلك الحضرة فصيح أن يقال نزل به وفي الحقيقة لانزول ولا صعود وإنما هي أسماء المراتب وألقاب المقامات

وكيفيته على ما جاءت به الاخبار الصحيحة أن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتحنث أى يتعبد في غار حراء فقال له اقرأ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال (اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) فكانت هذه الآيات الكريمة المباركات أول منازل من القرآن بالكيفية المتقدمة ثم كان يأتيه الوحي بعد ذلك في مثل صلصلة الجرس فيفصم عنه وقد وعى ما قال وأحيانا كان يأتيه جبريل عليه السلام فيتمثل له رجلا فيكلمه فيعي ما يقول كما حكى صلى الله عليه وسلم هذه الحالة عن نفسه عند ما سئل كيف يأتيك الوحي فقال أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ فيفصم عني وقد وعيت ما قال وأحيانا يأتيني الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول قالت عائشة رضي الله عنها فلقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه صلى الله عليه وسلم ليمتد عرقا وكان نزوله في ليلة القدر من شهر رمضان كما أخبر عن ذلك جل شأنه بقوله (إنا أنزلناه في ليلة القدر) وقوله (شهر رمضان الذي أنزل فيه

القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) فأول نزوله كان تلك الليلة في ذلك الشهر ثم أنزل بعد ذلك مفترقا في ثلاث وعشرين سنة على حسب الوقائع ومقتضيات الاحوال بمصادق قوله تعالى (ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تنسييرا) وقوله تعالى (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا)

وقد ذكر الله حكمة تنزيله مفترقا بقوله (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) أى كما نزلت التوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود عليهم السلام فرد الله تعالى عليهم بقوله (كذلك لنثبت به فؤادك) أى أنزلناه عليك مفترقا لتقوى به قلبك فان انزاله مفترقا منجما على حسب الحوادث أقرب الى حفظك له وفهمك لمعانيه وذلك من أعظم أسباب التثبيت

أول ما أنزل من القرآن وآخر ما أنزل منه

أول ما أنزل من القرآن كما علمت قوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) وآخر ما أنزل منه قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً) وكان ذلك اليوم الذى أكمل الله فيه الدين يوم عرفة عام حجة الوداع فلم ينزل بعد هذا اليوم شئ من الفرائض على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تحليل ولا تحریم ولم يلبث صلى الله عليه وسلم بعد هذا اليوم سوى أحد وعشرين يوما ثم مات صلى الله عليه وسلم ولقد فهم عمر رضى الله عنه لما سمع هذه الآية قرب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وبكى عند نزولها فقال له النبی صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر قال أبكاني يا رسول الله أنا كنا فى زيادة من ديننا فأما اذا كمل فانه لم يكمل شئ قط الانقص فقال له عليه الصلاة والسلام صدقت

ما يشتمل عليه القرآن

يشتمل القرآن الكريم بطريق الاجمال على ثلاثة أشياء توحيد وتذكير وأحكام (فالتوحيد) يدخل فيه كل ما يتعلق بذاته تعالى وأسمائه وصفاته (والتذكير) يدخل فيه كل ما به التذكير كالوعيد والمواعظ والجنة والنار والبعث والحشر وغيرها من أحوال المعاد (والأحكام) يدخل فيها جميع الاحكام المتعلقة بالعبادات والمعاملات والعقوبات والزواج والآداب

(فائدة) فيما يشتمل عليه القرآن الكريم من السور والآيات والكلمات والحروف وما نزل من السور بالمدينة وما نزل منها بمكة

نزل في المدينة من القرآن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وبراءة والرعد والنحل والحج والنور والاحزاب ومحمد والفتح والحجرات والرحمن والحديد والمجادلة والحشر والممتحنة والصف والجمعة والمنافقون والتغابن والطلاق ويأيتها النبي لم تحرقم واذا زلزلت واذا جاء نصر الله وكل ما عدا هذه السور نزل بمكة فأما عدد سور القرآن العظيم فمائة وأربع عشرة سورة وأما عدد آياته فستة آلاف آية وأما عدد كلماته فسبعة وسبعون ألفاً وأربع مائة وتسع وثلاثون كلمة وأما عدد حروفه فثلاثمائة ألف وأربعون ألفاً وسبع مائة وأربعون حرفاً

وسميت السورة سورة لجمعها لعدة آيات من القرآن واحاطتها بها كما يسمى سور البلد سوراً لاحاطته بمنزله ودوره وسميت الآية آية لأنها عَجَبٌ يعجز البشر عن التكلم بمثلها

اعجاز القرآن

اعجاز القرآن بما اشتمل عليه مما لا يمكن لأحد من البشر أن يأتي بمثله

ولو كان من أكبر العلماء وأعظم السياسيين فضلا عما وضع عليه من
الاسلوب العجيب والترتيب الغريب ومكانته من النصاحة والبلاغة
حتى بلغ من إعجازه أنه صلى الله عليه وسلم كان يعرض على من
بلغ من معارضيه في الفصاحة والبلاغة أعلى منزلة وأسمى مرتبة أن
يأتى بأقصر سورة منه فلا يقدر كما قال الله تعالى (فليأتوا بحديث مثله
إن كانوا صادقين) وقال جل شأنه (وان كنتم في ريب مما نزلنا على
عبدنا فأتوا بسورة من مثله) وقال تبارك اسمه (أم يقولون افتراء قل
فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان
كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله)

فلما عجزوا عن معارضته على كثرة خطبائهم ووفرة فصاحتهم وقوة
بلاغتهم مع التفريع بالنقص والتوقيف على العجز وهم أشد الخلق أنفة
وأكثرهم مفاخرة والكلام سيد علمهم نادى الله عليهم بالعجز وإعجاز
القرآن فقال تعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل
هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)

ومن وجوه إعجازه حسن تاليفه والتشام كلمه وفصاحته وبلاغته وما
احتوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما أنبأ به من أخبار القرون
الماضية والأهم الفديعة والشرائع السابقة مما كان لا يعلم القصص
الواحدة منه الا الواحد من أخبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في
تعلم ذلك فيورده صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتى به على نصه وهو
أحى لا يقرأ ولا يكتب ومن إنبائه بالغيوب المستقبلة كوعده الصحابة
رضوان الله عليهم بدخول مكة آمنين مطمئنين فجاء الامر على ما أخبر
وبالجملة فوجوه إعجازه كثيرة لا تكاد لا تحصى وفيما ذكر كفاية للمسترشد
والله المستعان وعليه التكلان

مقدمة في بيان حكم التشريع وما يقصد من الشرائع وما تشتمل عليه

اعلم أن الشريعة الإسلامية بل وسائر الشرائع إنما يقصد منها بيان ما يرشد الخلق إلى معرفة الله تعالى باعتقاد وجوده واتصافه بصفات الكمال وتنزهه عن صفات النقصان - وإلى كيفية عبادته المحتوية على تعظيمه وأداء بعض الشكر على نعمه التي لا تحصى ولا يمكن أن تستقصى - وإلى الآداب الفاضلة والأخلاق السامية من الأمانة والصدق والعفة والعدل والوفاء بالعهد وإنجاز الوعد والشجاعة والصبر والحلم وغير ذلك من الصفات التي بها تهذب النفوس وتتكمّل العقول وتجعل الأخلاق - وإلى الأحكام التي توصلهم إلى انتظام أحوالهم المعاشية من توطئ الأمن فيما بينهم ووقوف كل عند حده ومنع التعدي من الأشرار وذوى الأطماع على أحد من الأمة فهذه الأشياء الأربع التي ترشد إليها الشريعة الإسلامية والمقصودة منها هي ما تشتمل عليه كل شريعة

واعلم أنه قد وقع الاختيار على تقسيم هذا السفر إلى الثلاثة الأقسام الأولى

القسم الأول - فيما يجب أن يتصف الله تعالى به من صفات الكمال وما يستحيل أن يتصف به من صفات النقصان وما يجوز في حقه تعالى وما يجب أن يتصف به الرسل الكرام وما يستحيل وما يجوز في حقهم عليهم الصلاة والسلام وما يجب اعتقاده مما ورد به الشرع الشريف وجاء القرآن الكريم ناطقاً به وأخبرنا به الصادق المصدوق صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وإن لم تره أعيننا ولا مجال للعقل فيه

القسم الثاني - في العبادات التي تصلح لتأدية شكر الله تعالى على جليل نعمه التي لا تحصى من صلاة وصيام وزكاة وحج مع بيان ما اشتملت عليه من الحكم والاسرار والفوائد والمنافع والآداب والشروط والأثر كان وغير ذلك مما احتوت عليه هذه العبادات مما ستعرفه ان شاء الله تعالى

القسم الثالث - فيما يجب التخلق به من الآداب الشرعية والصفات المرضية والاخلاق الطاهرة الزكية مع بيان الحكمة التي من أجلها حث الشارع على هذا الخلق وأمر بالتمسك به والتخلي بحلله وهذا أولان الشروع في المقصود وعلى الله أنكل وعلى جنابه الرفيع أعول انه نعم الملبأ لمن التجأ اليه ونعم الركن لمن اعتمد عليه وأسأله سبحانه وتعالى كما وفق لجمعه أن يوفق للانتفاع به انه سميع الدعاء واسع العطاء

القسم الاول علم التوحيد

هو علم يبحث فيه عن اثبات العقائد الدينية بالدلالة اليقينية وغرته معرفة الله تعالى ورسوله بالبراهين القطعية والفوز بالسعادة الأبدية وهو خلاصة العلوم الدينية ونتيجة أقيسة الشرائع الاسلامية وعليه مبني التكاليف الشرعية وله قامت السموات والارض وما فيهما أدلة فاطعة على تحقيق مسائله وتقرير دلائله يأخذ منها المتأمل ما شاء في تحصيل يقينه وتمكنه من معرفة دينه والى ذلك الاشارة بقوله تعالى (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب

المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) فهو أصل العلوم وأفضلها ولا غرو فهو متعلق بذات الله تعالى وذات رسوله الكرام عليهم الصلاة والسلام وشرف العلوم بشرف المعلوم وقد جاءت به جميع الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام من لدن آدم إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأن الكل أرسلوا لغرض واحد وهو توحيد الله تعالى واعتقاد انصافه تعالى بسائر صفات الكمال وتنزهه عن سائر صفات النقصان واختصاصه جل شأنه بأن يعبد وحده لا شريك له كما قال تعالى مخاطباً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)

ووجه تسمية هذا العلم بعلم التوحيد أن أشهر مباحثه وأعظم أغراضه التي يرمى إلى تحقيقها البحث عن توحيد الله تعالى الذي هو أساس الدين وأعظم أركانه وذلك لأنه يتوقف عليه الأخبات لرب العالمين الذي هو أعظم الأخلاق المكتسبة للسعادة وقد نبه الكتاب العزيز والنبي صلى الله عليه وسلم على عظم أمره وكونه من أنواع البر والخير بمنزلة القلب إذا صلح صلح الجميع وإذا فسد فسد الجميع قال الله تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به) وقال عليه الصلاة والسلام (من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة) وقال صلى الله عليه وسلم (من مات لا يشرك بالله شيئاً حرمه الله على النار) ثم اعلم أن للتوحيد أربع مراتب أحدها حصر وجوب الوجود فيه تعالى فلا يكون غيره واجبا

والثانية حصر خلق السموات والأرض والعرش وسائر المخلوقات فيه تعالى وهاتان المرتبتان من القضايا المسلمة عند جميع الملل والقرآن العظيم ناص على أنهما من المقدمات المسلمة عند الجميع كما قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم) وقال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) والثالثة أن ذاته واحدة وليست بمجموع ذوات متعددة يشار إليها

بالوحدة وأنه جل شأنه لا يظهر بذاته في شيء من مخلوقاته والرابعة أنه
المنفرد بتدبير السموات والأرض والتصرف فيما تحويه وأنه وحده
المستحق لأن يلجأ إليه فيما لا تصل إليه قدرة الانسان فهو المستحق
للعبادة وأن يستجدي منه المعونة دون سواء وهاتان المرتبتان قد
اختلف فيهما طوائف كثيرة من الناس معظمهم ثلاث فرق (النصارى
والمشركون والمجتبىون) فالنصارى ذهبوا الى أن الاله الواحد هو الاب
والابن وروح القدس والابن هو الذي تجسد في عيسى ولهم في ذلك
كلام لا يمكن تعقل معناه فآلهوا المسيح وقصدوه في الحوائج وتوجهوا اليه
بهذا الضرب من العبادة ثم توسعوا في تعظيم القديسين والرؤساء حتى
جعلوا لهم حق الشفاعة والقدرة على المعونة فاتخذوهم وسائل بينهم
وبين الله وعبادهم بالتضرع اليهم فردد الله تعالى عليهم تارة بأنه
لا صاحبة له ولا ولد وتارة بأنه بديع السموات والارض انما أمره اذا
أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون
والمشركون ذهبوا الى أن الصالحين من قبلهم عبدوا الله تعالى
وتقربوا اليه فأعطاهم الله منزلة القرب منه ومنحهم نعمة الشفاعة عنده
فاستحقوا بذلك أن يلجأ اليهم وتستمنح المواهب من الله بواسطةهم
ويطلب القرب منه بوسيلتهم وقد جعلوا شأن الله في ذلك على
شؤون خلقه فظنوا أن القرب اليه كالقرب من الملك يخدمه عبده
فيحسن خدمته فيكافئه بأن يعطيه خلة الملك ويفوض اليه تدبير بلد
من بلاده فيستحق السمع والطاعة من أهل ذلك البلد وزعم بعضهم أن
لاتقبل عبادة الله تعالى الا مضمومة الى عبادتهم بل الله تعالى في غاية
العلو فلا يعبد مباشرة بل لابد من التوسل بعبادة هؤلاء ليقتربوهم الى
الله زلفى كما حكى الله تعالى ذلك عنهم بقوله (ما نعبدهم الا ليقربونا الى
الله زلفى) وقالوا هؤلاء يسمعون ويبصرون ويشفعون للتوسلين بهم
ويدبرون أمورهم وينصرونهم فتحثوا على أسمائهم أجارا وجمعوا لها

سورة	آية	
		قبله عند توجههم الى هؤلاء فخلف من بعدهم خلف لم يقطنوا للفرق بين الاصنام وبين من هي على صورته فظنوها معبودات باعيانها فردد الله تعالى عليهم تارة بأن له الحكم والملك خاصة لا ينزعه ولا يشاركه فيه غيره وتارة ببيان أنها بجدات لا تنفع ولا تنفع كما قال تعالى (واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون) وقال تعالى (ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيدي يبسطون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها) والمنجمون ذهبوا الى أن النجوم تستحق العبادة بما لها من التأثير العظيم في الحوادث اليومية فلا شك أن عبادتها تنفع ورفع الحاجات اليها حق فبنوا هياكل على أسمائها وعبدوها هذا ولما كان القرآن الكريم حاويا لاصول هذا العلم ومنه تنفرع أغصانه صار المرجع في بيان ما يجب لله تعالى من الصفات الكمالية اليه والمعول في تحقيقها عليه وإليك بيانها مع ذكر أدلتها من القرآن وشرح كل آية بما يفصل مجملها ويكشف عن وجه العبرة فيها والله المستعان الصفة الاولى الوجود اعلم أن من أجال فكره في هذه الموجودات وأدار نظره على عجائب خلق الله في الأرض والسموات وبدائع فطرة الحيوان والنبات رأى أن هذا الأمر العجيب والترتيب الغريب لا يستغنى عن وجود صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره ومن تأمل في قوله تعالى (ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب)

ظهر له جلياً أن وجود إله صانع يدبر أمر هذه الكائنات ويحفظ نظام هذه المخلوقات ويخضع لسلطانه كل هذه الموجودات من أرض وسموات وحيوانات ونباتات وجمادات أمر مركز في فطر كل هذه المخلوقات إلا من طبع الله على قلبه وطمس بصيرته من بنى الإنسان وهو المشار له بقوله تعالى (وكثير حق عليه العذاب)

لذلك أمر الله تعالى بالتفكير في هذه المخلوقات والبحث فيما يقع تحت النظر من المشاهدات من نحو السموات وما فيها من النجوم والكواكب والأفلاك وما اشتملت عليه من النظام العجيب والترتيب الغريب . والأرض وما فيها من البحار وما اشتملت عليه من الأسماك والحيتان والدواب وما فيها من الجبال والادوية والكهوف والسهول والمعادن وتكوينها وخواصها ومنافعها والنباتات وغرائبها وتباينها في الأشكال والأزهار والثمار والأوراق والطعوم والألوان وغير ذلك . والحيوان وما فيه من العجائب والغرائب . والجو وما اشتمل عليه من الهواء والرياح والسحاب والرعد والبرق والأمطار والثلوج إلى غير ذلك من سائر مخلوقاته ليستدل بها على أن لها صانعاً حكيماً ومديراً عليمًا أوجدها من العدم وأبرزها إلى الوجود

وقد ذكر الله تعالى من الآيات الدالة على وجوده وعظم قدرته وبدائع صنعه ما فيه عبرة لمعتبر وجة قاطعة لمن أراد التقرب إليه تعالى بمعرفة وجوده فقال .

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ . وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ

الروم ٢٠

لَا يَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ^{٢٢} وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ^{٢٣} وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمِعُونَ^{٢٤}
وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ^{٢٥} وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ
إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ

(ما ترشد اليه هذه الآيات الكريمة)

ترشد هذه الآيات الكريمة الى أن الانسان العاقل لا يحسن به أن
يأخذ الامور بظواهرها بل عليه أن يدقق النظر في بواطنها حتى يستخرج
ممكنون حكمها بنقاب فكره فاذا تأمل في نفسه وهي أقرب الاشياء اليه
رأى أنه وجد من تراب لانه كَوْن من النطفة وهي من الدم والدم من
الغذاء والغذاء من النبات والنبات من التراب لانه نبت فيه وامتنص
المادة المغذية له منه واذا تأمل بفكره في ذلك وتحقق له منه أن
هذا الانسان العاقل المدبر السميع البصير الحساس النامي ذا الشكل
الغريب والاحكام العجيب والاعضاء الظاهرة والباطنة التي اشتمل كل
عضو منها على لطائف من الاسرار والحكم وعظيم الفوائد والمنافع
خلق من هذا التراب لتحقيق لديه أن خالقه لا بد أن يكون موجودا
مستمر الوجود قادرا حكما عليما متصفا بكل كمال منزها عن كل

نقص فاذا انتقل بفكره الى ما هو اشد الاشياء اليه قربا بعد نفسه وهو زوجته التي يسكن اليها ويأنس بها وتشاركه في حياته وتدكر عظيم حكمته في أنه جعلها من جنسه لا من جنس الحيوانات الاخرى وأنه جعل بينه وبينها من المودة والرحمة ما تظن معه بمجرد دخوله عليها كأنهما تعانرا العشرات من السنين مع عدم سابقة معرفة ولا لقاء ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة أو رحم تحقق لديه أيضا أن فاعل ذلك لا بد أن يكون موجودا قادرا حكيما ثم اذا انتقل بفكره الى ما هو اشد ظهورا لوقوعه تحت نظره في غالب آوئته وهو خالق السموات والأرض واختلاف الانسنة في كيفية النطق فلا ترى منطقتين متساويين في الكيفية من كل وجه وكذا الالوان فلا ترى لون شخص يشبهه لون آخر وإراعة البرق وانزال المطر على الأرض فتراها اهتزت وربت بمجرد نزوله عليها وأنبئت من كل زوج بهيج بعد أن كانت يابسة لانبات بها وناهيك بقيام السموات والأرض واستمساكهما بغير عمد فانه إن تفكر في ذلك تحقق لديه أن ذلك كله وما فيه من الغرائب والمجائب والصنع المحكم والاسرار والحكم لا بد أن يكون صانعه موجودا قادرا حكيما عليها متصفا بصفات السكّال اذ لا يعقل أن يكون الموجد لذلك كله مع هذا الاحكام والانقان معدوما اذ المعدوم لا يصدر عنه شيء

(وقال تعالى في بدائع جوده وعلامات وجوده)

سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ

(ما يؤخذ من هذه الآية الكريمة)

سورة	آية	
		يؤخذ من هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى أودع في الآفاق أى أقطار الارض والسموات آيات باهرات من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح والأمطار والرعد والبرق والصواعق والنبات والأشجار والجبال والبحار وغير ذلك وفى أنفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة حتى فى سبيل ما يخرج من البدن فان الرجل يأكل ويشرب من مكان واحد ويتميز ذلك خارجا من مكانين وحتى فى عينيه اللتين ينظر بهما من الأرض الى السماء وفى أذنيه اللتين يفرق بهما بين الاصوات المختلفة وحتى فى نفسه وتركيبه بنيتته وأعضائه وأحواله من مبدا خلقه الى انتهاء الى غير ذلك من بديع حكمة الله تعالى فيه وفى ذلك من الآيات والعلامات الدالة على وجود الله تعالى وكمال قدرته ما به يتبين أن ذلك هو الحق الذى لا هوية فيه وقد بين الله جل شأنه ما فيه الكفاية فى الدلالة وهو شهيد على من كفر به ولم يصدق بوجوده مع قيام هذه الآيات فيجازيه حسبا يستحق نسأل الله تعالى أن يرشدنا الى معرفة أسرار آياته ويطلعنا على مكنونات اشاراته انه سميع الدعاء واسع العطاء
		(وقال تعالى أيضا فى بيان العلامات الدالة على وجوده)
الواقعة	٥٧	نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ٥٨ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ٥٩ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ٦٠ نَحْنُ قَدْ زَيَّنَّا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ٦١ عَلَى أَنْ نَبْدِلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنَشِّئَكُمْ فِيمَا لَا تَعْلَمُونَ ٦٢ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ٦٣ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ٦٤ أَأَنْتُمْ تَرْزُقُونَهُ

أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ^{٦٥} لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلِمْتُمْ
 تَفَكَّهُونَ ^{٦٦} إِنَّا لَنَغْرِمُونَ ^{٦٧} بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ^{٦٨} أَفَرَأَيْتُمْ
 الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ^{٦٩} أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ^{٧٠} لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجًا
 فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ^{٧١} أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ^{٧٢} أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ^{٧٣}
 فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ

(ما يؤخذ من هذه الآيات الكريمة)

يؤخذ من هذه الآيات الكريمات اثبات وجود الله تعالى وذلك أنه
 تعالى يقول نحن خلقناكم وأنشأناكم من العدم الى الوجود أى ومن
 كان كذلك فلا يكون الا موجودا ثم أخذ تبارك اسمه يذكر الادلة
 القاطعة والبراهين الساطعة على ذلك بأن ما ينفذ في الارحام من
 النطف هو الذى خلقه وصوره بشرا سويا تام الخلقة وأن الحب الذى
 يبذر فى الارض هو الذى أنبتته وجعله جسما ناميا متغذيا ذا حياة
 نباتية مكتسبا خواص لم تكن له من قبل مع اختلاف أشكاله
 وأشكال أوراقه وأزهاره وأثماره وبذوره وروائح طعمه وألوانه
 ومنافعه ومضاره الى غير ذلك مما يظل الانسان لا جله طول نهاره
 يتفككه ويتعجب لما أودع فيه من النظام المحكم والاسرار والحكم وأن
 الماء الذى يستعمله الانسان لغذائه هو الذى أنزله من السحاب عذبا
 فراتا وكان فى قدرته أن ينزله ملحا أجبا لا يمكن شربه وأن النار التى

تخرج من الشجر التي هي من ضروريات معيشة الانسان في الحضر
والسفر وهي من أكبر نعم الله تعالى عليه قد خلق الله ذلك الشجر
الذي تخرج منه تلك النار ومن كانت هذه صفاته وأعماله ومخلوقاته
فلا بد أن يكون موجودا قادرا أتم القدرة عالما أتم العلم لان وجود
هذه الاشياء لا يصدر عن معدوم ولا عاجز ولا جاهل البتة

(وقال جل شأنه في بيان العلامات الدالة على وجوده)

الذاريات

٢٠

وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ۚ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ

(ما تشد اليه هاتان الآيتان الكرمتان)

ترشد هاتان الآيتان الكرمتان الى بيان العلامات الدالة على وجوده تعالى
وذلك أن من تأمل في الارض وما اشتملت عليه من البحار والجبال
والأودية والسهول والكهوف والمعادن وتكوينها وخواصها ومنافعها
وغير ذلك مما هو على وجه الارض رأى آيات ودلائل على وجود الله
تعالى وكذا من نظرفي نفسه من حال ابتدائها وتنقلها من حال الى
حال وتصوّر كيف خلق نطفة ثم علقته ثم مضغة ثم عظاما الى أن ينفخ
فيه الروح ثم نظر كيف اختلفت بعد ذلك الصور والالوان والطبائع
والالسنة بل نفس خلقته على هذه الصفة العجيبة الشأن من لحم ودم
وعظم وأعضاء وحواس ومجارى ومنافس وفي بواطنها وظواهرها من
عجائب الفطرة وبدائع الخلق ما تحير فيه الالذهان وحسبك بالقلوب
وما ركز فيها من العقول وبالالسن والنطق ومخارج الحروف وما في
تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبيّنات القاطعة على
حكمة مدبرها وصانعها وبالاسماع والابصار والاطراف وسائر
الجوارح وما أودع فيها وتيسرها لما خلقت له وما سوى ذلك في الاعضاء

من المفاصل للانعطاف والتثني فتبارك الله أحسن الخالقين فانه يجد
من الآيات والعصامات الدالة على وجود الله تعالى وكمال قدرته ماهو
أسطع من الشمس وأنس للنفس ولذا يقول الله تعالى (وفي الأرض
آيات للموقنين) أى الموحدين الذين سلكوا الطريق السوى البرهاني
الموصل الى المعرفة وفي أنفسكم أفلا تبصرون

﴿وقال جل شأنه في الحث على التفكير في مصنوعاته حتى
يستدل بها على وجوده تعالى ومعرفة ذاته﴾

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ
النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ

﴿وجه العبرة في هذه الآية الكريمة﴾

وجه ذلك توخي وتبكيك من قصر نظره وفكره ولم يحمله في هذه الموجودات
حتى يستدل بها على أن لها صانعا وموجدا أوجدها من العدم ولما كانت
نفس الانسان أقرب المخلوقات اليه وهو أعلم بشؤونها وأخبر بأحوالها
من غيره أمره الله تعالى بالتفكير فيما أودعه فيها ظاهرا وباطنا من
غرائب الحكم الدالة على نهاية التدبير وأنه لا بد لها من انتهاء الى وقت معلوم
يجازيها فيه الحكيم على الاحسان احسانا وعلى الاساءة اساءة حتى يعلم
عند ذلك أن سائر المخلوقات من الأرض والسموات وما بينهما جار على
الحكمة والتدبير أيضا وأنه لا بد لها هي أيضا من الانتهاء الى ذلك الوقت
ولم يقف جل شأنه عند هذا الحد من التفرع والتوخي على تقصيرهم
واعراضهم عن التفكير فيما يرشدهم الى معرفته تعالى من مصنوعاته

سورة	آية	
		كخلق السموات والأرض وما بينهما بل أخبر بأنهم مع هذا الاعراض وعدم التفكير جاحدون ومنكرون لقاء الله تعالى وحسابه وجزاءه وهذا من أكبر دواعي الطغيان والفسوق وارتكاب كل فيج وعدم المبالاة بفعل كل منكر لان من تحقق أن له ربا سبحانه وبجازه على الصغير والكبير من عمله ان خيرا خيرا وان شرا فشر ارتدعت نفسه عن فعل القبيح وارتكبت الملعج
		(وقال تبارك اسمه في بيان العلامات الدالة على وجوده)
البقرة	١٦٤	إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَبَ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
		(ما يرى اليه غرض هذه الآية الكريمة)
		يرى الى الاستدلال بهذه الموجودات المذكورة في الآية الكريمة على وجود الله تعالى وكمال قسدرته لان من تأمل في السموات والارض وما فيهما من العجائب والغرائب واختلاف الليل والنهار بالزيادة والنقصان والمجيء والذهاب والسفن التي تجرى في البحر ولا ترسب فيه مع ضخامتها موقرة بالاثقال وغير موقرة لينتفع الناس بها في أمر معاشهم وانتظام أحوالهم وانزال الماء من السماء فتنبت به الارض بعد يبسها وتخصر بعد أن كانت قحلة ويكثر فيها المكاد والمرعى فتنتشر الدواب وتأن كل

من ذلك ما شاءت وتسير في الرياح وتقلبها جنوبا وشمالا حارة وباردة والغسيم المستخر بين السماء والارض من غير علاقة ولا شيء يرتكز عليه يسير حيث شاء الله تعالى وجد أن كلامها مشتمل على وجوده كثيرة من الدلالة على وجوده تعالى ووحدانيته وسائر صفاته الكمالية الموجبة لتخصيص العبادة له تعالى وحده دون سواه اذ لا يعقل أن من أوجد هذه الموجودات يكون معدوما أو ناقصا في صفة كماله البتة ولذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها) يريد هذه الآية الكريمة

فالعاقل من نظري هذه الموجودات نظر تفكر واعتبار حتى يتوصل الى معرفة خالقه واتصافه بسائر صفات الكمال وتنزهه عن سائر صفات النقصان فيفوز بالسعادة الدنيوية والاخرية

((وقال تعالى في بيان طريق النظر الموصل الى معرفته تعالى ووجوده))

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيَاتِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۖ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۚ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۚ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ

((ما يؤخذ من هذه الآيات الكريمات))

يخاطب الله جل شأنه البدوي وينبهه على الاستدلال بما يشاهده من بعيره الذي هو راكب عليه والسماء التي فوق رأسه والجبل الذي تجاهه والارض التي تحته على قدرة خالق ذلك وصانعه وأنه الرب العظيم الخالق المالك المنصرف وأنه الاله الذي لا يستحق العبادة سواه

ويقول (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) خلقا بديعا معسولا به عن سنن خلق أكثر أنواع الحيوانات في عظم جثتها وشدة قوتها وغرابة أشكالها وهياكلها اللدنة بتأتى ما يصدر عنها من الافاعيل الشاقة كقيامها بالاقطار الثقيلة وهي باركة وتحملها الاثقال الفادحة وايصالها الى الاماكن البعيدة وصبرها على الجوع والعطش حتى ان ظمأها ليبلغ أكثر من ثمانية أيام واكتفائها باليسير ورعيها لكل ما تيسر من شوك وشجر وغير ذلك مما لا يكاد يرعاه سائر البهائم . وفي انقيادها مع ذلك للصغير والكبير في الحركة والسكون والنهوض والبروك حيث يستعملها في ذلك كيف شاء ويقتادها بقطارها كل صغير وكبير . وفي تأثرها بالصوت الحسن مع غلظ أكبادها الى غير ذلك من بدائع الصنع وعجيب الخلقة (والى السماء كيف رفعت) فوق الأرض بلا عمد على وجه لا يناله الفهم ولا يدركه العقل (والى الجبال كيف نصبت) أى جعلت منصوبة قائمة ثابتة راسية اثلا تتمد الأرض بأهلها وجعل فيها من المنافع والمعادن (والى الأرض كيف سطعت) أى كيف بسطت ومدت ومهدت للسكنى فيها والمشى عليها فلم يجعلها صلبة يصعب المشى عليها ولا رخوة تغوص الأرجل فيها فان من تأمل في هذه الموجودات وما اشتملت عليه من بديع الخلقة وعظيم الحكمة رأى من الدلائل على وجوده تعالى وكمال قدرته ووحدانيته ما يلجئ ذوى العقول والبصائر الى اعتقاد قدرة هذا الصانع الحكيم والمدير العليم وأنه الرب العظيم الخالق المالك المتصرف وأنه الاله الذى لا يستحق العبادة سواه ولذا ساق الله تعالى هذه الآية الكريمة في معرض الانكار والتفريع والتوبيخ لمن أنكر قدرته تعالى واستحقاقه للعبادة دون سواه

(وقال تعالى أيضا في بيان طريق النظر الموصل الى

معرفة تعالى ووجوده)

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ٦ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ٧
يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ

(ما ترشد اليه هذه الآيات الكريمة)

ترشد هذه الآيات الكريمة الى الحث على النظر فيما أودع في خلق الانسان من الغرائب والعجائب حيث خلق من الماء المنصب من الرجل في المرأة ثم بعد ذلك يلبس هذا الماء صورة علقية ثم مضغية ثم تأخذ هذه الصورة تنصوّر وتنشكّل وتنموها أعضاء الى أن يكمل تكوينها وتصير حيوانا حساسا سميعا بصيرا شاة اذا ثقا لامسا ولا تسئل عن كيفية تكوينه وتخلقه وما أودع في أعضائه الظاهرة والباطنة من الاسرار والحكم وما اشتمل عليه جسمه من الحواس والمجاري والمنافس وكيف أودع الابصار في البصر والشم في الانف والذوق في اللسان والسمع في الاذن واللمس بسائر الجوارح والادراك بالعقل وتصوره للعلوم الى غير ذلك من بديع الخلقة وعظيم الحكمة فان من نظر في الانسان بهـذا النظر وتصوّر كيف خلق ومم خلق وكيف وجد هـذا الانسان العظيم المدرك الى الحساس الناحي السميع البصير الشام الذائق اللامس الذي يفعل هذه الافعال العجيبة من هـذا الماء الضعيف تحقق لديه أن الموجد لهـذا الانسان من هـذا الماء لا بد أن يكون موجودا قادرا حكما تجل عظمته عن الحد ولا يدرك كنهه أحد فسبحانه من اله قادر عالم بما صار وما هو صائر له الحمد في الاولى والآخرة وهو العلي الكبير

(وقال جل شأنه أيضا في بيان طريق النظر الموصل

الى معرفته تعالى ووجوده)

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ٢٥ أَنَا صَبَيْنَا الْمَاءَ صَبًّا ٢٦

ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ٢٧ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ٢٨ وَعِنَبًا
وَقَضْبًا ٢٩ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ٣٠ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ٣١ وَفَاكِهَةً
وَأَبًّا ٣٢ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ

(ما ترشد اليه هذه الآيات الكريمة)

ترشد هذه الآيات الكريمة الى الملح على النظر فيما يأكله الانسان
والبهائم من القمح والشعير والفول والعنب والقت والزيتون والنخل
والبساتين الكثيرة الاشجار وما فيها من الفاكهة وكيف أخرجه الله
تعالى من الارض بصب الماء عليها وكيف أنبتته الارض بقدرة الله
تعالى وكيف شق هذا النبات الارض عند خروجه منها وكيف
اختلفت هذه النباتات في الاوراق والجذور والاثمار والدقة والغاظ
والطعوم والروائح والفوائد والمنافع مع أنها كلها ربما كانت تسقى
بماء واحد وتتغذى من تربة واحدة وتمتص ما يلزمها من هواء واحد
فان من نظري ذلك بعين الفكر وتأمل فيه حق التأمل وجسد من
الآيات والعبر ما يدل دلالة قاطعة على وجود صانعها وحكمة مديرها
وموجدتها وعلى كمال عظمتها وباهر قدرته فسبحانه من اله قادر حكيم
خبير

الصفة الثانية القدم

وهو عدم الاولية أى أنه تعالى لا أول لوجوده لانه جل شأنه مصدر هذه
الكائنات وموجد هذه الموجودات فلا بد أن يكون سابقا عليها
لا يتقدمه تعالى شئ منها والا لزم أن تكون وجدت قبل وجود
سببها فيلزم أنها وجدت قبل وجود ذاتها وهو ظاهر البطلان

سورة	آية
الحديد	٣
﴿ وقد قال جل شأنه في اثبات هذه الصفة (وهي صفة القدم) له تعالى ﴾	
هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ	
﴿ ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة ﴾	
ترشد هذه الآية الكريمة الى بيان أنه تعالى قديم لأول له أرلى لابداية له ظهر للخلق بما أودعه من عجائب الخلقة فيهم وخفى على العقول ادراك حقيقةه فلا مجال لها في درك هذه الغاية لان عظمته سبحانه وتعالى غير متناهية ومدارك العقول البشرية حقيرة جدا بالنسبة الى عظمته تعالى وحقي الادراك لا يصل بالمعرفة الى الحقيقة العظيمة العالية والى ذلك الاشارة بقوله تعالى (لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير) وقوله عليه الصلاة والسلام (تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذاته فتهلكوا) أى فان عقولكم لاتصل الى ادراك كنه حقيقةه ولا تنتهى أفهامكم الى الاحاطة بصفاته ولذا قد نهت الشريعة الغراء عن الخوض والبحث في حقيقة ذاته تعالى لانه لامصير الى ذلك ولا تحوم حوله العقول والبحث في شئ لا يمكن الوصول الى غايته من العبث المحض ولان البحث في ذلك ربما جرب صاحبه الى الهلاك بما يجول في فكره من التخیلات والتصورات التى لاحقيقة لها ولم يسلم منها أكبر المؤمنين مع رسوخ ايمانهم وقوة اعتقادهم كما روى أن رجلا سأل ابن عباس فقال له ما شئ أجده في صدرى فقال له ما هو قال والله لا أتكم به قال فقال لى أشئ من شك قال وضحك مانجا من ذلك أحد حتى أنزل الله تعالى (فان كنت فى شك مما أنزلنا	

اليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك) الآية ثم قال له اذا وجدت في نفسك شيئاً فقل هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم وقال عليه الصلاة والسلام (لا يزال الناس يسألون عن كل شيء حتى يقولوا هذا الله كان قبل كل شيء فماذا كان قبل الله فان قالوا لكم ذلك فقولوا هو الاول قبل كل شيء والاخر فليس بعده شيء وهو الظاهر فوق كل شيء وهو الباطن دون كل شيء وهو بكل شيء عليم)

فالواجب عدم الخوض في ذلك واذا خطر للانسان خاطر من هذا القبيل فليغالط نفسه وليطرحه ويبذل قصارى جهده في تناسيه فان ذلك ربما أدى به الى مالا تحمد عقباه نجانا الله من وساوس الشيطان والنفس وأسأله تعالى أن يحمينا على سنته ويميتنا على ملته انه سميع الدعاء واسع العطاء

الصفة الثالثة البقاء

وهو عدم الآخرة أى أنه تعالى لا آخر لوجوده فلا يلحقه العدم والفناء ولا يقضى عليه بالانقضاء والانتفاء لم يزل ولا يزال موصوفاً بنعوت الجلال مهما تصرمت الآباد وانقرضت الآجال فهو سبحانه وتعالى باق الى غير نهاية دائم الوجود من غير غاية اليه مرجع جميع الكائنات ومصيرها ومنتهى أمورها جليلها وحقيقتها فالكل بالاضافة اليه عدم لان الكل وجوده منه وما كان وجوده من غيره فالعدم من لوازمه والفناء من أخص أوصافه فالجنة والنار ومن فيهما والعرش والكرسى والروح والقلم والارواح وان وردت الآيات القرآنية والاحاديث النبوية بعدم فنائها ودوام بقائها الا أن بقاءها من غيرها وهو الله جل شأنه أما بقاؤه تعالى فهو من ذاته وفرق بين البقائين

(وقد قال جل شأنه في بيان أنه باق لا آخر له أبدى لانهاية له)

كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

﴿ماتشير اليه هذه الآية الكريمة﴾

تشير هذه الآية الكريمة الى أنه تعالى باق لا فناء له مستمر الوجود لا آخر له
قيوم لا انقطاع له دائم لا انصرام له وأن كل شيء موجود ما له ومصيره
الى الهلاك والعدم الا ذاته تعالى فانه لا يلحقها العدم ولا يتطرق اليها
الزوال بل هو الباقي بعد فناء خلقه وله القضاء النافذ فيهم يقضى
بما شاء ويحكم بما أراد واليه المرجع في جميع الاحوال في الدنيا
وفي الآخرة عند البعث ليجزى المحسن باحسانه والمسيء باساءته لارب
غيره ولا معبود سواه

﴿وقال جل ذكره في بيان أنه تعالى باق لا فناء له دائم لا آخر له﴾

كُلٌّ مِّنْ عَلَيْهِمْ قَاتٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ
وَالْإِكْرَامِ

﴿الغرض من هذه الآية الكريمة﴾

الغرض منها بيان أن جميع أهل الارض من انس وجن وحيوان وغيرها
فان وهالك ولا يبقى سوى وجه الله الكريم الذي هو مصدر جميع
الكمالات والمستغنى عن كل ما سواه من الموجودات فان الرب تعالى
وتقدس لا يموت بل هو الحي الذي لا يموت أبدا وهذه الآية كالتى قبلها
وقد نعت الله وجهه الكريم في هذه الآية الكريمة بأنه ذو الجلال والاكرام
أى هو أهل لأن يجل فلا يعصى وأن يطاع فلا يخالف كقوله تعالى
(واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه)

وكقوله اخباراً عن المتصدقين (انما نطعمكم لوجه الله)

الصفة الرابعة مخالفته تعالى للحوادث

أى أنه تعالى لا يماثل موجوداً ولا يماثله موجود ليس كمثل شئ ولا هو مثل شئ وقد صرح جل شأنه بنفى هذه المماثلة في غير ما آية من القرآن الكريم وأبينها في ذلك وأتمها قوله تعالى (ليس كمثل شئ وهو السميع البصير) وقوله تعالى (ولم يكن له كفواً أحد) وذلك أن من المقرر الثابت أن الخالق يجب أن يكون على غير صفة المخلوق الذي لا يخالف شيئاً والا لزم أن يكون من يخلق ليس بخالق وذلك أعم من أن تكون صفات المخلوق منتفية عن الخالق بالثرة أو موجودة فيه ولكن على غير الجهة التي هي عليها في المخلوق كالعلم والحياة والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام فانها موجودة في الخالق والمخلوق الا أنها في الخالق على غير ماهي في المخلوق وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم (ان الله خلق آدم على صورته) فليس هناك توافق الا في الاسم ولا يخفى أن مجرد التوافق في الاسم لا يستلزم التوافق في الحقيقة اذا علمت ذلك علمت أن معنى نفي مماثلته تعالى لشيء من مخلوقاته أنه لا يوصف تعالى بشئ من صفات مخلوقاته مما هو ظاهر من أمره أنه من صفات النقصان فن ذلك الموت كما قال تعالى (وتوكل على الحي الذي لا يموت) ومنها النوم وما دونه مما يقتضى الغفلة والسهو عن الادراكات والحفظ للموجودات كما قال تعالى (لا تأخذه سنة ولا نوم) ومنها النسيان والخطأ كما قال تعالى (علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى) الى غير ذلك من النقائص التي صرح بنفيها القرآن الكريم وقامت الموجودات من أرض وسموات أدلة قاطعة وبراهين ساطعة على نفيها عنه تعالى لان وجودها بهذا النظام الجيب والترتیب المحكم

الغريب لا يتخللها اختلال ولا فساد من أكبر الأدلة على نفي هذه النقائص عنه تعالى اذ لو كان شئ من الموت أو الخطأ أو النسيان أو السهو أو الغفلة يدركه جيل شأنه لاختلت هذه الموجودات وقد نبه الله تعالى على هذا المعنى في غير ما آية من كتابه العزيز فقال تعالى (ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده (الآية وقال تعالى) ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم)

((وقد قال الله تعالى في تنزيهه عن الشبيه والمثيل))

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۚ اللَّهُ الصَّمَدُ ۚ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۚ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ

((ما ترشد اليه هذه السورة الكريمة))

ترشد هذه السورة الكريمة الى اثبات أنه تعالى واحد في ذاته وصفاته وأفعاله لا ثاني له وأنه هو السيد الذي ليس فوقه أحد المستغنى عن كل أحد المحتاج اليه كل أحد فيقصدونه لقضاء حوائجهم ومسائلهم ومطالبهم لم يلد لان الولادة تقتضي انفصال مادة منه سبحانه وذلك يقتضى التركيب المنافي للصمدية والاحدية ولم يولد لان كل مولود محدث وجسم وهو تعالى ليس بمحدث ولا جسم فان من المستحيل عليه تعالى نسبة العدم سابقا ولاحقا ولم يكن له كفوا أحد لان من كان متصفا بالصفات المتقدمة من الاحدية والصمدية وعدم صدور ولد عنه وعدم صدوره هو عن والدان متصفا بكونه لم يكافئه أحد ولم يماثله ولم يشاركه في شئ فهو جل شأنه قائم بنفسه لا يحتاج الى موجد يوجده أو محل يقوم به أو مكان يحل فيه لان من

سورة	آية	يحتاج الى ذلك الحوادث والله تبارك اسمه لا يكفى شيئا منها ولا بمائله
		(وقال تعالى أيضا في نفي المثلية وتزيمه عن الشبيه)
شورى	١١	لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ
		(ما ترشد اليه هذه الآية السكرية)
		ترشد الى نفي مشابهة ذاته تعالى لكل ماعداه من الموجودات وانه السميع الذي يدرك جميع المسموعات ادراكا تاما لا على سبيل التخيل والتوهم ولا بواسطة أذن ولا صماخ ولا وصول هواء وانه البصير الذي يدرك جميع المبصرات بدون واسطة عين ولا شعاع ولا غير ذلك تعالى الله عن مشابهة الحوادث علوا كبيرا
		(وقال تبارك اسمه في نفي صفات الحوادث عنه مما هو ظاهر من أمره أنه من صفات النقصان)
البقرة	٢٥٤	اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

(مضمون هذه الآية الكريمة والغرض منها)

الغرض منها نفي الشريك عن الله تعالى وأنه المنفرد باستحقاقه العبادة دون سواه القائم بتدبير خلقه الحافظ لهم المنزه عن صفات الحوادث من الغفلة والذهول وعدم الاحساس والشعور الناشئة عن السنّة التي هي فتور يتقدّم النوم وعن النوم الذي هو بديهي التصوّر يعرض للحيوان من استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الأبخرة المتصاعدة من المعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس بالمرّة وأنه المنفرد بالكبرياء والعظمة ولا يشاركه تعالى فيهما أحد حتى لا يمكن أن يدفع أحد ما يريد بنحو شفاعّة أو غيرها إلا بأذنه وإذا أذن في الشفاعّة لم يكن الشفيّع شفيّعاً على الحقيقة وأنه تعالى المنفرد بالعلم الذاتي الذي هو من صفات الكمال التي يجب أن يتصف الله تعالى بها فلا يعلم أحد من مخلوقاته شيئاً من معلوماته إلا ما شاء أن يعلمه إياه وأنه تعالى المنفرد بالقدرة الكاملة والعظمة والسلطان والملك فلا يشق عليه شاق ولا يتقل عليه ثقل حتى أنه لفرط عظمتيه وعظيم قدرته لا يتقله حفظ السموات والأرض ومن فيهما وما بينهما بل ذلك سهل عليه يسير لديه وهو القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب على جميع الأشياء فلا يعزب عنه شيء ولا يغيب عنه شيء والأشياء كلها حقيرة بين يديه متواضعة ذليلة صغيرة بالنسبة إليه محتاجة فقيرة وهو الغني الجيد الفعال لما يريد الذي لا يسئل عما يفعل وهم يسألون وهو القاهر لكل شيء الحسيب على كل شيء الرقيب العلي العظيم المتعالى عن الاشباه والانداد والامثال والاضداد وعن أمارات النقص وعلامات الحدوث لاله غيره ولا رب سواه

(وقال جل ثناؤه في نفي المماثل وتنزيهه عن الصاحبة والولد)

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ٩٠ تَكَادُ
السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ
هَڈَا ٩١ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ٩٢ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ
يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٣ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا
آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ٩٤ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ٩٥
وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا

(ما تشير اليه هذه الآيات الكريمت)

تشير هذه الآيات الى الرد على من زعم أن الله تعالى اتخذ ولدا
والى التهويل والتشفييع على مقالته بأنها من أكبر المنكرات وأقبح
القبائح المفتريات حتى بلغ من قبح هذه المقالة الشنعاء وعظم هولها
أن كادت السموات تتفطر والارض تنشق والجبال تسقط وتنهد عند
سماعهن هذه المقالة من فجيرة بنى آدم اعظاما للرب واجلالا لانهم
مخلوقات ومؤسسات على توحيده وأنه لا اله الا هو وأنه لا شريك له
ولا نظير له ولا ولد له ولا صاحبة له ولا كفؤ له بل هو الأحد الصمد
وفى كل شئ له آية * تدل على أنه الواحد

وما عقل هذا القائل أنه لا يليق به سبحانه وتعالى أن يتخذ ولدا
لاستحالة ذلك عليه لاقتضائه الجزئية أو المجانسة وكلاهما مستحيل
عليه تعالى وكيف يعقل ذلك وكل من فى السموات والارض عبد لله
سبحانه وتعالى ومملوك له فلا يخرج أحد منهم عن علمه ولا قبضة
قدرته فكيف يناسبه مع ذلك أو يجانسه ليتخذه ولدا وهو الذى
خلقهم وعلم عددهم منذ خلقهم الى يوم القيامة ذكرهم وأنشأهم

صغيرهم وكبيرهم وكلهم آتيه يوم القيامة فردا أى لاناصرله ولا مجبر
الا الله وحده لا شريك له فيحكم في خلقه بما يشاء وهو العدل الذى
لا يظلم مثقال ذرة أى فكيف مع ذلك كله يتصور أنه تعالى يتخذ ولدا
كما زعم أوائل الشجرة تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا

((وقال تعالى في تنزيهه عن الخطا والنسيان مما هو من
شأن الحوادث))

إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى^{٤٩}
قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى^{٥٠} قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ
خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى^{٥١} قَالَ فَمَآ بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى^{٥٢} قَالَ
عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى

طه ٤٨

((ما تشير اليه هذه الآيات الكريمة))

تشير هذه الآيات الى حكاية حال موسى وأخيه هرون عليهما
السلام مع فرعون عليه اللعنة حيث أرسلهما الله تعالى اليه ليلبغاه
مأمرا بتبليغه فقال لهما من ربكما الذى أرسلكما وتدعوانى الى الايمان
به فانى لا أعرفه وما علمت لىكم من إله غيرى فأجابه موسى عليه السلام
بقوله ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى أى أعطى كل شىء صورته
وشكله الذى يطابق المنفعة المقصودة منه فأعطى العين الهيئته التى
تؤدى بها وظيفة الابصار والاذن الشكل الذى يوافق الاستماع وكذلك
الانف واليد والرجل واللسان فان كل واحد منها قد أعطى من الخلق
ما به يؤدى وظيفته التى خلقه الله مستعدا لاجلها ثم هداه وعرفه كيف

ينتفع بما أعطى وكيف يتوصل اليه فأخذ يحتج عليه اللعنة على موسى عليه السلام بالقرون الاولى أى الذين لا يعبدون الله حيث قال له (فما بال القرون الاولى) أى فما بالهم اذا كان الامر كما تقول وأن الرب الذى أرسلك على ما وصفت لم لم يعبدوه بل عبدوا غيره فقال له موسى عليه السلام فى جواب ذلك هم وان لم يعبدوه فان علمهم عند الله مضبوط عليهم وسيجزئهم بعلمهم فى كتاب وهو كتاب الاعمال والله أعلم بحقيقته لا يضل ربي ولا ينسى أى لا يشذ عنه شئ ولا يفوته صغير ولا كبير ولا ينسى شيئاً يصف علمه تعالى بأنه بكل شئ محيط وأنه لا ينسى شيئاً تبارك وتعالى وتقدس وتنزه أى بخلاف علم فرعون فانه مع كونه غير محيط بكل شئ يعتريه النقصان بنسيان ما علم بعد علمه والخطا فيه فكانه عليه السلام يقول لفرعون ان علم ربي على ما وصفت من الاحاطة والشمول وعدم الخطا والنسيان بخلافك فان الخطأ والنسيان من لوازمك فادعائك الربوبية مع قيام الخطا والنسيان بك محض خطأ وصراح كذب

(وقال تعالى فى بيان أنه تعالى مستغن عن كل ماسواه وأن كل ماسواه مفتقر اليه مما هو بين الدلالة فى مخالفته تعالى لكل ماعداه)

يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ
الْحَمِيدُ

(ما يؤخذ من هذه الآية الكريمة)

يؤخذ من هذه الآية الكريمة استغناؤه سبحانه وتعالى عن كل ماسواه من المخلوقات وافتقارها كلها اليه وتذللها بين يديه وأنه المنفرد بالغي

وحده لا شريك له وهو الحميد في جميع ما يفعله ويقوله ويقدره ويشعره
اذ لا موجود الا وهو حادث بفعله وفائض من وجوده سخر الكل للكل
وربط الاسباب بالمسببات ومن نظر في أفراد الكائنات من أرض
وسموات وحيوانات ونباتات وجد الاحتياج من لوازمها والافتقار من
ضرورتها - هذا النبات وهو فرد من أفراد هذه الكائنات يحتاج في
نموه وانباته الى الأرض ليتغذى بتربتها والى الهواء ليمتص ما يحتاج
اليه منه في نموه والى الشمس لتمحه الحرارة الكافية في نموه ونضجه
والى القمر لينضجه والى الانسان ليبذره ويحرقه ويسقيه ويجمعه
ويدرسه ويذريه فهذه الأشياء كلها عوامل في انباته ونضجه والانتفاع
به - وهذا الانسان اذا نظرت الى أفراداه في تبادل المنافع الدنيوية
والمصالح المعاشية والحاجيات الضرورية وجدت الفرد الواحد محتاجا
الى الكل والكل محتاجا الى الفرد الواحد

الناس للناس من بدو وحاضرة * بعض لبعض وان لم يشعر واخدم
وهكذا اقتضت حكمة الخبير باحتياج أجزاء العالم الى بعضها كأعضاء
الجسم الواحد لا يستغنى عضو منها عن الآخر حتى الجادات الى
الجادات كما هو بين ظاهر ليكون الكل تحت فهمه وسلطانه وليبدل
بذلك على استغنائه المطلق عن كل ما سواه واحتياج الكل اليه
أى ومن كان كذلك فهو مخالف لها على خط مستقيم ضرورة أن الذى
يحتاج في جميع حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله الى غيره فلا تقوم
له قائمة ولا يتحرك منه عضو ولا طرف الا به يخالف من هو محتاج اليه
ومن هو مصدر أفعاله وأقواله ومن هو غنى عن كل شئ وهو الله جل شأنه
وحيث ثبت أنه جل شأنه مخالف للعوادث فهو غير محتاج الى موجود
يوجده أو محل يقوم به أو مكان يحل فيه لان من يحتاج الى ذلك هو
الحادث والله جل شأنه مخالف للعوادث وهذا ما يعبر عنه في كتب
الكلام (بقيامه تعالى بنفسه)

الصفة الخامسة الحياة

هي صفة قديمة ذاتية لله جل وعز لا يكتنه كنهها ولا تعلم حقيقةها كسائر صفاته جل شأنه تصح لمن اتصف بها أن يكون عالماً قادراً مريداً لأن من لا حياة له لا يصح أن يتصف بعلم ولا قدرة ولا ارادة وذلك أنه قد ثبت أنه جل شأنه موجود هذا الخلق وحافظه على نظامه الغريب وترتيبه العجيب وحافظ مثل هذا النظام لا يكون الا حياً ولا تكون حياته الا أبدية أزلية

(وقد قال تعالى في بيان أنه تعالى حي لا يموت)

وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ
بِذُنُوبٍ عِبَادِهِ خَبِيرًا^{٥٩} الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ
فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا

(ما تشير اليه هاتان الآيتان الكريمتان)

تشير هاتان الآيتان الى الحث على التوكل على الله تعالى وتفويض الامور كلها اليه والالتجاء اليه والاعتماد عليه في كل ما يهم امره أو يعسر جبره وذلك مع بذل الجهد في استكمال اسباب السعي اذ الأخذ في الاسباب لا ينافي التوكل على رب الارباب وقد علق جل شأنه الامر بالتوكل عليه بأنه هو الحي الذي لا يموت أبداً وهو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم الدائم الباقي السرمدي الابدي الحي القيوم رب كل شئ ومليك

فهو أولى من يتوكل عليه وأحق من يفرع اليه فالتوكل على غيره داعية للفشل والخذلان والندم والحسران لانه اذا توكل عليه ومات ضاع أمله وظهر فشله أما الله جل شأنه فهو حي لا يموت فلهما توكل عليه عبده فهو كافيه وناصره ومؤيده ومظفره وينبغي مع هذا التوكل أن يخلص له في العبادة ويجعلها خالصة لوجهه الكريم ويقرن بين الحمد والتسبيح كما قال تعالى (فاعبده وتوكل عليه) فانه بكل شأنه خير بذنوب عباده لا تخفى عليه خافية منها ولا يعزب عنه منها مثقال ذرة فمكن على حذر منه وراقبه في كل أوقانك ولا تعصه

وأبضا من دواعي التوكل على الله تعالى وتفويض الامور كلها اليه أنه الخالق للكل والمتصرف فيه فمن ذلك أنه خلق بقدرته وسلطانه السموات السبع على ارتفاعها واتساعها والأرضين السبع في ضخامتها وكثافتها وما بينهما في ستة أيام فخلق الارض في يومين الاحد والاثنين وما بينهما في يومين الثلاثة والاربعة والسموات في يومين الخميس والجمعة ثم استوى على العرش استواء لا يدري هيئته الا هو ولا يعلم كيفيته سواه والعرش في اللغة سرير الملك والمراد هنا الجسم العظيم المحيط بالعالم الكائن فوق السموات السبع أو هو الموجود كله ومن كان خالقا قادرا ومتصرفا قاهرا فهو أحق بالتوكل عليه وأولى بالالتجاء اليه لانه لا يصح التوكل على من تنقطع حياته بم بالموت لان في ذلك ضياع من يتوكل عليهم ولا على عاجز لعدم الفائدة ثم قال تعالى (فاسأل به خبيرا) أي استعلم عنه من هو خير به عالم به فاتبعه واقنن به وقد علم أنه لا أحد أعلم بالله ولا أخبر به من عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى فما قاله فهو الحق وما أخبر به فهو الصدق وهو الامام المحكم الذي اذا تنازع الناس في شيء وجب رد نزاعهم اليه فما وافق أقواله وأفعاله

سورة	آية	
		فهو الحق وما خالفها فهو مردود على قائله وفاعله كائنا من كان قال الله تعالى (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول)
		(وقال جل شأنه في اثبات صفة الحياة له تعالى)
غافر	٦٥	هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
		(ما يؤخذ من هذه الآية الكريمة)
		يؤخذ منها اثبات أنه تعالى منفرد بالحياة الذاتية الحقيقية وأنه لا معبود بحق الا هو اذ لا موجود يدانيه في ذاته وصفاته وأفعاله ولذا كان الواجب علينا أن نخلص له في العبادة فلا نشرك بعبادته أحدا ولا نرائ في أية عمل من الاعمال وأن نحمده على ما وفقنا لعبادته وألهمنا من طاعته وهدانا الى متابعتة
		(وقال تبارك اسمه في اثبات صفة الحياة له تعالى أيضا)
طه	١١١	وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا
		(ما يستفاد من هذه الآية الكريمة)
		يستفاد من هذه الآية الكريمة اثبات صفة الحياة لمن تذل الخلائق لعظمته وتخضع لسلطانه وتستسلم لمشيئته وهو الله الحي القيوم الذي لا ينام وهو القسيم على كل شئ يدبره ويحفظه وهو الكامل في ذاته

الذي كل شيء فقير اليه لاقوام له الاله وهو المجازي كالا بهله فن يظلم
غيره ويعمل شرا فتد باء بالخبيبة والفسران وسيفتص الله منه ويؤدي
ما اغتصبه من غيره الى صاحبه ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا فذلك
له الجزاء الاوفى والثواب الموفى الذي لا يخاف معه أن يظلم فيزداد في
سيئاته ولا أن يهضم فينقص من حسناته

الصفة السادسة العلم

هو ما به تنكشف المعلومات سواء في ذلك ماضيها وحاضرها ومستقبلها
أما الماضي فانه ما وجد الاله سبحانه تعالى وما عدم الاله بعده ولا
غربة في أن من أوجد شيئا ثم أعدهم يبقى تعلق علمه به وأما المعلوم
الحاضر فتعلق العلم به ظاهر وأما تعلق علمه تعالى بما سيحصل في
المستقبل فهو أظهر من الظهور فان من الثابت المقرر أن هذا الشيء
الذي سيحصل انما يحصل بعد تعلق الارادة بتخصيصه والقدرة بإبرازه
لان كل الحوادث آثار أفعاله تعالى وحيث كان كذلك فلا بد أن يعلمه
قبل أن يوجد حيث انه أراده فآله سبحانه وتعالى يعلم بعلمه كل شيء
كائنا ما كان في السموات أو في الأرض في البر أو في البحر ظهر أو خفي

وقد قال تعالى في اثبات العلم له ولو بأخفى الخفيات حتى
بما يهيجس على خاطر الانسان وتوسوس به نفسه

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ
أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ

(ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة)

ترشد الى اثبات إحاطة علمه تعالى وشموله لكل الكائنات ظاهرة وخفية

سورة	آية	حتى باعمال النفوس قبل ظهورها على الجوارح وذلك لأن للنفوس أعمالا هن بواعث على ظهور تلك الاعمال على الجوارح بالفعل وتلك الاعمال مراتب فأولها حديث النفس وهو ما يرد عليها من الخواطر مثلا لو خطر له أن وراءه صورة جميلة لو التفت اليها لراها فان هذا الخطر الذي خطر له يسمى حديث النفس وثانيها توجهه النفس وهيجان رغبتها في النظر الى تلك الصورة فان ذلك يسمى ميلا منها وهذا منشؤه حديث النفس المتقدم وثالثها حكم عقله عليه بأنه ينظر اليها فان ذلك يسمى اعتقادا حتى اذا عزم على الالتفات الى تلك الصورة وجزم النية في ذلك سمي ذلك هما بالفعل ونية وقصدا وهذا هو المرتبة الرابعة التي ليس بعدها الا عمل الجوارح بالفعل فالتوجه سبحانه وتعالى لكمال علمه بخفيات الامور يعلم بأول هذه المراتب وهو حديث النفس الذي هو عبارة عن الهواجس التي تخطر على بال الانسان التي عبر الله عنها بقوله (ما توسوس به نفسه) أى فأولى أن يكون عالما بما بعدها من المراتب الثلاثة لأنها أشد خفاء منها وقد أشار الله سبحانه وتعالى الى سبب علمه بالانسان وأحواله وأنه لا يخفى عليه شيء من خفياته بقوله (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) لان القرب من الشيء في العادة سبب العلم به وبأحواله والوريد عرق في العنق
		(وقال جل ثناؤه في بيان كمال علمه تعالى بدلالة الخلق عليه).
المالك	١٣	وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ١٤ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ
		(وجه العبرة في هاتين الآيتين الكريميتين)

هو تحذير المخاطبين عما يرتكبونه من عدم مراقبتهم لجانب الله تعالى في أقوالهم وأفعالهم وأسرارهم وأضمارهم بأنه تعالى عالم بـوارد الأفعال والأقوال فلا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة (إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله) وبلغ من كمال علمه تعالى أن يستوى عنده الأسرار والأجهار وأن يعلم ما بالقلوب فلا يخفى عليه سر من أسرارها ومن كانت حالة علمه بالأشياء هكذا فتجب مراقبته في جميع الحركات والسكنات حتى تحصل السلامة من الزلل والخطأ في الأعمال وقد استدل سبحانه وتعالى على كمال علمه وأحاطته بقوله (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) أي ألا يعلم الخالق خلقه وقد أوجده وهو الذي لطف علمه بما في القلوب وهو الخبير بما تسره وتضمه من الأمور لا تخفى عليه من ذلك خافية

﴿ وقال تعالى في بيان أنه عالم بكل شيء في السموات والأرض حتى الحديث يسره المرء لا يخيه ﴾

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

المجادلة ٧

﴿ ما يشير إليه هذه الآية الكريمة ﴾

تشير هذه الآية الكريمة الى أنه تعالى يعلم ما في السموات وما في الارض من الموجودات وأنه تعالى واسع العلم كثير الاطلاع حتى بلغ من سعة علمه وإحاطته أنه لا يتناجى ثلاثة أشخاص ولا يتسارون بأى كلام كان الا وهو سبحانه وتعالى مطلع عليهم وعالم بما يقولونه وكذا لو كانوا خمسة فانه تعالى يعلم ما يسرون به وما يخفون وایس هذا العدد بشرط بل لو كان المتسارون أقل من هذا العدد أو أكثر منه فان الله سبحانه وتعالى معهم بعلمه يعلم ما يجرى بينهم مهما أجهدوا أنفسهم في إخفاء المكنان الذى يتسارون فيه ولو أغلقوا على أنفسهم مائة باب بل ولو كانوا في بطن الارض لان علمه تعالى بالاشياء ليس بقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الامكنة قربا وبعدا ومع ذلك فلا يتركهم سدى بل لابد أن ينبئهم بما عملوه يوم القيامة

ومن الآية الكريمة يؤخذ دوام مراقبة الانسان جانب الله تعالى في حركاته وسكناته فلا يصدر منه قبيح ولا يقع منه منكر ويحذر أن يفعل ما يراه الله فيه حيث نهاه واذا حدثته نفسه الخبيثة بفعل منكر وهمت به فليعرض عليها قوله تعالى (هو معهم أينما كانوا) فانه ترتعد فرائضه حينئذ ويعرق جبينه نجلا ويستحي أن يفعل ما يغضب الله عليه ان كان في قلبه ذرة من الايمان فان عرض عليها ذلك ولم تنزجر وأبت الا المجاهرة بالقبيح والتعرض لغضب الله تعالى فليعلم أنه من الذين حققت عليهم الضلالة وباؤا بغضب من الله ولهم في الآخرة عذاب عظيم وفقنا الله لمراقبته وأرشدنا الى متابعتة انه سمیع الدعاء واسع العطاء

﴿وقال جل ذكره في بيان علمه بالانسان في حال كونه جنينا في بطن أمه وفي حال نشئه من الارض مع تحذيره من مدح نفسه بما لا يستحق﴾

هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ
فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى

((ما ترشد إليه هذه الآية الكريمة))

ترشد هذه الآية الكريمة الى أنه تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط
بكل المخلوقات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السموات
حتى بالانسان في أصل تكوّنه من النطفة المتكوّنة من الدم المستخلص
من الغذاء النابت من الارض وبعد تكوّنه من تلك النطفة وصيرورته
جنينا في بطن أمه وما يحصل له فيها من التقلبات والتغيرات والاحوال
والتغذية والنمو الى غير ذلك كل ذلك مع ما هي عليه من الظلمة
الحالكة والخفاء الشديد وحيث كان الله تعالى عالما بالانسان قبل
نشئه وبعد نشئه بجميع أحواله وأطواره فهو عالم أيضا بآثاره وأفعاله
سواء كانت خيرية أو شريرة لانها لم تخرج عن كونها فعلا من أفعال
الله تعالى التي خلقها وأجراها على يد من شاء اجراها على يديه من بني
الانسان فلا يسوغ حينئذ لعاقل أن يزكي نفسه ويمدحها ويشني عليها
بطهارة الاعمال وزيادة الفضل بل يجتهد في محاسبة نفسه ومناقشتها في
الاعمال حتى لا يدع للغرور مجالا ثم بكل العلم بخاوصه من شوائب الرياء
والباطل الى الله ويفرض الامر فيه اليه تعالى الخبير الحكيم لانه لا يدري
الحقيقة ولعمل نفسه تلبس له القبيح في صورة الملمح لتغرّه لانها أعدى
الاعداء اليه بمصداق قوله عليه الصلاة والسلام (أعدى عدوك نفسك
التي بين جنبيك) وقد خلقت أمانة بالسوء ميالة الى الشر فطرة من
الخير فلا يكلها وما تحب ولا يغتر بزخرفها ولا ينظر الى ما تحسنه
له من الاعمال بحسب الظاهر وان جمعت منه وتعاصت ولم يقدر على

كبحها ذلها بطالبها أولا بتصحيح الجواب عن جميع ما تسكلم به طول
نهاره وليله وهكذا عن نظره بل عن خواطره وأفكاره وقيامه وقعوده
وأكله وشربه ونومه حتى عن سكوته أنه لم سكت وعن سكونه لم سكن
فاذا عرّفها ذلك حق المعرفة وحاسبها عليه حق الحساب قارن بينه وبين
ما تتمدح به وتفخر من قليل العمل وضئيل الفضل فانها عند ذلك
لا بد أن تخضع وتذل وتستسلم ولا تغتر بواجب قضته ولا بعمل أدته فيسلم
من الزهو والغرور والعجب التي هي منشأ الاخلاق الفاسدة وأصل
كل مصيبة للانسان

ومع ذلك فالمدحوم من هذه التزكية ما كان الغرض منه الرياء والسمعة
أما التمتع بالمحمدة والكرامة عند الناس اذا عمل عملا مفيدا ينفع
عائتهم وخاصتهم فهذا لا بأس به والله الموفق ومنه الرشدا والسداد

﴿ وقال تبارك اسمه في بيان إحاطة علمه تعالى بكل شيء
حتى بالورقة تسقط من شجرتها والحبة في ظلمات الارض ﴾

وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ
وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي
ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مُبِينٍ

﴿ ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة ﴾

ترشد هذه الآية الكريمة الى اختصاص علمه تعالى بمفاتيح الغيب وهن
خمس بينها صلى الله عليه وسلم في قوله (مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن
الا الله إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما

تدري نفس ما ذا تكسب غدا وما تدري نفس بأى أرض تموت ان
الله عليم خبير) مع إحاطة علمه تعالى بالغيبيات غير هذه الخمسة وجميع
المشاهدات والمحسوسات من كل ما فى البر والبحر من الموجودات لا
يخفى عليه من ذلك شئ ولا مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء وما
أحسن ما قيل

فلا يخفى عليه الذر لما * تراءى للنواظر أو توارى
فهو وجل شأنه يعلم الاشياء جملة ومفصلة على اختلاف أنواعها
وأجناسها وتكاثر أفرادها بل لاتسقط ورقة من أى شجرة كانت ولا
توجد حبة صغيرة فى ظلمات الارض وبطونها التى يخفى فيها أكبر
الاجسام لاتساعها وعظمتها بل ولا أى شئ رطب ولا أى شئ يابس
إلا وعلم الله تعالى محيط به لا يخرج عن دائرته فسبحانه من إله عليم
حكيم خبير

(وقال تعالى فى اثبات إحاطة علمه تعالى بما فى السموات
وما فى الارض وبكل شئ)

قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَوَاتِ
وَمَا فِى الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ^{١٧} يَمُنُّونَ عَلَيْكَ
أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ
عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ^{١٨} إِنْ
اللَّهُ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا
تَعْمَلُونَ

(ما يؤخذ من هذه الآيات الكريمات)

يؤخذ من هذه الآيات الكريكات اثبات أنه تعالى عالم بكل ما في السموات وما في الأرض وبكل شيء لا يعزب عن علمه مثقال ذرة بل ولا أصغر من ذلك ولا أكبر مع تجهيل من ادّعوا الإيمان ومنّوا به على النبي صلى الله عليه وسلم وما هم بمؤمنين أي وحيث كان الله عالماً بذلك فهو عالم بسرهم وعلايتهم فكيف يخفى عليه سبحانه ما في ضمائرهم من إخفاء الكفر عند إظهارهم الإيمان وعلى فرض أنهم مؤمنون حقاً فليس لهم أن يعدّوا إيمانهم هذا منة عليه صلى الله عليه وسلم فإن الإيمان هو المنة التي لا يطلب مولياً ثواباً لمن أنعم بها عليه وإذا رد عليهم صلى الله عليه وسلم بقوله (بل الله ينّ عليكم أن هذا لكم للإيمان) أي أرشدكم إليه وبين لكم طريقه على أن فائدة الإيمان وفطرته إنما عادت عليهم لا عليه صلى الله عليه وسلم فكيف يمنون به عليه ثم كرر جل شأنه الأخبار بعلمه بجميع الكائنات وبصره بأعمال المخلوقات فقال (إن الله يعلم غيب السموات والأرض والله بصير بما تعملون) أي يعلم ما غاب فيهما لا يخفى عليه منه شيء وهو بصير بما يعملونه فيجازيهم على الخير خيراً وعلى الشر شراً وفي رده صلى الله عليه وسلم عليهم بقوله (بل الله ينّ عليكم أن هذا لكم للإيمان) من الأدب في حق الله تعالى ما لا يخفى حيث أسند الهداية إليه تعالى وكان مقتضى محاورتهم له أن يقول لهم بل لي المنة عليكم أن هديتكم للإيمان ويكون لو قال ذلك صادقا وإن كنهه الأدب صدر من معدنه فليس يستغرب

(وقال جل شأنه في اثبات علمه تعالى بالغائب والحاضر

والخفي والظاهر)

تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ " سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ
جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ

(ما ترشد اليه هذه الآيات الكريمات)

ترشد هذه الآيات الكريمات الى اثبات تمام علمه وإحاطته بما تحمله
الحوامل من كل إناث الحيوانات من علقه أو مضغعة ذكر أو أنثى
صبح أو قبيح سعيد أو شقي طويل أو قصير تام أو ناقص
وما تنقصه الارحام من الحمل وما تزيده سواء كان ذلك النقص والزيادة
في الخلقة كنقص اصبع أو زيادتها أو في مدة الحمل كالمولود في أقل
مدة الحمل والمولود في أكثرها والمولود فيما بينهما فان الله سبحانه وتعالى
يعلم ذلك حق العلم لا يخفى عليه منه شيء ولا من أوقاته وأحواله
ومع ذلك فلا يوجد الا بالقدر الذي حدد له في سابق مشيئته فلا
يتجاوزه ولا ينقص عنه وهكذا كل شيء - فهو سبحانه وتعالى العالم
بكل شيء سواء الغائب عن الحس والمشاهد لنا فان الكل بالنسبة
له تعالى سواء وهو الكبير الذي كل شيء بالاضافة له صغير المستعلى
على كل شيء في ذاته وعلمه وسائر صفاته المستوى عنده الاسرار بالقول
والجهر به والمخفى بظلمة الليل والظاهر بالنهار فان علمه تعالى شامل
لذلك شمول إحاطة

ومن كانت هذه حاله من العلم فتجب مراقبته تمام المراقبة لا يعصى له
أمر ولا تنتهك له حرمة ولا يخفر له عهد ولازمة وفقنا الله لمراقبته
وهذا الى متابعتة

الصفة السابعة الإرادة

هي صفة قديمة تخصص الممكن بالوجود أو بالعدم وبالطول أو بالقصر وبالحسن أو القبح وبالعلم أو الجهل الى غير ذلك من الشؤون والاحوال وذلك لان كل فعل صادر من الله سبحانه يمكن أن يصدر عنه ضده وما لا ضده من الافعال فيمكن أن يصدر منه ذلك الفعل بعينه قبل الوقت الذي وجد فيه أو بعده والقدرة في إيجادها تناسب الضدين والوقتين مناسبة واحدة فاذن لا بد من ارادة صارفة للقدرة الى أحد المقدورين فتخصص وجود هذا مثلاً دون ضده وهذا في الوقت الذي وجد فيه لافي الذي قبله ولا في الذي بعده فهو المبدئ المعيد والفعال لما يريد فلا موجود الا وهو مستند لمشيئته وصادر عن ارادته

وما في هذه المخلوقات من النباتات والحيوانات والارض والسموات ما يحير الافكار ويشهد بأن مبدعها فاعل مختار لا يحكم عليه ناموس ولا تدخل قدرته تحت تحديد ينبئ عن الاضطرار وعدم الاختيار لانه هو الذي قرر النواميس وحدد السنن

﴿ وقد قال جل ذكره في بيان أنه تعالى مالك الملك يتصرف في ملكه كيف يشاء وفق ما أراد وقدر ﴾

٢٦

الاعران

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَبْدَأُ الْأَمْثَالَ أَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

﴿ ما تشير اليه هذه الآية الكريمة ﴾

تشير هذه الآية الكريمة الى أنه تعالى صاحب الملك الحقيقي المتصرف فيه بما شاء وكيف شاء ايجادا واعداما احياء وامانة وتعذيبا وإماتة من غير منازع ولا عمانع فيعطى الملك من يشاء أن يعطيه اياه وينزعه ممن يشاء أن ينزعه منه ويعز من يشاء أن يعزه ويذل من يشاء أن يذله كل ذلك بحض ارادته واختياره ومشيئته من غير ممانعة من الغير ولا منازعة لأنه تعالى هو القاهر فوق عباده بقدرته وسلطانه لا يقدر أحد منهم أن يعارضه أو يعانعه بيده الخير يتصرف فيه وحده حسب مشيئته لا يتصرف فيه أحد غيره ولا يملكه أحد سواه لا يسئل عما يفعل وهم يسألون

﴿ وقال تبارك اسمه في بيان أنه تعالى فاعل مختار يتصرف بقدرته البالغة حد النهاية ما شاء كيف شاء ﴾

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

﴿ المقصود من هذه الآية الكريمة ﴾

المقصود منها الرد على من كفر بالله تعالى وادعى أن المسيح وهو عبد من عباد الله تعالى وخلق من خلقه هو الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وذلك بأن الله جلت قدرته لو أراد أن يهلك المسيح ابن مريم

سورة	آية	
		ويعلمه لم يكن هنالك من يدفع عنه ذلك والاله لا يصح أن يتعلق به ولا بشأن من شأنه قدرة غيره فضلا عن أن يعجز عن دفع شئ منه عند تعلقها به لانه وحيث كان عجزه بيننا ظاهرا لا ريب فيه ظهر كونه بعزل عما يقولون فيه وليس المسيح فقط هو الذي لا يملك أن يدفع عن نفسه الهلاك اذا أريد به بل أمه كذلك ومن في الارض جميعا لان الكل تحت قهره تعالى وساطاته بما له من التصرف المطلق في السموات وما فيها من الأفلاك والأفلاك وغيرها والارض وما اشتملت عليه من الجبال والادوية والوعور والسهول والآكام والتلال والهضاب والبطاح والآجام والحدائق المختلفة الاشجار المتباينة الثمار وغير ذلك من النباتات والحيوانات والبحر وما فيه من الاسماك والحيوانات وأنواع الحلي وما بينهما من الجو وما اشتمل عليه من الهواء والسحاب والرياح والزوابع والاعاصير وحيث كان الكل تحت قهره تعالى بما فيهم عيسى عليه السلام يتصرف فيهم كيف شاء ايجادا واعداما وإحياء وإماتة فهو الله وحده دون سواه ولازالة ما اعتراهم من الشبهة في أمر المسيح عليه السلام حيث ولد من غير أب وخلق الطير وأبرأ الاعمى والابرص وأحيا الموتي قال الله تعالى (يخلق ما يشاء) أي يخلق الله أي خلق بشاؤه فتارة يخلق من غير أصل كخلق السموات والارض مثلا وتارة أخرى يخلق من أصل كخلق الانسان وهو في خلقه متنوع فتارة يخلقه من أصل ليس من جنسه كخلق آدم عليه السلام من التراب وتارة من أصل يجانس له إما من ذكر وحده كخلق حواء أو من أنثى وحدها كخلق عيسى عليه السلام أو من ذكر وأنثى كخلق سائر الناس ثم هذا الخلق تارة يكون بتوسط مخلوق آخر كخلق الطير على يد عيسى عليه السلام معجزة له

سورة	آية
شورى ٢٧	

وابرائه الاكس والابرص وتارة يكون بلا توسط شئ من المخلوقات
ككثير من المخلوقات

فيجب أن ينسب خلق ذلك كله اليه تعالى لا الى من أجرى على يديه
ذلك لانه تعالى هو الموجد له في الحقيقة وهو على كل شئ قدير

﴿ وقال تعالى في بيان أنه حكيم في صنعه يفعل بحكمته واختياره
ما تقتضيه ارادته ومشيئته حسبما تقتضى به المصلحة ﴾

وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَئِنْ
يُنْزِلْ بِقَدَرِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ

﴿ ما تشير اليه هذه الآية الكريمة ﴾

تشير هذه الآية الكريمة الى الحكمة البالغة والتدبيرات السامية في
كيفية توزيع الله تعالى الرزق على عباده حيث كان فيه نظام العالم
على أحسن وجه وأكمله وذلك لانه تعالى قد أحاط بكل شئ علماً فعلم
أنه لو أعطى خلقه فوق حاجتهم من الرزق لحاجتهم ذلك على البغى
والطغيان من بعضهم على بعض أشراً وبطراً كما أنه لو أفقرهم كلهم
وأعطاهم من الرزق دون حاجتهم لكان الضعف سائداً والهالك لازماً
فاقتضت حكمته تعالى بمحض ارادته واختياره أن ينزل عليهم الرزق
بقدر لا هو فوق الحاجة فيطغى ولا هو دونها فيضعفهم ويذلهم
فرزقهم من الرزق ما يختاره مما فيه صلاحهم وهو أعلم بذلك فأغنى من
يستحق الغنى بعمله في أسبابه وأفقر من يستحق الفقر بكسبه في طلبه
أوجهه بطرفه أو سلبه ما بيده لعدم قيامه على تدبيره أو تسليط بعض
الجوائح عليه فينتليه في صبره أو نحو ذلك مما يعلمه ولا نعلمه وهكذا

سورة	آية	
		الحكيم يفعل عند تصرفه فيما يملك فانه يحل كل شئ في محله ويضعه في موضعه الذي يجب أن يوضع فيه ومن حكمته البالغة حد النهاية أنه جل شأنه منح الغنى للغنى وأودع في قلبه الخوف من الفقر لينزع ذلك وينعه من ظلمه وسلب حقوقه والنعدى عليه ومنح الفقر للفقر وأودع في قلبه الخوف من الغنى ليحمله ذلك على معاونته ومساعدته ومشاركته في أعماله ولولا ذلك لهلك الفقير بظلم الغنى له وهلك الغنى بعدم مساعدة الفقير له لانه لا يمكنه أن يعمل كل ما يحتاجه ويستلزمه غناهم بانفراده وهو مالا يقصده الحكيم من عمله فسبحانه من حكيم خبير مدبر بصير
		(وقال جل ثناؤه في بيان كمال ارادته وعظيم قدرته)
يس	٨٢	إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
		(ما تشير اليه هذه الآية الكريمة)
		تشير الى اثبات ارادته تعالى وكمال قدرته لان شأنه تعالى في الابداد اذا أراد ايجاد أى شئ من الاشياء فانما يقول له كن موجودا فيوجد من غير توقف على استعمال آلة أو ما يتبع ذلك من المشقة والتعب وغير ذلك مما هو ضرورى للانسان اذا أراد عمل شئ من الاشياء بل يفعل ذلك الامر كما يفعل الامر من المأمور المطيع اذا ورد عليه أمر الامر المطاع اذ هو تعالى المالك لكل شئ والمتصرف فيه بمقتضى مشيئته وعلى سنن حكمته فلا يعجزه ايجاد شئ وافق ارادته واقتضته مشيئته فسبحان من بيده ملك كل شئ يتصرف فيه كيف شاء واليه يرجع الامر

سورة	آية
	كله وله انطلق والامر واليه ترجع العباد يوم المعاد فيجازي كل عامل بعمله وهو العدل المنعم المتفضل
	﴿وقال تعالى في بيان أنه فاعل مختار يفعل ما يشاء أن يفعله بمقتضى ارادته ومشيئته﴾
شورى ٤٩	لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ۚ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿ما يستفاد من هاتين الآيتين الكريمتين﴾ يستفاد منهما أن ملك السموات والارض له تعالى من غير منازع ولا مشارك يتصرف فيه كيف شاء بما شاء بمقتضى ارادته ومشيئته فيهب لعباده من الاولاد ما تقتضيه مشيئته فيخص بعضا بالاناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا ويعقم آخرين فلا يهب لهم ولدا لاذكرا ولا أنثى ولا بد أن يكون هذا التصرف على وجه لا يتصور أكل منه ولا أوفق لمقتضى الحكمة والصواب منه رضى بذلك الموهوب له أم سخط لانه جل شأنه منزّه عن الغرض عليم بالمصلحة قدير على ما يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسألون
	﴿وقال تعالت آلاؤه في بيان أنه فاعل مختار﴾
القصص ٦٨	وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ

((ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة))

ترشد الى اثبات الاختيار له تعالى في جميع أفعاله فكل موجود انما وجد باختياره واراادته اذ هو العليم بوجوه الحكمة في هذه الموجودات فليس لأحد من خلقه أن يختار عليه لانه جاهل بوجوه الحكمة والصواب فيما يختاره أى وربك يخلق ما يشاء خلقه وهو سبحانه وتعالى وحده دون غيره ينتقى ويصطفى من خلقه ما يشاء انتقاء واصطفاءه فيصطفى مما يخلقه أنبياء ومقربين ويختارهم للزلفى عنده ويميز بعض مخلوقاته من بعض ويفضله عليه بما شاء فليس لهؤلاء المشركين أن ينتقوا ويصطفوا ما شاءوا ويميزوا بعض مخلوقاته على بعض ويجعلوه مقدما عنده عز وجل على غيره لأن ذلك يستدعى الخيرة ببواطن الاشياء ووجوه الحكمة والصواب فيها والقدرة الكاملة وعدم كون فاعله محجورا عليه أصلا وهم ليسوا كذلك فليس لهم الاتباع اصطفاء الله تعالى وهو جل شأنه لم يصطف شركاء هم الذين اصطفوهم للعبادة والشفاعة على الوجه الذى اصطفوهم عليه فهاهم الاجهال ضلال صدوا عما يلزمهم وتعترضوا لما ليس لهم بحال من الاحوال تنزه الله عن إشرأ كههم واختيارهم عليه مالا يختار وتعالى علوا كبيرا

((وقال جل جلالته في بيان أن خلقه الانسان وتصويره في الرحم على صور متنوعة وأشكال متباينة انما هو بمحض ارادته ومشيئته))

هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة

ترشد هذه الآية الكريمة الى كمال قدرة الله تعالى وقوة اقتداره على تصوير الانسان في ظلمات الارحام صوراً مختلفة في الشكل والطبع واللون والذكورة والانوثة والحسن والقبح والسواد والبياض والطول والقصر كل ذلك بمحض ارادته وبمقتضى مشيئته وكيفية ذلك والله أعلم كما جاءت به الأخبار الصحيحة أن النطفة اذا وقعت في الارحام طارت في الجسد أربعين يوماً ثم تكون علقة أربعين يوماً ثم تكون مضغة أربعين يوماً فاذا بلغ أن يخلق بعث الله ملكاً يصورها فيأتى الملك بتراب بين اصبعيه فيخاط منه المضغة ثم يعجنه بها ثم يصورها كما يؤمر فيقول أذكر أم أنثى أشقى أم سعيد وما رزقه وما عمره وما أثره وما مصائبه فيقول الله ويكتب الملك فاذا مات ذلك الجسد دفن حيث أخذ ذلك التراب وقد أشار الله تعالى الى بيان هذه الكيفية بقوله (ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) وذلك الخلق الآخر أن يكون حيواناً حساساً نامياً سمياً بصيراً مدركاً شاماً ذائقاً لامساً هذا ولونظرت الى كيفية تركيبه وتكون أعضائه ووظيفة كل عضو منها وما شتمل عليه جسمه من المخ والنخج والمجموع العصبي والقلب والرئتين والكبد والطحال والكليتين والمعدة والامعاء والاوردة والشرايين والاورثان والعضلات والغدد والغضاريف والعظام والانسجة والسوائل من دم وصفراء ولعاب وعصارة المعدة والامعاء وعرفت أبنية هذه المذكورات ووظائفها وحركاتها وأعمالها في الجسد من الهضم والتغذية والتنفس والافراز ونظرت الى أعضاء التناسل وأعمالها واتقانها وكيفية التوالد والتدابير التي هيئت لحصوله ولحفظ الولد ونموه وتغذيته لرأيت ما يدهش الالباب ويرشد كل عاقل لبيب الى أن الذي صور الانسان في الرحم بهذه

سورة	آية	
		الكيفية وكونه مما علمت من الاعضاء لابد أن يكون فاعلا مختارا قادرا على ما يشاء مبدعا لما يريد لا يدخل اختياره تحت ناموس يحكم عليه ولا يتوقف في عمله على مشورة غيره حتى يصدر عنه بل هو الفاعل المختار يصور ما يشاء ويحكم ما يريد لا اله الا هو لا شريك له وله العزة التي لا ترام والحكمة والاحكام
		(وقال سبحانه وتعالى في بيان تنزيهه عن الولد وكمال اختياره)
الزمر	٤	لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ
		(المقصود من هذه الآية الكريمة)
		المقصود منها الرد على جهلة المشركين فيما زعموه في الملائكة من أنهم بنات الله تعالى وعلى المعاندين من اليهود والنصارى في العزيز وعيسى من أنهما ابنا لله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وحاصل الرد أن الله تعالى جل شأنه لو أراد أن يتخذ ولدا لكان الامر على خلاف ما يزعمون ولم يأت اتخاذ ذلك حقيقة ولم يأت الابن بختار من جملة خلقه ما يشاء أن يختاره اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوق له ولا يصح أن يكون المخلوق ولدا للخالق لعدم المجانسة بينهما فلم يبق الا أن يصطفيه عبدا وقد فعل ذلك بالملائكة وعيسى والعزيز عليهم السلام واختارهم عبدا له فافتتنتم وغرركم اختياره تعالى لهم فزعمتم أنهم أولاده جهلا منكم به وبحقيقته المخالفة للأجسام والاعراض ثم أخذ الله تعالى بقرر الدليل على استحالة اتخاذ الولد بأنه هو الله الواحد القهار وذلك لأن اتخاذ الولد يقتضي تبعضا وانفصال شيء من شيء ومماثلة بين الولد والوالد والوحدة الذاتية الثابتة له تعالى بالبراهين

سورة	آية
	القاطعة والادلة الساطعة تأبى التبعض والانفصال لاستلزامهما التركيب الذى هو من شأن الحوادث وكذا المماثلة لاستلزامها الحدوث والله تعالى منزله عنه وكذا وصف القاهرة ينافى اتخاذ الولد لانها تقتضى الغنى المطلق وهو يستلزم الاحتياج وهم امتبايان تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا
	﴿ وقال جل شأنه فى بيان أن الهداية والضلال انما هما بمحض ارادته ومشيئته ﴾
الانعام ١٢٥	فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يَضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ
	﴿ مضمون هذه الآية الكريمة وبيان الغرض منها ﴾
	مضمونها أن الاستعداد للهداية وقبولها والضلال والجور فيه انما يرجع الى ما وضعه الله فى غرائز الاشخاص فالاول يشرح صدره للإسلام والثانى يضيق صدره ويخرجه حتى اذا أراد أن يمد عنقه اليه فكأنما يصعد فى السماء ولا يجد السبيل - وليس المراد أن المرء مجبور فى ذلك ولكن ان ما يكون منه انما هو جلي راجع الى أمور فى أصل الخلقة أو فيما طرأ عليها ولا شئ من ذلك بغالب لارادة الله - بل هو مردود الى ما اراده فى وضع سنن الكون فلا يظن الضال أنه مرغم له فى ضلاله أو معجز له فى غلوئه

﴿ وَقَالَ تَبَارَكَ اسْمُهُ فِي بَيَان أَنَّهُ إِذَا تَعَلَّقَتْ أَرَادَتُهُ تَعَالَى بِإِهْلَاكِ
قَوْمٍ سَاطِعِيهِمْ أَنْفُسَهُمْ بِالْفَسْقِ وَخَالَفَتْهُ تَعَالَى فِيمَا
أَمَرَ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ ﴾

وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا
فَحَقَّقْنَا عَلَيْهِمُ الْقَوْلَ فَدَمَّرْنَا هَا تَدْمِيرًا

﴿ ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة ﴾

ترشد هذه الآية الكريمة الى بيان أن التمتع والرفاهية الخارجين عن حد
الاعتدال مجلبة لمعاصي الله تعالى وأكبر وسائل الفسوق والعصيان فالله
سبحانه وتعالى إذا اقتضت إرادته العلية وحكمته الإلهية المبنية على
العدل وعدم الجور إهلاك قوم أرسل اليهم رسوله أولاً لينذروهم
ويخوفوهم فاذا كذب مترفوهم المتمتعون فيهم وهم الرؤساء ففسقوا
وخرجوا عن طاعة الله تعالى ولم يمتثلوا ما أمروا به من هؤلاء الرسل
أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر فأهلكهم عن آخرهم وما كان لهم من
الله من واق

الصفة الثامنة القدرة

هي صفة قديمة يوجد الله بها ما يشاء أن يوجد وبعدها ما شاء أن
يعدمه وفق إرادته وذلك لانه قد توطأت العقول وتواترت النقول
على أن الذي أبدع هذا العالم وأبرزه من العدم الى الوجود ونوعه الى
هذه التنوعات العجيبة الغريبة من سماويات وأرضيات جادية ونباتية
وحيوانية كل ذلك مع نهاية الاحكام والاتقان هو الله تعالى وحده
لا سواه ولا يكون مع ذلك الاقادرا اذ لو رأيت بيتا محكم البنيان مشيد

الدعائم والاركان مبنيا على قواعد هندسية وأعمال نظامية في غاية الضبط ونهاية الاحكام لجزمت عند رؤيتك له أن الصانع له رجل بصير بالبناية ذو قدرة كافية لصنعه وذو علم كاف لاتقائه واحكامه ولو قلت ان الذي صنع هذا البيت رجل أمي أعمى أعمى مقطوع اليدين والرجلين عاجز أبتر لايدري شيئا من علم الهندسة ولا فن العمارة لقوبلت بالتكذيب وشدة النكير وجردت من العقل وانخرطت في سلك أهل الغباوة والجهل

واني لأذكرك أن طرفا من هذه المبدعات المتناهية في الاحكام والاتقان مما يكون لك أوضح دليل وأقوى برهان على أن عظمته تعالى وعظمته قدرته لاتحد ولاتدركها العقول ولا تحيط بها الافكار وكل عمل بعدها مهما بالغ من العظمة وتسامى في الدقة وتعالى في الاحكام فهو في جنب عظمة الله تعالى وكمال قدرته حقير هيّن واضح بين سبحانه ما أعظم شأنه وما أكمل سلطانه بيده الخير والتدبير وهو على كل شيء قدير

هذا الحيوان الذي بلغ في الصنع أعلى منازل الغرابة وأسمى درجات الاحكام حتى ضرب الله به الامثال في كتابه العزيز فقال (فليتنظروا الانسان ثم خلق خلقا من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب) وقال جل شأنه (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) وقال تبارك اسمه (وان لكم في الانعام لعلوة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين) الى غير ذلك من الآيات التي لاتعداد تحصى ولا يمكن أن تستقصى ولاتسأل عن اختلافه واختلاف أنواعه وأصنافه فانه الكبير والصغير ومنه ما يعيش في الهواء وما يعيش في الماء وما يعيش على سطح الارض وما يعيش في اثنين من ذلك ومنه ما يعيش على قدميه ويداه آلتان لأعماله وتناول غذائه كالانسان أو هما جناحان يسبح بهما في الهواء ومنه ما يعيش على أربع ومنه

ما يعيش على بطنه ومنه ما يتناول غذاءه بيديه وما يتناول بفيه وما يتناول بمشواره وما يتناول بأنفه كالفيمل وما يتناول بلسانه كالخرباء حيث تمد لسانها لتلتقط به الذباب من الهواء ومنه ما يرضع أولاده بشديه أو ثديته التي تكون على عدد أولاده غالبا ومنه ما يرضع أولاده زقا كالجمام ومنه ما يسعى بأولاده ويداهما على أفواتها كالجاج ومنه ما يلد الواحد ومنه ما يلد الكثير ومنه ما هو مكسو بالريش ومنه ما هو مكسو بالصوف أو بالشعر أو بالوبر أو بالعظم كالسحفاة ومنه ما ليس عليه إلا الجلد والبشرة ومنه طويل اليدين قصير الرجلين كالزرافة ومنه بالعكس كالأرنب ومنه قصير العنق ومنه طويله ومنه ذو العينين ومنه ذو العيون كبعض العناكب ومنه مستطيل الأذنين ومنه قصيرهما ومنه ذو الحافر ومنه ذو الطلف وذو الخف وذو القدم ومنه غير ذلك ثم ما في الحيوان من التركيب وتكون الأعضاء والحواس الظاهرة والباطنة ووظيفة كل عضو منها واختلاف أبنيتها ودقائق صنعها وانطوائها على الفوائد الجمة والمصالح التي بنيت على الحكمة مامعه تنهر العقول وتخير الأفهام فسبحانه من الله قادر على ما صار وما هو صائر

وهذا النبات الذي اشتتل على الغرائب والعجائب وحير الالباب بما أودع فيه من النظام المحكم والاسرار والحكم حتى جعله الله آية لمن يعقل وتبصرة لمن يتدبر ويتفكر قال الله تعالى (وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون) وقال جل شأنه (فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صبينا الماء صبا ثم شققنا الأرض شققا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا

وفاكهة وأباً متاعاً لكم ولا نعامكم) والآيات في بيان ما اشتمل عليه من الغرائب والعجائب لا تكاد تحصى - بينما نرى بذوره حبوباً يابسة عديمة النمو والحياة اذ نراها دخلت في تركيب النباتات فانقلب جسمها نامياً متغذياً مكتسباً خواص لم تكن له من قبل ثم ننظر في ذلك الجسم النباتي فنراه من جهة عديم الإرادة فاقد الإدراك أشبه شئ بالجماد وننظر اليه من جهة أخرى فنراه قد امتد بعروقه في بطن الارض لتناول الغذاء ولا تسأل عن اختلاف أشكاله وأشكال أوراقه وأثماره وبذوره وروائحهم وطعومه وألوانه ومنافعه ومخاربه ومع اشتراك أنواعه في الخضرة لا تكاد تجد خضرة نوع تشبه خضرة نوع آخر وأزهاره أكثر اختلافاً وأوفر تبايناً فمنها الأصفر والاحمر والازرق والابيض والاخضر والمطرز بأنواع النقوش الى غير ذلك مما يفوق الحصر كل ذلك مع اتحادها في أنها تسقى بماء واحد وتتغذى بتربة واحدة وتمتص ما يلزمها من هواء واحد فسبحان الحكيم الخبير القادر العليم

وهذه الارض وما اشتملت عليه من بحر وما فيه من السمك على اختلاف أجناسها وأنواعها وصنوفها وما فيه من العذوبة والمالحة والأمواج التي كالجبال والحلى التي تستخرج منه ومن عجائبه المد والجزر - وبروما فيه من الجبال والودية والكهوف والسهول والمعادن والحيوانات والنباتات - وقد أشار الله تعالى الى ما اشتملت عليه من الغرائب والعجائب من باهر القدرة وعظيم الحكمة فقال (هو الذي جعل لكم الارض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) وقال جل شأنه (الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله واعلمك تشكرون وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعاً منه ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)

وهذه السموات وما اشتملت عليه من الكواكب ومعانيها ودورانها في
أفلاكها بهذه الحركات المنتظمة مع اختلافها في الصغر والكبر وسرعة
سيرها في أفلاكها وبطئها واختلافها في النور والظلمة فمنها ما نوره أحمر
ومنها ما نوره أصفر ومنها ما نوره أبيض ومنها غير ذلك ومنها ما نوره أصلى
كالشمس وما نوره مكتسب كالقمر وبقيّة السيارات ومنها ما يخضع لحرارة
الحرارة ومنها ما فيه الحرارة ومنها غير ذلك مما يفوق العد ولا يحيط
بإمراره أحد كل ذلك مع ترتيبها المخصوص واشتمالها على المنافع بحسب
مصلحة المخلوقات التي أشار الله تعالى إلى بعضها بقوله (الله الذي خلق
السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم
وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم
الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظالم كفار) وقوله تعالى
(الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر
الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم
تلقوا ربكم توفقون) وقوله جل شأنه (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات
طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا)
فلا جرم أن من أوجد هذه الموجودات المتقدمة وأحكمها وأبدع
إيجادها على غاية الأحكام والاتقان يكون قادرا أنم القدرة لا تدخل
أعمال قدرته تحت تصور بشر أو احاطة فمكر

((ولبيان آثار قدرته تعالى في مخلوقاته أشار بقوله))

أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا
وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۖ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا

رَوَّاسِي وَأُنْبِتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ^٨ تَبْصِرَةً
وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ^٩ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ^{١٠} وَالنَّخْلَ
بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ^{١١} رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً
مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ

(ما تشير اليه هذه الآيات الكريمة)

تشير هذه الآيات الكريمة الى اثبات كمال القدرة لله تعالى والرد على
منكري البعث بأنهم كيف غفلوا عن النظر الى آثار قدرة الله تعالى في
خلقه السموات مع ما هي عليه من شدة الاتقان والاحكام وتزيينها
للناظرين بالكواكب المنيمة على أبداع نظام وسلامتها من كل عيب وخلل
وفي خلقه الارض وبسطه لها وما أوجده عليها من الجبال الثوابت لثلا
ثيمد بأهلها وتضطرب وما أنبت فيها من جميع الزروع والثمار والنبات
والبساتين الكثيرة الاشجار وحب الزرع الحصيد والنخل الطوال وغير
ذلك من المزروعات كل ذلك بواسطة نزول الماء على الارض واحيائها
بالانبات فيها بعد أن كانت جربة قعلة سوداء لاخصب فيها ولاغماء

أى ومن فعل ذلك كله بقدرته العظيمة وهو أعظم مما تعجبوا مستبشرين
لوقوعه فلا بد أن يكون قادرا أتم القدرة وحيث كان ذلك مشاهدا
لكم وتعتقدونه وتعلمونه حق العلم فانكاركم البعث بعد ذلك وهو
أهون عليه وأقل كلفة ومؤنة مما لا يقول به عاقل ولايجول بفكر
حكيم ينظر في الاشياء نظر متفكر معتبر اذ أى عاقل يتفكر في هذه
المخلوقات وكيف وجدت مع عظمها وصعوبتها في الخلقة ولايجزم لا قول

سورة	آية	وهذه أن فاعل ذلك لابد أن يكون قادرا واذن فهو قادر على البعث بالطريق الأولى كما قال تعالى في آية أخرى (نَحْلُقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ) وقال تعالى (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) وقال تعالى (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنْ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)
		(وقال جلت قدرته في اثبات كمال قدرته تعالى وعجز ما سواه وفيه بيان استحقيقه للعبادة دون سواه)
الحج	٧٢	يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ
		(ما ترشد إليه هذه الآية الكريمة)
		ترشد هذه الآية الكريمة الى بطلان معتقد هؤلاء الناس الذين جعلوا الاصنام التي يعبدونها من دون الله آلهة تستحق العبادة وتليق بأن يلجأ اليها في الحاجات وذلك أن الله تعالى يقول لهم ان الاله الحق الذي يستحق العبادة دون سواه هو الكامل في القدرة من اذشاء فعل لا تدخل قدرته في تصرفاتها تحت ناموس ولا تتوقف على إعانة معين وليس ذلك الا الله وحده أما هذه الاصنام فليست كذلك لانها لو اجتمعت على أن تخلق هذا الطائر المسمى بالذباب وهو على ما هو معلوم من صغره

وحقارته فضلا عن جبل أو جبل أو فيل أو سماء أو أرض أو غير ذلك لم يقدروا كما أن الذباب المذكور لو أخذ مما عليهم شيئا مما كانوا يلطخونهم به من الطيب والزعفران ونحوهما لم يقدروا كذلك على استرداده منه وهذا بعينه نهاية العجز وغاية الضعف فكل من الطالب وهو الاصنام والمطلوب وهو الذباب ضعيف لا يقدر على شيء فكيف يكونون مع ذلك آلهة كما زعموا فعبادتهم لهم مع ذلك ضرب من سخافة العقل وسوء الاختيار وضعف العزيمة

﴿ وقال جلت قدرته في بيان كمال قدرته بما أودعه في عالم المخلوقات من أرض وسهوات وأحياء وأنبات وفلك وأفلالك وأيل ونهار ورياح وسحاب من العبر والآيات ﴾

أَنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلُوكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْيَبَ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَاتِ اقْوَمُ يَعْقِلُونَ

البقرة ١٦٤

﴿ المقصود من هذه الآية الكريمة مع بيان معناها ﴾

المقصود منها الاستدلال بالنظر في هذه الموجودات المذكورة في الآية الكريمة من خلق السموات والأرض وما فيهما من البهائم والغرائب واختلاف الليل والنهار بالزيادة والنقصان والمجيء والذهاب مع تعاقبهما على ذلك بحالة منتظمة لا يتغيران مهما تعاقبت الفصول وتوالت الأعوام

ومن السفن التي تجرى على الماء ولا ترسب مع ضخامتها محملة بالانقال وغير محملة لينتفع الناس بها في أمور معاشهم وانتظام أحوالهم ومن انزال الماء من السماء فنبت به الارض بعد يسها وتنتشر فيها الدواب بما تأكله من ذلك النبات ومن تهريف الرياح وتقلبها جنوبا وشمالا وشرقا وغربا حارة وباردة ومن الغيم المسخر بين السماء والارض بسلا علاقة تمنعه من السقوط ولا تمسك بمسكه يسير حيث شاء الله تعالى (على أنه تعالى قادر أتم القدرة) لا تنتهى قدرته عند حد ولا يدرك مقدار عظمتها أحد فان من نظر في هذه الموجودات المذكورة في الآية نظر تفكر وتبصر واعتبار وجد أن كلا منها مشتمل على وجوه كثيرة للدلالة على كمال قدرته ونهاية عظمته واتصافه بصفات الكمال وتنزهه عن صفات النقصان مما يوجب تخصيص العبادة به وحده دون سواه ولذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها) يريد هذه الآية الشريفة

(وقال جلت قدرته في بيان كمال قدرته وتعام عظمته)

قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِّنْ تَحْتَ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ

(ما يؤخذ من هذه الآية الكريمة)

يؤخذ من هذه الآية الكريمة أن الله تعالى قادر على أن يرسل العذاب

من كل جانب على من كذب بآياته وانتكح حرمانه فعسى أمره وفعل نهيه
ونبذ العمل بما في كتابه القويم وراءه ظهريا وذلك بأن يرسل عليه من
فوقه الصواعق والقذف والجمرة والريح والطوفان ومن تحت أرجله
الحسف والرجف والزلازل جزاء بما كسبت يده من الله والله
عزيز حكيم

والطامة الكبرى والبليّة العظمى أن يجعلهم مختلفي الكلمة متفرقي
الاهواء متنازعين متباغضين متفاسلين لا يسعى أحدهم جلب منفعة
لأخيه بل يؤذيه بيده وفيه لا يتواددون ولا يتعاونون بل يتحاسدون
ويتباغضون لا تجتمع كلمتهم الا على ما تفرقت عليه قلوبهم وحسب التفرق
ذما أن صاحبه بعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم والنبي بعيد عنه
قال الله تعالى (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) وأن
نتيجته الفشل والخذلان كما أخبر بذلك الله جل شأنه في قوله (ولا تنازعوا
فتفشلوا) وما كان الله تعالى ليفعل بهم ذلك فقط بل يسلط بعضهم على
بعض فيسفل هذا دم ذاك ويغير عليه وينهبه ويسرقه ويأسره ويعذبه
وهكذا لا تخلو جميع أحدهم من المنغصات والمكدرات والمنازعات
والمشاكل وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون
اللهم وفقنا لطاعتك فهي ملاك الامر وجع الخير حتى نأمن عذابك
واجمع قلوبنا على ما فيه نفعنا ونظام حالنا واقامة شؤنا ولا تذق بعضنا
بأس بعض انك على كل شيء قدير

((وقال تعالى في بيان كمال قدرته وعجز من سواه وفيه الرد على

منكري البعث))

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَكُنْ

بَخْلَقَهُنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

(ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة)

ترشد هذه الآية الكريمة الى اثبات قدرته تعالى على أن يبعث
الخلق ويحييهم بعد فنائهم لينيب المطيع على طاعته ويعذب العاصي
ان شاء على معصيته وذلك لانه قد ثبت بالدليل القاطع والبرهان الساطع
أن الله تعالى هو الذى خلق السموات والارض ولم يعجزه خلقهن فهو
قادر على أن يحيى الموتى بالطريق الاولى لان احياءهم بعد موتهم
أسهل بكثير من خلق هذين الجرمين العظيمين الكبيرين من غير سبق
مثال يحدو على منواله كما قال تعالى (عأنتم أشد خلقا أم السماء بناها
رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والارض بعد ذلك
دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها) فسبحان من لا يقدر قدر قدرته الا
هو ولا يحيط بعظمته سواء

(وقال تعالى فى اثبات قدرته وكمال عظمته وفيه الرد

على من ينكر البعث)

أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ٧ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ٨ وَخَلَقْنَاكُمْ
أَزْوَاجًا ٩ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ١٠ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ١١
وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ١٢ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ١٣
وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ١٤ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً

تَجَاوَزَ الْخُرُوجَ بِهِ حَبًا وَنَبَاتًا وَجَنَاتٍ أَلْفَافًا

(مضمون هذه الآيات الكريمات وبيان الغرض منها)

مضمونها الرد على منكرى البعث بأثبات كمال قدرته تعالى وقام عظمتها حيث خلق الأرض وجعلها مهادا ليسهل المشى عليها وخلق الجبال وثبت بها الأرض كما تثبت الخيام بالآوتاد وخلق الإنسان وجعله ذكرا وأنثى وخلق له النوم ليستريح به من عناء ما يكابده من المشقات والمتاعب وخلق الليل وجعله ساترا بظلمته لما لا تحب الاطلاع عليه من كثير من الأمور وخلق النهار وجعله وقتا للسعي على معاشنا والتقلب في حوائجنا ومكاسبنا وخلق السموات السبع مع شدة احكامها ونهاية اتقانها بحيث لا يؤثر فيها مرور الزمان ولا تقادم الدهور وخلق في احدها الشمس مثلاثة مضيئة لنسهي بواسطتها على معاشنا وأرزاقنا وتنضج بحرارتها النبات وأنزل من السحابات التي حان لها أن تطر ماء منصبا بكثرة فأخرج به ما به حياتنا من القوت كالبر والشعير والفلول وغيرها كما أخرج البساتين الملتفة أشجارها على بعضها لكثرتها

أى وحيث خلق الله هذه المخلوقات العجيبة الدالة على كمال قدرته فما وجه انكاركم قدرته تعالى على البعث وما هو الايجاد وأثر من آثار قدرته تعالى كهذه الآثار بل هو أهون وأقل كلفة ومؤنة منها لان من المعلوم الثابت المقرر أن من يخترع شيئا ويوجده من غير سبق مثال أصعب بكثير من ايجاده بعد عدمه المسبوق بذلك الايجاد المخترع وهذا بداهة وله نظائر كثيرة في الشاهد انهم ليقولون قولا عظيما

سورة	آية	
الفرقان	٥٤	(وقال جل شأنه في بيان كمال قدرته بخلقه الانسان من الماء) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا (ما يؤخذ من هذه الآية الكريمة) يؤخذ منها اثبات كمال قدرته تعالى حيث قدر على أن يخلق من الماء الذي هو النطفة بشر احساسا ناميا سميعا بصيرا متكاملا مدركا شاملا ذائقا لامسا عاقلا حكيما يجول في فكره في كل شئ ويتصرف في كثير من هذه الكائنات في هذا العالم ذا أعضاء مختلفة وطباع متباينة وجعله قسمين متقابلين ذوى نسب أى ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر أى إناثا يصاهر بهن فتبارك الخلاق العظيم الذى ينشئ هذا المخلوق العجيب والمصنوع البديع من قطعة ماء قدرة المنظر كريمة الرائحة تشمئذ النفس لرؤيتها لو أصابها الهواء لفسدت من ساعتها ان في ذلك لعبرة لأولى الالباب (وقال جل قدرته في بيان كمال قدرته وانه اذا اراد فعل أى شئ لا يمكن غيره أن يعارضه أو يعانعه)
الانعام	١٧	وَأَنْ يَّمْسَسَكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَأَنْ يَّمْسَسَكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^{١٨} وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ

(مضمون هاتين الآيتين الكر عتین و بیان الغرض منهما)

مضمونهما اثبات کمال قدرته تعالى وأنه هو المنصرف المطلق يتصرف في ملكه بقدرته كيف يشاء فاذا قدر أن يتليك برض أو فاقة فلا يقدر أحد سواه أن يكشف ذلك عنك كما أنه اذا منحك الصحة والعافية والغنى أو غيرها حفظها عليك من غير أن يقدر على دفعها ومنعها عنك أحد سواه فهو الركن الذي عليه الاعتماد والمبدأ الذي من التجأ اليه ساد - وفي معنى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم لابن عباس وكان غلاما صغيرا (يا غلام احفظ الله تعالى يحفظك احفظ الله تجده أمامك واذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله جف القلم عما هو كائن ولو جهد العباد أن ينفعوك بشئ لم يقضه الله سبحانه وتعالى لم يقدروا عليه ولو جهدوا أن يضروك بشئ لم يقضه الله تعالى عليك لم يقدروا عليه فان استطعت أن تعمل لله تعالى بالصدق في اليقين فاعمل فان لم تستطع فان في الصبر على ما تمكره خيرا كثيرا واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج من الكرب وأن مع اليسر يسرا)

ومن هذه الآية الكرمة وهذا الحديث الشريف يستبين قبح ما يفعله الجهال والعوام عند زيارتهم قبور الاولياء والصالحين من طلبهم منهم كشف الضر وشفاء المرضى وسعة الرزق وامتداد الآجال وبقاء الاعمار وغير ذلك مما هو أقرب الى الشرك منه الى الايمان فان في ذلك اشراك الغير لله سبحانه وتعالى في طلب ما لا يصح طلبه الا منه لان الكل عبيد مسخرون تحت قدرة الله تعالى وسلطانه لا يتصرفون في شئ من الكائنات ولا يعلمون شيئا من الغيبات الا من اصطفاه الله منهم واختاره فانه أطلعهم على قليل منه ولكن لا يشاركه به في التصرف في هذه الكائنات ونغاية الامر أن ينال الخطوة لديه وتشريفه على غيره وقربه اليه فانه

جل شأنه هو وحده الذى له الملك يتصرف فيه بما شاء وكيف شاء
وهو القاهر فوق عباده بقدرته وسلطانه وهو الحكيم بتدبير خلقه الخبير
بما دق من أحوالهم وخفى من أمورهم

الصفة التاسعة الواحدانية

هى عدم التعدد فى الذات والصفات والأفعال فأنه سبحانه وتعالى واحد
فى ذاته أى ليست ذاته مركبة من أجزاء ولا شريك له فى الملك يساهمه
ويساويه ولا ضده فىنازعه ويدانيه - وواحد فى صفاته أى ليس
له صفتان من جنس واحد وليس لاحد صفة تشبه صفة من صفاته ولا
يهولئك اشتراك صفاته تعالى مع صفات غيره فى الاسم فيقال الله موجود
كما يقال الانسان موجود وقادر ومريد وسميع وبصير ومنكلم كذلك لان
صفاته تعالى قديمة ليست أعراضا بخلاف صفات غيره التى تشاركها
فى الاسم فانها أعراض حادثات زائلة وفرق بين القديم والحادث -
وواحد فى أفعاله أى ليس لاحد غير الله تعالى فعل من الأفعال فالأفعال
كلها خيرها وشرها مبدعها وخالقها وفاعلها الله وحده بلا شريك ولا
معين فهو المنفرد بالخلق والابداع والمستقل بالايجاد والاختراع لارب
غيره ولا معبود سواه اذ لو كان له نديدانيه أو ضد يساويه أو شريك
يعينه أو مساعد يعضده لما انتظم لهذا الكون حال بل اتسع فى فساد
المجال ولما وجد بعد العدم لانه ان أراد أحدهما أمرا فالثانى ان
كان مضطرا الى مساعدته كان هذا الثانى مقهورا عاجزا ولم يكن إلها
قادرا وان كان قادرا على مخالفتيه ومدافعتيه كان الثانى قويا قاهرا
والاول ضعيفا قاصرا ولم يكن إلها قادرا والامر فى الاثنين كالامر
فى غيرهما

﴿ والى تفرد سجنانه وتعالى فى الذات وعدم الشريك والمعين يشير الله تعالى بقوله ﴾

آية - سورة

لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ
الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ

الانبياء ٢٢

﴿ ما تشير اليه هذه الآية الكريمة ﴾

تشير هذه الآية الكريمة الى ابطال تعدد الالهة وانه لا موجود منها الا واحد وهو الله تعالى بأنه لو كان فى السموات والارض آلهة معبودون غير الله تعالى لفسدتا وبطلتا بما فيهما من المخلوقات وخرجتا عن نظامهما المشاهد وهلك من فيهما لوجود التمايز فى الشئ وعدم الاتفاق عليه لان كل امر صدر عن اثنين فأكثر لم يحجر على النظام ويدل العقل على ذلك وذلك أنا لو قدرنا وجود الهين فاما أن يتفقا على وجود هذا العالم أو يختلفا فان اتفقا فلا جائز أن يوجداه لانه يلزم عليه اجتماع مؤثرين على أثر واحد وهو محال لاستلزامه أن كلا منهما لم يوجد به بانفراده بل بمشاركة الآخر له وعليه فيكون هذان الالهان قد ركبا وجعلا الهما واحدا ينسب اليه اليجاد ولا ينسب لكل منهما على انفراده لانه جزء الموجد لا موجد مستقل واله العالم انما هو موجد و اذا قيل ان الاله هو المجموع المركب منهما كان ذلك باطلا لاستلزامه التركيب وهو محال على الاله الموجد للعالم لان التركيب من صفات الحوادث ولا جائز أن يوجداه مرتبا بأن يوجد أحدهما ثم يوجد الآخر لانه يترتب عليه تحصيل الحاصل وهو محال ولا جائز أن يوجد أحدهما البعض والثانى البعض الآخر للزوم عجزهما حينئذ لانهما تعلقت قدرة أحدهما بالبعض سدا على الآخر طريق تعلق قدرته به فلا يقدر على

مخالفته وهو عجز والعجز على الاله محال

وان اختلفا بان أراد أحدهما ايجاد العالم والآخر اعدامه فلا جائز أن
ينفذ مرادهما لانه يلزم عليه اجتماع النقيضين ولا جائز أن ينفذ مراد
أحدهما دون الآخر للزوم عجز من لم ينفذ مراده والآخر مثله لانه عقاد
المماثلة بينهما فثبت أن القول بوجود الهين أو كثر يوجب الفساد
وحيث ظهر مما تقدم أن وجود جنس الالهة غير الله تعالى متفقين
أو مختلفين محال كما علمت فلم يبق اذن سوى أن الله هذا العالم
وموجده لا بد وأن يكون واحدا تنزه الله سبحانه عما لا يليق به وتعالى
عما وصفوه به من التعدد علوا كبيرا

﴿ وقال عز وجل في بيان وحدانيته تعالى وتفرد به بالاجاد مستدلا
على ذلك بمصنوعاته ومخلوقاته ﴾

النمل ٦٠

أَمِنْ خَلَقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ
تَنْبِتُوا شَجَرَهَا ؕ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ٦١ أَمْ
يَعْمَلُونَ الْآرِضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خَلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ
لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ؕ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٦٢ أَمْ يَحْسِبُ الْمُضْطَرُّ إِذَا
دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْآرِضِ ؕ إِنَّهُ
مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَدَّكُرُونَ ٦٣ أَمْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتٍ
الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ

عَالَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ تَعَالَى يُشْرِكُونَ ٦٤ أَمَّنْ يَبْدَأُ
الْحَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
عَالَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

(الغرض من هذه الآيات الكريمات)

الغرض منها توبيخ الكفار على ما يعتقدونه من الشريك لله تعالى وعدم
تفرد الألوهية واختصاصه بالعبادة بذكر بعض أفعاله التي لا يقدر عليها
غيره حتى يتوهم جعله شريكاً له تعالى في العبادة وذلك أنه خلق السموات
والارض وأبدع إيجادهما وأنزل لأجل منفعتكم من السماء ماء فأنت
به الحقائق المختلفة الاصناف والاصناف والالوان والطعوم والروائح
والاشكال والثمار مع اشتراكها في أنها تسقى بماء واحد وتتغذى
بتربة واحدة وتقتض ما يلزمها من هواء واحد وجعل الارض مسطحة
بحيث تصلح لمعيشة الانسان عليها فلم يجعلها مندحجة الاجزاء بحيث
يصعب المشى عليها ولا متخللتها بحيث تغوص الاقدام فيها وجعل
خلالها أنهاراً جارئة تنفع بها في أنفسنا وأموالنا وأقواتنا وجعل عليها
جبالاً ثوابت وجعل بين البحرين العذب والملح فاصلاً يمنع من استزاجهما
بعضهما واستعوز المناخ ومن ألبأته الضرورة والحاجة اليه وأزال
عن الانسان ما يسوءه وأورثه الارض يتصرف فيها بجميع أنواع
التصرفات وأرشده في ظلمات الليالي في البر والبحر بالنجوم ونحوها من
العلامات وبدأ خلقه وأبدع تكوينه وبعد موته يعيده ويحييه يوم
يبعث من في القبور ورزقه بأسباب سماوية وأرضية قد رتبها على
ترتيب بدیع تقتضيه الحكمة التي بنى عليها أمر التكوين
أى ومن كانت هذه أفعاله ومصنوعاته وموجوداته على ما هي عليه من

الترتيب المحكم والاسرار والحكم كيف يصح لكم أن تشاركوا به غيره
في العبادة والالوهية وتنحلوا له ضدا يدانيه أو ندا يساويه سبحانه
هذا بهتان عظيم

لاجرم أنه لا يقول بذلك إلا من عادته العبدول عن طريق الحق
والانحراف عن الجادة في كل أمر ومن لا يعلم علما مفيدا به يستترشد
إلى ما فيه خيره وصلاحه ومن كبر في تفرد جلال شأنه بالالوهية المستتبعة
بجميع صفات الكمال ونعوت الجلال فعليه بالبرهان أن كان صادقا
فيما يدعيه (ولا أظنه يقدر عليه) لأن مجرد الدعوى في نظر العقلاء بدون
دليل لا تقبل والله أعلم بما غاب عن كلامه

﴿ وقال جلت آلاؤه في بيان وحدانيته تعالى في الذات

والصفات والأفعال ﴾

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ
نَذِيرًا ۚ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ
تَقْدِيرًا ۚ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ
يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْ نَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ
مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا

﴿ ما رُشد إليه هذه الآيات الكريمات ﴾

ترشد هذه الآيات إلى تنزيه الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله عما
يقول الظالمون فيه جل وعلا من اتخاذه ولدا وشريكا وقد رتب ذلك

جل شأنه على انزاله الفرقان لما أنه ناطق بعلو شأنه سبحانه وسمو صفاته
وابتناء أفعاله على أساس الحكم والمصالح وخلوها عن شائبة الخلل ولأنه
مشمول على الوعيد القاضى بزجر هؤلاء المضالين الذين يعتقدون
الشريك لله تعالى

وبعد أن نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عما يقوله فيه هؤلاء الناس
الظلمة من الزور والبهتان أخذ في إقامة الدلائل على تدحيض أقدارهم
وتسفيه أحلامهم بأنه سبحانه وتعالى له ملك السموات والأرض
يتصرف فيهما كيف يشاء وحده دون غيره لاستقلاله ولا اشتراكه في الإيجاد
وإعدامه وأحياءه وأمانته وأمره ونهيها حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على
الحكم والمصالح وبأنه لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك يشاركه في ملكه
السموات والأرض وبأنه أوجد هذه المخلوقات وأحدثها بعد أن لم تكن
حسبما اقتضته إرادته المبنية على الحكم البالغة كخلقه الإنسان من
مواد مخصوصة وصور وأشكال معينة بعد أن هيأ كل مخلوق لما خلق له
فهياً الإنسان للفهم والادراك والنظر والتدبر في أمور المعاد والمعاش
واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الأعمال المختلفة وكذا كل حيوان
وجد هيأه لما وجد لأجله من المصالح وأنبط به من الأعمال ولا جرم أن
من خلق هذه المخلوقات على هذا النظام العجيب والترتيب الغريب لا بد
أن يكون كل ما سواه كائناً ما كان تحت ما كونه وقدرته بحيث لا يشذ
منه شيء ومن كان كذلك فكيف يتوهم كونه ولداً لله تعالى أو شريكاً
له في ملكه عز وجل كما زعم هؤلاء الجهالة

ولم يكتف جل شأنه بما أقامه عليهم أولاً من واضح الدليل وساطع
البرهان بل أخذ يحكي دعواهم الباطلة ومقاتلهم السكاذبة مبطلا إياها بما
يدل على غاية عجزهم عن عقولهم أنهم آلهة ويجعلونهم شركاء لله تعالى
ونهاية ضعفهم حيث يقول (واتخذوا من دون الله آلهة لا يخلقون شيئاً

وهم يخلقون ولا يملكون لا أنفسهم هم ذمرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا) أى واتخذوا آلهة يعبدونها من دون الله والخال انهم لا يقدرّون على خالق شئ من الاشياء بل هم مخلوقون لله تعالى ولا يمكنهم التصرف فى ضرر ما ليدفعوه عن أنفسهم ولا فى نفع ما يجلبوه لها كما لا يمكنهم التصرف فى أى شئ من الاشياء لا بامانة ولا باحياء ولا بغير ذلك من أنواع التصرفات

وحيث بلغ عجزهم هذا المبلغ وكانوا بحيث لا يقدرّون على الدفع والنفع فيما يتعلق بأنفسهم فكيف يملكون ذلك لكم واذا كانوا كذلك فكيف تعبدونهم وتعظمونهم وتخذونهم مع ذلك آلهة من دون الله والاله يجب أن يكون قادرا تنزه الله وتقدس عما يقول الجاحدون والظالمون علوا كبيرا

(وقال تعالى فى بيان وحدانيته تعالى وصمدانيته ونفى كونه والدا أو مولودا وتنزيهه عن المماثل والمكافئ)

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ١ اللَّهُ الصَّمَدُ ٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ٤

(الغرض من هذه السورة الشريفة)

الغرض منها اثبات جميع صفات الكمال له عز وجل من وجوده تعالى وقدمه وبقائه ومخالفته تعالى للحوادث وقدرته وإرادته وعلمه وحياته وسمعه وبصره وكلامه ووحدانيته وذلك لان الله علم على الذات الواجب الوجود الجامع لصفات الالهية المستلزم ذلك أنه خالق الاشياء ومبرزها من العدم الى الوجود وفى طي ذلك وصفه تعالى بأنه قادر

عالم لان الخلق يستدعى العلم والقدرة لكونه واقعا على أتم نظام وأبداع لإحكام وفي ذلك وصفه تعالى بأنه حيّ سميع بصير (وقوله أحد) وصف بالوحدانية ونفى للشريك له تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله (وقوله الصمد) أي الذي يصمد اليه ويتصدد في الحاجج وصف بأنه ليس الاحتاجا اليه واذا لم يكن الاحتاجا اليه فهو غني عن كل منسواه (وقوله لم يلد) وصف بالقدم والاولية لان الولادة تستلزم المماثلة والمجانسة للمولود وذلك يستلزم الحدوث وهو مستحيل عليه تعالى وكذا قوله (ولم يولد) لان المولودية تستلزم سبق العدم وقد علمت أنه قديم لا أول له ووصفه تعالى بالقدم يستلزم وصفه بالبقاء لان القديم لا ينقضي وانما ينفي الحدوث المتجدد وقوله (ولم يكن له كفوا أحد) وصف بخالفته تعالى للحوادث ومغايرته لها في جميع الشؤون والأحوال

﴿ وقال تبارك اسمه في نفى اتخاذه الولد والشريك له واقامة
(الدليل على ذلك) ﴾

مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذْنُ لَذَهَبَ
كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ
اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ

المؤمنون ٩٢

﴿ ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة ﴾

ترشد هذه الآية الكريمة الى أمرين (الاول) بطلان اتخاذه الله تعالى ولدا لان الولادة تقتضي انفصال مادة منه سبحانه وتعالى وذلك يقتضي الحدوث وهو مستحيل عليه تعالى ولان الولد لابد أن يجانس أباه

ويعائله ولان الولد انما يطلبه العاقل لاعانتته على أمور معاشه والله جل شأنه منزّه عن مماثلته لأحد أو مماثلة أحد له ومتقدّس عن احتياجه لأحد لانه هو الغنى المطلق لأرب غيره ولا معبود سواه (الثاني) نفى الشريك له تعالى مع اقامة الدليل على تفردّه بالالوهية بأنه لو كان له ثنان يشاركه فيها لذهب كل واحد بما خلقه واستبدّ به واستقل وتصرف فيه تصرف المالك في ملكه وامتاز ملكه من ملك الآخر وعلّا بعضهم على بعض ووقع بينهم التحارب والتغالب كما هو المشاهد بين ملوك الدنيا بعضهم مع بعض

وحيث لم يكن أثر تمايز الممالك والتغالب فلم يبق اذن الا أنه إله واحد بيده ملكوت كل شيء تعالى الله عما يقول فيه الظالمون علوا كبيرا

﴿ وقال جل شأنه في اقامة الدليل على بطلان دعوى من يقول بوجود آلهة غير الله تعالى ﴾

قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذْنًا لَابْتِغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا

﴿ الغرض من هذه الآية الكريمة ﴾

الغرض منها دحض قول المشركين ان مع الله آلهة أخرى بانه لو كان ما يقولونه صحيحا لابتغوا وطاب أولئك الآلهة الى الله سبحانه سبيلا وطريقا للغلبة والمقاتلة والممانعة ليزيلوا ملكه كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض من المقاتلة والمصاولة عند تعددهم وذلك باطل لعدم حصوله فما أدّى اليه وهو وجود آلهة غير الله تعالى باطل أيضا تنزه الله عما يقول

فيه هؤلاء الناس عاوا كبيرا فانه سبحانه يرى مما يقولون بعبد عما
يصفونه به منزله عن **كل** نقص لاله الا هو تفرد بالايجاد له الملك
والملكوت يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير

(وقال جل شأنه في عدم فلاح من أشرك مع
الله تعالى غيره في العبادة)

وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ
عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ

١١٨

الأنعام

(ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة)

ترشد هذه الآية الكريمة الى بيان جزاء من أشرك بالله تعالى غيره
في العبادة مع عدم قيام البرهان لديه على أن ما يعبد من دون
الله له يستحق العبادة وانما يعبد من تقليدا أعمى أو عنادا أعشى كما
حصل ذلك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنه قال لرجل ما تعبد قال
أعبد الله وكذا وكذا حتى عد أصناما فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأيهم اذا أصابك ضرر فدعوتك كشفه عنك قال الله عز وجل قال
فما يحملك على أن تعبد هؤلاء معه أحسبت أن تغلب عليه قال
أردت شكره بعبادة هؤلاء معه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تعلمون ولا تعلمون) فإل هؤلاء الناس جزاؤهم عند ربهم عدم الفلاح
والخسران والخذلان والشقوة والعذاب الأليم كما أفاد ذلك بحل شأنه
بقوله (انه لا يفلح الكافرون)

الصفة العاشرة السمع

هو صفة قديمة تنكشف بها المسموعات ولكن لا بأذن ولا صماخ

تعالى الله عن صفة الحوادث علوا كبيرا - وهو من الصفات التي ورد
الشرع الشريف بثبوتها لله تعالى وجاء القرآن الكريم ناطقا بها
فوجب التصديق بانه سميع أما العقل فلا يمكنه أن يثبت وحده
الا أنه من السموات فهو صفة سمعية - على أن من أمعن النظر
وأجال الفكر في استحقاق الاله العبودية واختصاصه بالعبادة دون
غيره ونظر في جميع التكاليف التي شرعها الله لحزم لا قول وهله أن
هذه العبادة لا يصح أن تكون لغير سميع اذ كيف يوجه الانسان
عبادته الى من ليس يسمع ذكره له وثناؤه عليه ولا تحميده ولا تنجيده
والعبادة ليست شيئا غير ذلك ولذا يقول سيدنا ابراهيم عليه السلام لابيه
(يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا) أي كيف يصح
لك أن تعبد مالا يسمع ثناءه عليه ودعاءه له ولا يبصر ما تفعله له من
العبادة ولا يغني عنك شيئا فلا يجب لك نفعا ولا يدفع عنك ضررا
لعدم الفائدة حينئذ وقال تعالى (والذين تدعون من دونه ما يكون
من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم
القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير)

(وقد أثبت الله لنفسه هذه الصفة حيث قال)

اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ٤٤ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْمًا لَّعَلَّهُ
يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ٤٥ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ
عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ٤٦ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ
وَأَرَىٰ

(ما تشير اليه هذه الآيات الكريمات)

تشير الى حكاية أمر سيدنا موسى عليه السلام وأخيه هرون مع
فرعون عليه اللعنة حيث أمرهما الله تعالى أن يذهبا اليه ليقولا له
إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني اسرائيل ولا تعد بهم فقالا له عز وجل
إنا نخاف اذا دعونا الى ذلك أن يفرط علينا ويهمل علينا بالعقوبة
فقال الله تعالى لهما لا تخافا مما ذكرتما فاني حافظ لكم وناصر كما عليه
أسمع ما يجري بينكما وبينه من القول وأرى ما يحصل بينكما وبينه من
الفعل فأفعل في كل حال ما يليق بها من دفع شر وجلب خير

وفي هذه الآيات الكريمة من الدلالة على وجوب استعمال الدين وحسن
التلطف في القول مع الخصم حتى يذعن للحق ويصغي لما يقال له وخصوصا
النظام عند وعظه وإرشاده مالا يخفى فان تأمين القول مما يكسر سورة
عماده ويلين قسوة قلبه وبذا يكون له قد أثمر وسعيه لم يخب وحصل
بغيته ونال أمنيته والا كان كناطق صخر أو متطلب من الماء جذوة نار

(وقال تبارك اسمه في اثبات صفة السمع له تعالى)

أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا
لَدَيْهِمْ يَكْتَتِبُونَ

الزخرف ٨٠

(ما يؤخذ من هذه الآية الكريمة)

يؤخذ من هذه الآية الكريمة اثبات صفة السمع له تعالى وأنه لا تخفى
عليه خافية فلا يعزب عن سمعه مسموع وان خفي ولا يحجب به بعد وان
طال وقد ظن الكفار لجهلهم أنه سبحانه وتعالى لا يسمع الا ما جهر به
من الاصوات وأما ما خفي منها فلا يسمعه فرد الله عليهم بقوله (أم
يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون) أي

أظن هؤلاء الناس لجهلهم أنا لا نسمع ما يتحدثون به سرا في مكان خال وما يتناجون به فيما بينهم بل قد كذبوا في ظنهم هذا الفاسد وزعمهم الباطل بل نسمع ذلك ونعلم به ونطلع عليه ورسلنا وملائكتنا الموكلون بحفظ أعمالهم الملائمون لهم يكتبون جميع ما يصدر عنهم من قول أو فعل فتجازيهم به

ومن هذه الآية الكريمة يؤخذ وجوب مراقبة الله تعالى في جميع الأحوال حيث أنه جل شأنه مطلع على الإنسان في جميع لحظاته وحركاته وسكناته جميع لكل ما يقدوله مطلع على كل ما يفعله سواء ما خفي من ذلك وما ظهر فإن الإخفاء والاطهار بالنسبة له تعالى سواء وعليه فما يفعله بعض الخفي من الناس حيث يجتهدون في إخفاء ما يرون الجهر به فبيحا عن أعين الناس ولا يبالون بفعله ما كانوا كذلك مع اعتقادهم بأن الله تعالى الذي لا تخفى عليه خافية مطلع عليهم جميع لما يقولونه فذلك من أكبر أمارات النفاق حيث جعلوه جل شأنه أهون الناظرين اليهم وأحقر المبصرين بهم فلا يستحيون منه ولا يراعون له ذمة ولا يخافون له عقابا ولا يرجون منه مشوبة أولئك جزاؤهم جهنم بما كسبوا وما ربك بغافل عما يعملون

الصفة الحادية عشرة البصر

هو صفة قديمة تنكشف بها المبصرات ولكن لا بعين ولا حدقة ولا جراحة ولا بغير ذلك فإن ذلك من صفات الحوادث المنزه عنها الله تعالى وهو من الصفات التي لا مزية في ثبوتها لله تعالى إذ جاء الشرع الشريف بثبوتها له عز وجل ونطق القرآن الكريم بها - ومن تأمل في تركيب العين للإنسان وغيره من سائر الحيوانات وفواميس النور التي يتم بها الإبصار وما دبرت الحكمة الإلهية لتكميل هذه الوظيفة وفي التدابير التي وضعت للمعاقبة عليها وتسهيل طرق أداء وظيفتها

من الاجفان والاهداب والماجبين وفي منافع البصر للحيوان وفوائده
باهتدائه به الى طرق معاشه ونجاته من مخاوفه ورؤيته به المناظر
الجميلة وكشفه به مايبعد عنه ألوان من الأميال كما يكشف به مايقرب
منه الى غير ذلك من الفوائد والمنافع جزم بأن واهب هذا البصر لهذا
الحيوان لابد أن يكون بصيرا بمعنى أنه يعلم ذلك كله والاف كيف يعقل أن
يوجد البصر وهو غير بصير بل كيف يخلق هذا الخلق وهو لا يبصره
بل كيف يصح أن يعبد من لا يرى من يعبد بل كيف لا يكون بصيرا
والبصر كمال لا محالة وقد أوجده في مخلوقاته وكيف يكون المخلوق
أكل من الخالق والمصنوع أسنى وأنم من الصانع ذلك غير معقول
وكيف يعقل أن الانسان بصير وخالقه غير بصير ألا يبصر من خلق
وهو العلي العظيم فالبصر بمعنى العلم بالمبصرات أمر عقلي أما بمعنى أنه
صفة خاصة فهو سمعي محض

(وقد أثبت الله تعالى لنفسه صفة البصر حيث قال)

لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ

شورى ١١

(ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة)

ترشد هذه الآية الكريمة الى ثلاثة أشياء (الاول) نفى مشابهته جل
 شأنه لكل ما عداه من المخلوقات اذ لو شابه شيئا منها لكان حادنا مثلها
 وذلك مستحيل في حقه تعالى (الثاني) اثبات أنه تعالى سميع أى مدرك
 لجميع المسموعات لاعلى سبيل التخيل والتوهم ولا يتأثر حاسة أو وصول
 هوأ (الثالث) اثبات أنه تعالى بصير أى مدرك لجميع المبصرات لاعلى
 طريق التوهم والتخيل ولا على طريق تأثر حاسة ولا وصول نور لان
 كون العامل برسم صور المرئيات فى العين هو النور الواقع على المرئيات

سورة	آية	والمنعكس عنها الى داخل العين انما ذلك في الحوادث والله جل شأنه منزه عن صفات الحوادث
		(وقال تبارك اسمه في اثبات هذه الصفة له تعالى أيضا)
الانعام	١٠٣	لَا تَدْرِكُهُ الْاَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْاَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ
		(ما تفيد هذه الآية الكريمة)
		تفيد هذه الآية الكريمة أن عظمته تعالى غير متناهية وأن الاحاطة بها غير ممكنة وأن الجوهر اللطيف الذي ركبته الله وأودعه في حاسة البصرو به تدرك المبصرات لا يتعلق بذاته ولا يدركها لانه متعال أن يكون مبصرا في ذاته لان ادراك البصر لذاته تعالى واحاطته بها يستدعي تحديدتها وتحديدها يستدعي تحسيمها والله تعالى منزه عن ذلك بخلافه جل شأنه فانه يرى هذا النور الذي تدرك به المبصرات ويدركه ويحيط به مع لطافته وعدم امكان مدرك له غيره تعالى وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار)
		وبعد أن ذكر الله تعالى عدم امكان رؤية الابصار له واحاطتها به وتحقق رؤيته هو للابصار مع لطافتها ودقتها ذكر ما هو في قوة التعليل لذلك حيث يقول (وهو اللطيف الخبير) أي الذي لطف حتى جل عن أن يدرك بالابصار وتعالى عن مشابهة الصور والامثال والتجسير بكل شئ بحيث لا يخفى عليه شئ من مخلوقاته فالكل لديه سبحانه وتعالى مدرك سواء ما ظهر منه أو خفى لان الكل لديه سبحانه وتعالى

سواء لا يخلق عليه شيء في الارض ولا في السماء سبحانه هو الله الواحد
القهار

الصفة الثانية عشرة الكلام

نطق القرآن بأن الله تعالى كلم موسى تكليماً وأنه جعل شأنه لا يكلم
البشر الا وحياً فوجب علينا التصديق بأنه متكلم وليس لنا البحث عن
حقيقة معنى الكلام لانه كغيره من صفات الله تعالى لا يمكن الوصول
الى العلم بحقيقته أما الالفاظ المفردة فالبحث فيها من جهة خلقها
وعدم خلقها بدعة يجب السكوت عنها والذي يجب الايمان به أن
القرآن كلام الله والله أعلم

(وقد أثبت الله لنفسه هذه الصفة فقال)

وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ
حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَى
حَكِيمٍ

شورى ٥١

(ما يستفاد من هذه الآية الكريمة)

يستفاد من هذه الآية الكريمة اثبات صفة الكلام لله تعالى مع
بيان كيفية تلقيه من عند الله تعالى ووصوله الى الانبياء عليهم الصلاة
والسلام وذلك بأحد ثلاثة أمور

(الاول) أن يوحى اليه بأن يقذف في قلبه شيئاً لا يتقارر فيه أنه من
عند الله تعالى فيقع ذلك المعنى المقذوف في نفس الموحى اليه بدون
واسطة لفظ يحلقه الله تعالى فيكشف له بمجرد ذلك القذف ثم هو يمكنه
بعد ذلك أن يعبر عنه بالفاظ من عنده كيفما شاء ويمكن أن يعبر

سورة	آية	عن هذه الحالة بالالهام وقد أخبر صلى الله عليه وسلم عن حصول هذه الحالة له فقال (ان روح القدس نفث في صدى وفي رواية روى ان نفسا ان تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فأتتوا الله وأجسوا في الطلب) وهذا هو المراد بقوله تعالى الاوحيا (الثاني) أن يكلمه من وراء حجاب بان يسمعه كلامه ولا يراه كما وقع لموسى عليه السلام وهذا هو المراد بقوله تعالى أو من وراء حجاب (الثالث) أن يكون ذلك الكلام بواسطة ملك يرسله الله تعالى الى الموحى اليه من البشر فيوحى اليه ما يشاء أن يوحى له باذن الله تعالى وأمره وتيسيره وهذا هو المراد بقوله تعالى أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء
		(وقال جل ثناؤه في اثبات هذه الصفة له)
النساء	١٦٣	وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا
		(ما يستفاد من هذه الآية المكرمة)
		يستفاد منها اثبات صفة الكلام لله تعالى وذلك أنه تعالى أخبر عن نفسه وهو الصادق المصدوق بأنه كلم موسى عليه السلام بلا واسطة أى أزال عنه الحجاب حتى سمع كلامه ولا جرم أن تكلم الله تعالى لموسى عليه السلام بدون واسطة منتهى مراتب الشكر والتشريف ولا يقدح ذلك في نبوة سائر الانبياء ولا يقتضى الافضلية عليهم لان الخصوصية لا تقتضى الافضلية وفي التأكييد بالمصدر في قوله تعالى تكليما

ردّ على من يقول ان الله خلق كلاما في محل فسمع موسى ذلك الكلام وهذه الحالة التي حصلت لموسى عليه السلام من التكليم بالكيفية المتقدمة هي احدى مقامات الوحي الثلاثة المتقدمة كما علمت

(وقال جل شأنه في اثبات هذه الصفة له أيضا)

وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي
أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنْ نُنْظِرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ
اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ
جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ
تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ^{١٤٣} قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي
اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ
مَا آتَيْنَاكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ

١٤٣

الاعراف

(ما يؤخذ من هاتين الآيتين الشريفتين)

يؤخذ منهما أن الله جل شأنه كلم موسى عليه السلام لما جاء في الوقت الموعود فسأله الرؤية وقال له يارب أريني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه وبقي على حاله ولم يتزلزل عند التجلي له مع ما هو عليه من عظم الجرم والصلابة والقوة فسوف تراني أى وان ضعف عن ذلك فأنت منه أضعف فلما تجلى لى ربه للجبل وظهر صار الجبل ترابا فلما رأى موسى عليه السلام ما حصل للجبل خرو مغشيا عليه لهول ما رأى فلما أفاق بعد ذلك وعلم أنه سأل أمرا

عظيما لا ينبغي له قال لربه جل وعز سبحانه ثبت اليك عن العبود
الى مثل هذا السؤال وأنا أول المؤمنين من بنى اسرائيل أنه لا يراك
أحد من خلقك تلك الرؤية التي سألت

ومما كالم الله به موسى عليه السلام ما خاطبه به وقال له (يا موسى اني
اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) أي اخترتك عليهم بهما (نخذ
ما آتينك) أي من الكلام والمناجاة (وكن من الشاكرين) على ذلك ولا
تطلب مالا طاقة لك به

ومن هاتين الآيتين الكرمتين يؤخذ أن الانسان اذا سأل شخصا آخر
حاجة ينبغي له أن ينظر في تلك الحاجة ان كان يصح أن تطلب من
هذا الشخص وفي امكانه قضاؤها وفيما اذا كان يجيب بطيب نفس
وصفاء سريرة ورضا خاطر أو يجيب مع تضرره حياء أو استنكافا من
رد المسئلة وكذا في حال الشخص المسئول ان كان مثله يصح أن يطلب
منه مثل هذه الحاجة وفي امكانه قضاؤها أو يصعب عليه الحصول
عليها ولكن يضطر للحصول عليها لما للسائل عليه من الايادي والمكررات
أو غير ذلك فان تحقق لديه سهولة اجابة طلبه وقضاء حاجته أقدم على
الطلب والمسئلة والاعترض نفسه للاهانة وذل السؤال مع عدم الجدوى
وكان نصيبه من المسئول الحرمان والطرده والخذلان وما أصعب ذلك
وأشدّه على الرجل الحر

هذا وقد تم الكلام ولله الحمد والمنة على ما يتعلق بما يجب له تعالى من
الصفات الكمالية والمراتب العلية وما يستحيل اتصافه به جل شأنه
من تضداد تلك الصفات فلم يبق مما يتعلق بذاته الشريفة الا ذكر
ما يجوز في حقه تعالى ليتم به ما يجب على المكلف اعتقاده بالنسبة لمولانا
جل وعز فاليك بيمانه

الجائز في حق الله تعالى

يجوز في حقه تعالى فعل كل ممكن أو تركه فهو الفاعل المختار يتصرف في ملكه بما شاء وكيف شاء من غير رجوب عليه لا يصدده عن ذلك صاّد ولا يمنعه عنه مانع كما قال (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) أي لا يفعل فعلا من أجل أنه واجب عليه أن يفعله لأنه لو كان كذلك لاحتاج إلى ذلك الفعل وما كان هكذا فهو في وجوده محتاج إلى ذلك الفعل إما حاجة ضرورية وإما أن يكون به تاما والله سبحانه وتعالى منزّه عن ذلك بخلاف غيره فإنه يفعل الفعل ليستفيد به ويتكامل منه وذلك لأن كل ما في هذا العالم من سموات وأرض وحيوان ونبات وبر وبحر وأحجار وأشجار وغيرها فعل الله تعالى وخلقه واختراعه لا خلق له سواء ولا محدث له إلا إياه ولا شريك له فيه ينازعه ولا ضد له فيه يعارضه ويعانده ويعانعه فكيف يعقل مع هذا أن هذا الخالق القادر وهذا المالك المطلق يحول دون تصرفه في ملكه كيف يشاء أحد حاش لله أن يكون كذلك بل هو الفاعل المختار لكل شيء من خير وشر ونفع وضرر وإسلام وكفر وعرف ونكر وفوز وخسران وطاعة وعصيان وشرك وإيمان ورشد وغواية وضلال وهداية إلى غير ذلك من الشؤون والأحوال كل ذلك بإرادته واختياره يضل من يشاء ويهدي من يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون

والآيات القرآنية الدالة على أنه تعالى فاعل مختار يتصرف في ملكه كيف يشاء من نفع وضرر وخير وشر كثيرة لا تكاد تحصى فمنها قوله تعالى (إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم) وقوله تعالى (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير) وقوله تعالى (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده) ومنها غير ذلك

غير أنه يجب علينا أن نعتقد أن كل فعل من أفعاله تعالى جار على
الحكمة والعدل والصواب من غير إجحاف بحق أو ظلم لاحد فقد وصف
جل شأنه ذاته بالقيسط ونفى عنه الظلم فقال (شهد الله أنه لا اله الا هو
والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط) وقال تعالى (وما ربك بظلام للعبيد)
وقال تبارك اسمه (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون)
وقال جل ذكره (ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم
يظلمون) والآيات في ذلك كثيرة كما أنه يجب علينا أن نعتقد أن جميع
أفعاله تعالى لا تخلو عن حكمة وفائدة سواء علمت تلك الحكمة لنا أولم
تعلم كما قال تعالى (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين
ما خلقناهما الا بالحق) وقال تعالى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا
وأنكم اليينا لا ترجعون)

(وقد أثبت الله تعالى لنفسه أنه فاعل مختار يتصرف في ملكه
كيف يشاء من غير منازع ولا معارض ولا ممانع بقوله)

٢٦

قُلِ اللَّهُمَّ مَا لَكَ الْمُلْكُ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ
الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ
الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

(الغرض من هذه الآية الكريمة)

الغرض منها بيان كمال عظمته تعالى وتتمام قدرته وأنه يتصرف
بمقتضاها في خلقه كيف يشاء فيعطى الملك لمن يشاء اعطائه اياه وينزعه
من يشاء نزعه منه وسلبه عنه ويعز من يشاء أن يعزه ويذل من

يشاء أن يذله فهو المالك الحقيقي والمتصرف العام الذي يتصرف في ملكه
بالتخير والشرع بما شاء وكيف شاء لا يتصرف فيه أحد غيره ولا يملكه أحد
سواه وقد أشار جل شأنه لتعليل ما سبق وتحققه بقوله في الآية (أنك
على كل شيء قدير) أي وحيث كان كذلك فيفعل كيف شاء بقدرته وفق
إرادته ومشيئته إذ ليس من هو أكبر منه حتى يكرهه على فعل من
الأفعال كما قال تعالى (وهو القاهر فوق عباده)

(وقال جل شأنه في بيان أنه تعالى فاعل مختار يتصرف
في ملكه بما شاء وكيف شاء)

وَأَن يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَأَن يُرِذَلَ
بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ

يونس ١٠٧

(المقصود من هذه الآية الكريمة)

المقصود منها اختصاصه تعالى بالتصرف المطلق وتفرد بالقدرة التامة
والعظمة الكاملة وأنه لا شيء في الوجود إلا وهو في قبضته وتحت تصرفه
فاذا أراد أحدا بسوء فلا يمكن لأحد سواه أن يكشفه عنه ويمنعه منه
لان الكل تحت قهره وسلطانه كما أنه اذا أراد أحدا بخير فلا يقدر أحد
سواه على رده كائنا من كان بل يصيب به من يشاء من عباده حسب
إرادته ومشيئته وهو الغفور الرحيم لمن تاب إليه ورجع من أي
ذنوب كان حتى من الشرك به فإنه يتوب عليه اذا تاب ورجع الى
الاسلام

﴿ وقال تبارك اسمه في بيان أنه فاعل مختار يتصرف في خلقه كيف يشاء فان شاء أبقاهم وان شاء أذهبهم وأتى بغيرهم ﴾

يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ
الْحَمِيدُ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ
عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ

﴿ ما يستفاد من هذه الآية الكريمة ﴾

يستفاد من هذه الآية الكريمة أنه تعالى هو الغني المطلق عن كل شيء
وأنه مستحق بانعامه على جميع الموجودات للحمد وأن كل ما عداه مفتقر
إليه وأنه ان شاء إذهب هؤلاء الناس الذين يشركون به غيره في
العبادة ويأت بخلق جديد غيرهم يعبدونه ويوحدونه فما ذلك عليه
سبحانه معب فاعلم أنه تعالى اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون
فالحق تحت ارادته مقهور تحت جبروته يتصرف فيه كيف شاء لا اله
الا هو العزيز الحكيم

﴿ وقال جل ثناؤه في بيان كمال اختياره بجماله من الملك المطلق
والنصرف التام في السموات والارض وفي كل شيء ﴾

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ
مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

﴿ الغرض من هذه الآية الكريمة ﴾

الغرض منها اثبات أنه تعالى فاعل مختار يتصرف في خلقه كيف شاء

فيعذب هذا ويغفر لذلك حسب ارادته ومشيبته وذلك بما له من
السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمين للقدرة التامة على التصرف
المكلى فيفعل بمقتضاها ما شاء من التعذيب والمغفرة حسب ارادته
واختياره والله على كل شيء قدير ومن ذلك ما ذكر من التعذيب
والمغفرة

وحيث قد انتهى بنا القول في بيان ما يجب في حق الله تعالى وما
يستحيل وما يجوز وقد بقي الكلام على ما يجب للرسول الكرام وما
يستحيل وما يجوز في حقهم عليهم الصلاة والسلام من الصفات المرضية
والمراتب العلية وما خصهم الله به من جليل المزية وكمال الافضالية
فاليك بيانه

الكلام على الرسول عليهم الصلاة والسلام

تمهيد

في بيان حكمة ارسالهم

اعلم أن الله جلت قدرته وعلت كلمته خلق الخلق وطبعهم على أخلاق
حسنة تساعدهم على انتظام حالهم وأخلاق تخالفها لأجل أن
يتسابقوا بها في عمارة هذا الكون الذي قدر وجودهم فيه إلى أجل
معلوم لكن لما كان تحديد الرغبة في السبق يوجب وقوف كل راغب
عند حده ويأسه من مجاوزته وبذلك تتعطل حركة المسابقة لم تعدل
الأخلاق في أصل الفطرة ارت تلك الأخلاق السيئة في معرض
الطغيان والوصول إلى حد يصبح به ضررها أكبر من نفعها لذلك اقتضت
رحمة الله بعباده بمحض ارادته واختياره أن يرسل لهم أناسا منهم طبعهم
على الأخلاق الفاضلة والصفات الكاملة وأطلعهم على مكان الأخلاق

سورة	آية	وأسرارها وكيفية علاجها ودرجة الاعتدال منها لهم - ودوهم ويرشدوهم الى ما فيه صلاحهم وتقويم أخلاقهم - وتهذيب نفوسهم ويبينوا لهم الخير ليتبعوه والشر ليبتئوه ويردوهم الى حد الاعتدال في مثل هذه الاخلاق مثلاً الطمع خلق سيئ ولكن لولاه ما تجشم الخلق أعباء المكاسب والفرس والعمارة واذا طغى نشأ عنه منازعات الخلق وتولدت الشرور المبيدة فشريعة الرسول تطفه وترده الى ارادة السعي والتعيش بعد ارادة التكبر والاستئثار فكأنه يجعله حسناً بعد أن كان سيئاً وبذلك تتم المسابقة في عمارة الكون وتحصل الغاية المقصودة منه بلا ضرر ولا ضرار وهذا هو جُل المقصود من الرسل عليهم الصلاة والسلام ولكمال لطفه بهم ورجته لهم أن يجعلهم بشراً من جنسهم ليمكن أن ينتفع بعضهم ببعض في المخاطبات ولم يجعلهم ملائكة لعدم امكان رؤيتهم ومخاطبتهم ومخاطبتهم فلا تحصل الفائدة المقصودة من إرسالهم حينئذ ولقد امتن الله بهذه الرحمة والنعمة على عباده فقال (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين)
		((وقد بين الله تعالى وظيفة هؤلاء الرسل وحكمة إرسالهم في قوله))
النساء	١٦٢	إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۖ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ

عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَنْكَ وَعَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ
مُوسَى تَكْلِيمًا ١٦٤ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا
يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ
عَزِيزًا حَكِيمًا

(ما يستفاد من هذه الآيات الكريمة)

يستفاد منها أحكام (الاول) أن الله تعالى أوحى الى نبيه محمد
صلى الله عليه وسلم كما أوحى الى اخوانه النبيين من قبله وهم نوح
وابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب وأولاده وعيسى وأيوب ويونس
وهرون وسليمان وداود وموسى وغيرهم عن قصصهم الله على نبيه وبين
له أخبارهم ومن لم يقصصهم عليه مع بيان ما خص به بعضهم كإعطائه
الزبور لداود وتكليمه لموسى عليهما السلام (الثاني) بيان وظيفة
الرسول عليهم الصلاة والسلام وهي أنهم يبشرون من صدقهم فيما
جاءوا به من عند الله تعالى وعمل به بالجنة والثواب والنعيم بالنعيم
الدائم المقيم وينذرون من كذب بهم وعصاهم فيما جاءوا به بالنار
والعذاب الاليم وذلك معنى قوله تعالى (رسلا مبشرين ومنذرين)
(الثالث) بيان حكمة ارسالهم عليهم الصلاة والسلام وهي المذكورة
في قوله تعالى (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) أي أرسلهم
الله تعالى ليبشروا الناس وينذروهم لئلا يكون لهؤلاء الناس معذرة
يعتذرون بها بعد إرسال الرسل وتبليغ الشرائع على ألسنتهم فيقولوا
يا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فيبين لنا شرائعك ويهتدوا ما لم تكن
نعلم من أحكامك لقصور عقولنا عن إدراك جزئيات المصالح وتفردك
بعلمها دون سواك فقطع الله حججهم هذه بإرسال الرسل عليهم الصلاة

سورة	آية	والسلام كما قال تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل والله أعلم
		﴿وبين جل شأنه ما أرسلوا به ليعلموه الناس ويهدوهم اليه بقوله﴾
شورى	١٣	شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ
		﴿بيان المقصود من هذه الآية الكريمة﴾
		المقصود منها الحث على اتقاة الدين وعدم التفرق فيه بما يحصل في أصوله من الخلاف والاضطراب وفيها بيان ما شرعه الله تعالى ووصى به رساله الكرام من لدن نوح عليه السلام الى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليعلموه الناس ويرشدوهم اليه وهو توحيد الله تعالى واعتقاد أنه واحد لا شريك له متصف بصفات الكمال منزّه عن صفات النقصان والتخلق بالاخلاق الفاضلة والصفات السكاملة من الصدق وانجازه الوعد والوفاء بالعهد وأداء الامانة وصلة الرحم وحسن المعاملة والمعاشرة مع صنوف الخلق وعدم ائذاء أحد منهم لا بيد ولا بلسان وعدم الاعتداء على الحيوانات وفعل الدنيا وارتياب المحرمات وكل ما يحل بالمروعة فانه مأمّن نبي من الانبياء الاوصى قومه بذلك وأرشدهم الى ما فيه السلامة وحسن العاقبة - أما الشرائع التي هي مصالح الأمم فانها تختلف باختلاف الاشخاص والامكنة والازمنة والاخلاق والعادات كما يدل على ذلك قوله تعالى (لكل جعلنا منكم

شرعة ومنهاجا) فهذه لم تكن الوصاية بها عامة لسائر الرسل عليهم الصلاة والسلام بل كانت لكل رسول بما يناسب اسمته عدد قومه وزمانهم ومكانهم وأخلاقهم وعاداتهم والله الموفق لما فيه السداد بمنه وكرمه

﴿وقال جل شأنه في بيان ما يترتب على إرسالهم عليهم السلام من الفوائد والمنافع مع بيان ما أنزله معهم وأوحى به إليهم﴾

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ
وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ

الحديد ٢٥

﴿الغرض من هذه الآية الكريمة﴾

الغرض منها بيان أن هؤلاء الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام انما جاؤا ليقوم الناس بالقسط والعدل في جميع أمورهم بما يكفل لهم السعادة الدنيوية والاخرية وذلك بما أنزله معهم وأوحى به إليهم من الكتب الميمنة فيها الاحكام المأمور بتبليغها للناس ليكونوا على أتم وأكمل حالات العدل والنصفة فيما بينهم ويتبعوا هؤلاء الرسل فيما أخبروا به ويطيعوهم فيما أمرهم به ولما كانوا مع ذلك لا بد أن يقابلوا من المرسل إليهم بالتمكذيب أيدهم الله تعالى بالبينات وال الحجج القاطعة والمعجزات صلى الله عليهم أجمعين

﴿وقد بين جل شأنه من اصطفاة من هؤلاء الرسل وميزه عن غيره منهم بعظم قدره وعلو مرتبته وأوجب الشرع معرفتهم تفصيلا كما ذكرهم القرآن تفصيلا وهم خمسة وعشرون ذكر الله منهم ثمانية عشر في هذه الآيات وهي﴾

وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ
مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ^{٨٤} وَوَهَبْنَا لَهُ اسْمَٰعِيلَ
وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ
دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ
وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ^{٨٥} وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى
وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّٰلِحِينَ^{٨٦} وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
يُونُسَ وَلُوطًا كُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ^{٨٧} وَمِنْ آبَائِهِمْ
وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَأَخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ^{٨٨} ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^{٨٩}
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ

وقد بقى سبعة وهم آدم وهود وشعيب وصالح وادريس وذو الكفل
وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

أما آدم فقد ذكر في قوله تعالى (وعلم آدم الاسماء كلها)
وأما هود ففي قوله تعالى (والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا
الله مالم يكن من إله غيره ان أنتم الامفكرون)

وأما شعيب ففي قوله تعالى (والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا
الله مالم يكن من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير واني
أخاف عليكم عذاب يوم محبط)

وأما صالح ففي قوله تعالى (والى ثود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب

وأما إدريس ففي قوله تعالى (واذكري الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا)
وأما ذو الكفل ففي قوله تعالى (واذكر اسمعيل واليسع وذو الكفل وكل من الأخيار)

وأما سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ففي قوله تعالى (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل)

فهؤلاء هم الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام الذين تجب معرفتهم تفصيلا كما يجب اعتقاد أنهم موصوفون بهذه الصفات الآتية التي سندكرها مع أدلتها والله ولي التوفيق

صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام

تمهيد

في بيان حال الرسل مع من أرسلوا إليهم ولم أيدهم الله بالمعجزات ووجب لهم هذه الصفات

اعلم أنه سبق القول فيما يتعلق بالرسل ووظيفتهم وحكمة إرسالهم وما أرسلوا به ليعلموه الناس ويرشدوهم إليه مما يكفل لهم السعادة في الدنيا والآخرة بقي أن هؤلاء الرسل عليهم الصلاة والسلام لابد أن يقابلوا من الذين أرسلوا إليهم بالكذب وذلك إما عنادا وكبرا أو حسدا وتقليدا

فالعناد بما قام في نفوسهم الشريرة وزينه لهم الشيطان من أن هذا الرجل إذا سلما له دعواه الرسالة استأثر بالأمر دوننا وكانت له الكلمة النافذة والسلطة العامة فينا فنأخذهم لذلك عزة النفس وعتق الانفة فيمناذبونه

بالتكذيب ويقابلونه برفض ما جاء به مع اعتقادهم بأنه هو الحق الذي
 لأمرية فيه وقد حكى الله تعالى عنهم هذه الحالة بقوله (وان يروا آية
 يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) وقوله تعالى (وكذلك ما أرسلنا من
 قبلك في قرية من نذير الا قال مسترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا
 على آثارهم مقتدون قال أولوجئتكم بأعدى مما وجدتم عليه آباءكم
 قالوا انا بما أرسلتم به كافرون) وقوله تعالى (وقالوا لن نؤمن لك حتى
 تفجر لنا من الارض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب
 فتفجر الانهار خلالها تفيض اوتسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي
 بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء
 ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت
 الا بشرا رسولا)

والنقل يد لما ورثوه عن آباءهم وأسلافهم من الاعتقادات الباطلة
 والاخلاق الفاسدة بأن يقولوا انا لا نترك ما نحن عليه ولا نفارق ما وجدنا
 عليه آباءنا ولا نرضى به بديلا تمسكا أعمى وتعصبا أعشى وقد حكى
 الله عنهم هذه الحالة أيضا بقوله (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا
 بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لابعقلون شيئا ولا يهتدون)
 والحسد على اصطفاء الله تعالى لهذا الرسول دونهم وتفضيله عليهم مع
 أنه ربما كان أقل ثروة وجاها من بعضهم وقد حكى الله
 تعالى عنهم هذه الحالة أيضا بقوله (قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا تريدون
 أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين) قالت لهم رسالهم
 ان نحن الا بشر مثلكم وانكن الله يمن على من يشاء من عباده وما
 كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله)

لذلك اقتضت حكمة الله تعالى أن يجعل لهؤلاء الرسل من الآيات
 البينات والعلامات الواضحات والنجج القاطعة والبراهين الساطعة

ما يلجئ خصوصهم الى الاذعان والتصديق بكل ما جاؤا به عن الله تعالى
ويتركون ما كانوا عليه من التباغض والتحاسد والعناد والتقليد وجعل
جل شأنه هذه العلامات على نوعين

(الاول) المعجزة التي تدركها الحواس وهذه يطلبها أحد رجلين إما
نافع الادراك ومع نقصه هو غير مهاند فيحتاج الى ما يدركه بالحس
كقالب العصاحية وبراء الاكس والابصر وانشقاق القمر وغيرها واما
معاند فقصد به بما يطلبه العناد ليس الا

(الثاني) ما يشتمل عليه ذلك الرسول من الصفات الفاضلة والاخلاق
الكاملة مما لا يمكن أن توجد لغيره كاملة كما هي فيه وذلك كالصدق في
كل ما أخبر به عن الله تعالى وبلغه الناس وقوة بيانه وشدة ذكائه
وفصاحة لسانه وشدة عارضته وقوة مدركته وعصمته من الوقوع في
أى معصية صغيرة كانت أو كبيرة ومن فعل كل شئ يخل بمراتبهم العلمية
وهذا النوع من العلامات يدركه أولو البصائر والافهام ولذا وجب
اعتقاد اتصافهم بهذه الصفات لان عليها مبني النبوة ونشر الرسالة
واليك بيانها وأدلتها والله ولي التوفيق ومنه الرشد والسداد

الصفة الاولى الصدق

اعلم انه يجب اعتقاد أن هؤلاء الرسل صادقون في كل ما يبلغونه
عن الله تعالى سواء كان قولاً أو فعلاً لانهم لو كذبوا فيما يقولونه
أو يفعلونه لكانوا مضلين لا مرشدين وقد علمت أنهم ما أرسلوا الا
للارشاد فتبطل الحكمة من ارسالهم

على أنه كيف يعقل أنهم يكذبون وقد أمر الله بطاعتهم والاقتماع بهم في
أقوالهم وأفعالهم وناط بذلك السمادة الابدية والفوز بالتمتع بدار النعيم
وما فيها من النعيم الدائم المقيم فقال (ومن يطع الله ورسوله يدخله
جنت تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم)
وقال تبارك اسمه (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنت تجري

من تحتها الانهار ومن يتول يهذب عذابا ألينا
وكما ناط بطاعتهم السعادة والفوز بالشواب ناط بعصيانهم ومخالفة ما
أمروا به سواء كان قولاً أو فعلاً الشقاوة والحerman والعذاب والعقاب
فقال (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها
وله عذاب مهين) وقال جمل ثنائيه (ومن يشاقق الرسول من
بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين فوله ما تولى ونصه له
جهنم وساءت مصيرا)

ولا يكون ذلك الا حيث يكون ما يقولونه وما يفعلونه صدقا لانه
هو الذى توصل الطاعة فيه الى الفوز بالسعادة والعصيان فيه الى
الشقاوة بخلاف الكذب فان الطاعة فيه لا توصل الى خير أبدا

(وقد أخبر جمل شأنه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بما حل بمن
كذب المرسلين من قبله وحق بهم من العذاب الاليم
والنكال الشديد فقال)

أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا
في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من
الله من واق^{٢٢} ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم
بالبينات فكفروا فأخذهم الله إنه قوي شديد
العقاب

(ما ترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان)

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى تهديد المكذ بين برسالة النبي عليه الصلاة والسلام وحثهم على السير في الارض لينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم من الامم المكذبة بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وما حل بهم من العذاب والنكال مع أنهم كانوا أشد منهم قوة وآثارا في الارض من الانبياء والمعلم والمعاقل ومع هذه القوة العظيمة والبأس الشديد أخذهم الله وأهلكهم بذنوبهم وتكذيبهم لرسولهم وما قدر أحد أن يدفع عنهم العذاب ولا رده عنهم راد ولا وقاهم واق حتى اذا نظروا في ذلك وتحققوا أن ما حل بهؤلاء الناس بسبب تكذيبهم لرسولهم من العذاب الاليم والعقاب الشديد يحل بهم رجعوا عما كانوا يصرون عليه من التكذيب برسالته صلى الله عليه وسلم

ثم ذكر جل شأنه علة أخذه إياهم وذنبهم التي ارتكبوها واجترموها فقال (ذلك بأنهم كفروا بأنهم تأتوهم رسالهم بالبينات) أى باللائل الواضحات والبراهين القاطعات (فكفروا) أى مع هذا البيان والبرهان كفروا وجحدوا (فأخذهم الله) تعالى وأهلكهم (أنه قسوى شديد العقاب)

فكانه تعالى يقول لهؤلاء الناس على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم اعتقدوا صدقه عليه السلام في كل ما بلغكموه عنى والا أحلت بكم من العذاب الاليم والعقاب الشديد ما أحلته بمن قبلكم من الامم الذين كذبوا رسالهم ولم يقدر أحد حين ذاك أن يحول دون تنفيذ مرادى فيهم من حلول العذاب بهم مع أنهم كانوا أشد قوة منكم وأكثر آثارا في الارض مما لا تقدرُونَ عليه

وقال جل شأنه في بيان جزاء الذين لم يصدقوا رسالهم

من سبحانه على وجوههم بالاغلال تارة الى الجحيم وتارة الى الجحيم)

الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ ٧٠ اِذَا الْأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاْسِلُ يُسْحَبُونَ
فِي الْجَحِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ٧١ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ آيَنَّا
كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ٧٢ مَنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ
نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ

(ما تشد اليه هذه الآيات الكريمات)

ترشد هذه الآيات الى بيان ما أعدّه الله تعالى من العذاب الاليم والعقاب الشديد لمن كذب بالكتاب وبما أرسل الله به رساله من الهدى والبيان وهو أن الاغلال توضع في أعناقهم وتوضع في الاغلال السلاسل ثم تسحبهم الزبانية منها على وجوههم ويجزّونهم بها تارة الى الجحيم وتارة الى الجحيم ولهذا قال تعالى (يسحبون في الجحيم ثم في النار يسجرون) أى يحرقون ظاهرا وباطنا وبعد استقراءهم في النار يقال لهم على سبيل التوبيخ والتفريع والتحقيق والتصغير أين الاصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله هل ينصرونكم اليوم قالوا ضلوا عنا وذهبوا وغابوا عن أبصارنا وفقدناهم فلا نراهم ثم لما تبين لهم ما كانوا فيه من الضلالة والجهالة وأنهم كانوا يعبدون ما لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر قالوا بل لم نكن ندعو من قبل شيئا أى بل تبين لنا اليوم أننا كنا لم نعبد في الدنيا شيئا يعتد به كذلك يضل الله الكافرين حيث عبدوا هذه الاصنام التي أوصلتهم الى النار

﴿ وقال تبارك اسمه في اثبات الصدق لهم عليهم الصلاة والسلام
بما أيدهم به من المعجزات الباهرات والآيات البينات ﴾

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ
وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ
بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ

﴿ ما تشير اليه هذه الآية الكريمة ﴾

تشير هذه الآية الكريمة الى بيان أن هؤلاء الرسل عليهم الصلاة
والسلام صادقون في كل ما يبلغونه عن الله تعالى لانه جل شأنه
أيدهم بالبينات والحجج القاطعات والمعجزات الباهرات ليكون ذلك من
أكبر دواعي تصديقهم في كل ما جاؤا به من أمر ونهي وأنزل معهم
الكتب وفيها أحكام الله وحدوده وأوامره ونواهيه من كل ما يكفل لهم
السعادة وأرشد الناس بهم الى استعمال آله يقع بها التعامل وبع
معه التساوى والتعادل وهي الميزان ليقوم الناس بالقسط والعدل
في أمور التعامل فلا يظلم بعضهم بعضا بأخذ شيء ليس له ولا من
حقه أن يأخذه ثم انه من المعلوم أن الكتاب الجامع للأوامر الالهية
والموازن الموضوع للتعامل بالسوية انما يحافظ على اتباعهما
والعمل بمقتضاهما بالقوة التي تردع من خرج عن النظام وجاوز
حدود الاحكام وآلات هذه القوة انما تصنع من الحديد لهذا كان
فيه البأس الشديد والقوة العظيمة وفيه غير ذلك من المنافع والفوائد
للناس في معاشهم ومصالحهم فانه مامن مصنعة الا والحديد أو ما يعمل
به آلتها والله ولي التوفيق

﴿ومن نظر الى خصام أهل النار وقولهم لخرقة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب وقول الخزنة لهم انا لن ندعو لمن كذب برسول الله علم أن تكذيب الرسل وعدم اعتقاد صدقهم من أكبر ما جنى المرء على نفسه من المصائب وقد حكى الله تعالى عنهم ذلك بقوله﴾

غافر

٤٧

وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ
النَّارِ ٤٨ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ
حَكَّمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ٤٩ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لَخَزَنَةٌ جَهَنَّمَ
ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ٥٠ قَالُوا
أَوْ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا
فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ

﴿وقال جل شأنه في إثبات صدق نبينا عليه الصلاة والسلام وأن
ما جاء به من القرآن الكريم حق وصدق لا مزية فيه﴾

٤٨

وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ
إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ

﴿ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة﴾

ترشد هذه الآية الكريمة الى صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

في دعواه أن القرآن كلام الله تعالى وأنه لا وجه لارتباب هؤلاء
المضلين المبطلين في ذلك

وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم أي نشأ في أمة أمة عامية بدوية لم يسبق
له قبل انزال القرآن أن يقرأ أو يكتب حتى ينوهم أنه جاء بهم هذا
القرآن من الكتب القديمة المأثورة عن الانبياء المتقدمين كما قالوا (أساطير
الاولين اكتبها فهي على عليه بكرة وأصيلا) وكيف يعقل أن رجلا
أميا نشأ في أمة أمة لم يمارسوا العلوم قط ولا نسب اليهم علم ولا تداولوا
الفحص عن الموجودات على ما جرت به عادة الامم المتقدمة الذين كانت
فيهم الحكمة في الاحقاب الطويلة يقول مثل هذا القرآن مع ما يشتمل
عليه مما يستحيل على أحد من البشر أن يأتي به ولو كان من أكبر
العلماء وأعظم السياسيين

فاتيانه صلى الله عليه وسلم به وهو أي لم يتعلم القراءة ولا الكتابة قط
بهذه الكيفية دليل واضح على أنه من عند الله تعالى أرسل نبيه محمدا
صلى الله عليه وسلم به ليكون مجهزة له تدل على تصديقه إياه
فارتباب المرتاب بعد ذلك وانكار المنكر مجرد عناد وجحود بلا
شبهة

(وقال جل ثناؤه في اقامة الحجة لارد على من زعم الفرية على النبي
عليه الصلاة والسلام بادعائه أنه يكذب ويقول من عند نفسه
ثم ينسبه الى الله تعالى)

وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۚ
ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۚ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ

أي وحيث لم يحصل ذلك الاخذ والقطع المترتبان على فرض كذبه

سورة	آية	
		صلى الله عليه وسلم وتقول عليه ما لم نقله كما هو زعمكم الباطل فهو عليه الصلاة والسلام صادق في كل ما يقوله البتة وأنتم كاذبون فيما افتر بتموه عليه لاحالة
		(وقد صرح جل شأنه بوصف كثير من رسله غيره صلى الله عليه وسلم بالصدق فقال)
مريم	٤٠	وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا (وقال)
مريم	٥٤	وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (وقال)
مريم	٥٦	وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا
		الصفة الثانية الفطانة
		قد علمت أن هؤلاء الرسل عليهم الصلاة والسلام لابد أن يتأهلوا من أرسلوا اليهم بالتكذيب اما عنادا وكبرا أو حسدا أو تقليدا فلا بد إذن أن يكونوا بمكانة سامية ودرجة رفيعة من الذكاء وشدة المعارضة وقوة الحجة في البيان ليتمكنهم أن يقبوا الحجج الباهرة والبراهين القاطعة على من ناولهم من خصومهم بالمعارضة أو وقف لهم موقف المتحدى فيكسرون بذلك سورة عنادهم ويلجئونهم الى التصديق بهم ولا يصح أن يكونوا الا كذلك ولو أنهم كانوا غير ذلك لما آمن بهم أحد لعدم قدرتهم على

اقامة الحجّة على خصومهم باثبات دعواهم فتبطل الحكمة من ارسالهم
 لذلك لا ترى أى نبي من الانبياء قام بين قوميه يدعوهم الى توحيد
 الله والايمان به وبرساله وكتبه وملائكته واليوم الآخر ويرشدهم الى
 مابه تقويم ما عوج من اخلاقهم واصلاح ما فسد من شؤونهم وتهذيب
 نفوسهم الا واطاموا في وجهه حرب التأييب والصقوا به كل ثلّة وأسندوا
 اليه كل وصمة وقابلوه بأشد أنواع الابداء وأكبر دواعي العداة كما
 حكى الله تعالى عنهم ذلك فقال (وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم
 من أرضنا أولنعودن في ملتنا فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين
 ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد) وقال
 تعالى حكاية عن نوح وقومه (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين
 أن لا تعبدوا الا الله لى أخاف عليكم عذاب يوم أليم فقال الملائ
 الذين كفروا من قومه ما نزاله إلا بشرا مثلنا وما نزاله اتبعك الا الذين
 هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين
 قال يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده
 فميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ويا قوم لا أسألكم عليه مالا
 ان أجرى الا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقور ربهم وليكني
 أرا كم قوما تجهلون)

وقال جل شأنه حكاية عن هود وقومه (والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم
 اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ان أنتم الا مفترون يا قوم لا أسألكم
 عليه أجرا ان أجرى الا على الذى فطرنى أفلا تعقلون ويا قوم استغفروا
 ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم
 ولا تتولوا حجر مین قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا عن
 قولك وما نحن لك بمؤمنين ان نقول الا اعترال بعض آلهتنا بسوء قال
 انى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه فكيدونى
 جميعا ثم لا تنتظرون)

وقال تبارك اسمه حكاية عن صالح وقومه (والى ثمود أخاهم صالحا قال
يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض
واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه ان ربي قريب مجيب قالوا
يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهاها أن نعبد ما يعبد آباؤنا
واننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب)

وقال جل ذكره حكاية عن شعيب وقومه (والى مدين أخاهم شعيبا قال
يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان انى
أراكم بخير وانى أخاف عليكم عذاب يوم مهيئت ويا قوم أوفوا المكيال
والميزان بالقيسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين
بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ قالوا يا شعيب
أصلاتك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء انك
لأنت الحليم الرشيد قال يا قوم أرأيتم ان كننت على يمينه من ربي
ورزقنى منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان
أريد الا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه
أنيب ويا قوم لا يجزى منكم شقاقى أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم فوح
أوقوم هود أوقوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد واستغفروا ربكم ثم
توبوا إليه ان ربي رحيم ودود قالوا يا شعيب مانفقه كثيرا مما تقول وانا
لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز)

وهكذا غير هؤلاء من المرسلين عليهم الصلاة والسلام من رب العالمين
قاسوا من أنواع الشدائد والمتاعب مع قومهم بما يقابلونهم به من
التكذيب وقيمونه فى وجوههم من حرب النأيب ومع ذلك يقابلونه
بكل صبر وثبات ولا يلبثون بعد ذلك الا أن يقوموا دونهم فيسفهوا
أحلامهم ويتبحروا أعمالهم ويدحضوا أقوالهم ويقنعوهم بالحجج
الباهرة والدلالات القاطعة مما يلجئهم الى التصديق بهم فى كل ماجاؤا
به من عند الله تعالى فتخضع عند ذلك رقابهم وترتاض لهم نفوسهم

سورة	آية	
ص ٢٠	٢٠	وينزلون عند حكمهم فتم أسباب السعادة وتكون لهم الحسنى وزيادة وما ذاك إلا بقوة بيانهم وشدة فطانتهم وذكائهم
		﴿وقد امتن الله تعالى على نبيه داود عليه السلام بما آتاه من الفطنة والحكمة فقال﴾
		وَشَرَدْنَا مَلَكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ
البقرة ٢٥٧	٢٥٧	﴿ما يؤخذ من هذه الآية الكريمة﴾
		يؤخذ منها كمال عناية الله تعالى بنبيه داود عليه السلام وشدة خطوته به وذلك بما منح له إياه من الهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقوة النفوذ ومزيد النعمة ليشهد بذلك أزره ويقوى ملكه وأعطاه من الحكمة والفهم والعقل والفطنة وفصل الخطاب أى الفصل فى الخصومات والقضايا والحكومات وتدبير الملك والمشورات ليميز الحق من الباطل والصحيح من الفاسد والصواب من الخطأ وذلك بما أوتيته من قوة البيان وعظيم البرهان وفى ذلك من الامتنان مالا يحصى
		﴿وقد ذكر رجل شأنه من محاجة إبراهيم عليه السلام ما هو بين الدلالة فيما أعطيه عليه السلام من الفطنة وشدة الذكاء وقوة البيان فقال﴾
		أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِى وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ وَاللَّهُ

لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

﴿ما يؤخذ من هذه الآية الكريمة﴾

يؤخذ من هذه الآية الكريمة بيان ما حصل بين سيدنا ابراهيم عليه السلام وملك بابل غرود بن كنعان من المناظرة والمحاكمة في وجود الله تعالى وذلك أن غرود أنكر وجود الله تعالى وأن الاله هو دون غيره وقد حله على ذلك الطغيان ما آناه الله تعالى من طول أجله وسعة ملكه وذلك ما أفاده الله تعالى بقوله (أن آناه الله الملك) فأنكر سيدنا ابراهيم عليه ذلك فطلب منه غرود الدليل فقال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت أى الدليل على وجوده تعالى حدوث هذه الاشياء المشاهدة بعد عدمها وعدمها بعد وجودها ضرورة أنها لم تحدث بنفسها فلا بد لها من موجد أوجدها وهو الرب الذى أدعوا الى عبادته وحده لا شريك له فعند ذلك قال غرود أنا أحيي وأميت (عنادا منه ومكابرة) فقال له سيدنا ابراهيم عليه السلام ان كنت كما تدعى من أنك تحيى وتميت فالذى يحيي ويميت هو الذى يتصرف فى الوجود فى خاق ذواته وتسخير كواكبسه فهذه الشمس تبسو كل يوم من المشرق فان كنت الها كما ادّعت تحيى وتميت فأت بها من المغرب فلما علم بجزه وانقطاعه عن الجواب وأنه لا يقدر على المكابرة فى هذا المقام بهت وأخرس ولم يتكلم وقامت الحجّة عليه لانه من القوم الظالمين الذين لا يهتدون بهم الله تعالى ولا يلهيهمهم حجة ولا برهانا بل حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد

فانظر كيف قصم ابراهيم عليه السلام حجة هذا اللعين وألقمه حجرا فى فيه فأخرسه ولم يتكلم وألزمه الحجّة وأقنعه بالبرهان الذى لا يحتمل نقضا ولا ردا وذلك بما أوتيته عليه السلام من قوة البيان وشدة المعارضة وكال الذكاء والفظنة وقوة الحجّة

وعما حاج به ابراهيم قومه وألزمهم الحجة به غير ما ذكر ما قاله لعبدة الاصنام بعد أن كسر أصنامهم الا كبيراً لهم وأتوا به على مشهد من الناس وقالوا له (أنت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون) يعرض عليه السلام بسخافة عقولهم بعبادتهم ما لا يسمع ولا يتكلم كما قال لأبيه (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً)

ومنه أيضاً ما خصم به أباه آزر وقومه وحاجهم به وهو ما حكاه الله عنه بقوله (فلما جنّ عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهْدني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم اني برىء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض خنيها وما أنا من المشركين) حتى استحق بذلك أن يقول فيه الله تعالى (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه)

وناهيك بما لسيد الوجود من الحجج الدامغة والبراهين القاطعة مما كان الواحد من العرب مع شدة بلاغته وفصاحته وكما لهما فيه ووفرتهما لديه يخرس دونها ويرتد صاغراً لقوله مقراً بالعجز عن مبادراته ومجاراته وذلك في النظم الكريم كثير . فن ذلك قوله تعالى على لسانه صلى الله عليه وسلم لعبدة الاصنام الذين أشركوا مع الله غيره في العبادة (قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأني توفىكون قل هل من شركائكم من يهْدى الى الحق قل الله يهْدى للحق أفن يهْدى الى الحق أحق أن يتبع آمن لا يهْدى الا أن يهْدى فما لكم كيف تحكمون) وقوله لهم أيضاً (قل أرايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ما ذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات أم آتيناهاهم كتاباً فهم على بينة منه بل ان يعد الظالمون

بعضهم بعضا الا غرورا ان الله يسلك السموات والارض أن تزولا
ولئن زالنا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا
وقوله لهم أيضا (قل أفرايتم ما تدعون من دون الله ان أرادني الله
بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته
قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون)

ومثل ذلك في القرآن الكريم كثير ولو أننا توخينا البحث فيما وقع بين
الانبياء والمرسلين مع أممهم وكيف ألزموهم الحجّة وألجؤهم الى التصديق
بهم بقوة بآياتهم وشدة فطنتهم وذكايتهم لوجدنا شيئا كثيرا يطول عليك
ذكره ويغنيك بعضه عن كله والله ولي التوفيق ومنه الرشد والهدى

الصفة الثالثة العصية

قد علمت أن وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام ارشاد من أرسلوا
اليهم الى الاعمال الحسنة والافعال المستحسنة وهدايتهم الى ما فيه صلاح
حالهم وسعادة مآلهم وتقويم ما اعوجج من أخلاقهم وتهذيب
نفوسهم وترك ما اعتادوا عليه من الافعال المنكرة والاعتقادات الفاسدة
والاوهام الباطلة فلا بد إذا أن يكونوا في أعلى درجات السكال وأسمى
مدارج الجلال منزهي عمالا يليق بمنصب رسالتهم من الوقوع في المعاصي
والانصاف بسفاسف الامور ووجود كل منفر للخلق عن الاقبال اليهم
وما وقع منهم من صور المعصية وسماها الله معصية فهي أمور طفيفة
لا تنقص مراتبهم ولا تلحق بشؤونهم وتسميتها معصية ومعا تبتهم عليها
من جانب الله تعالى ليس الا بالنسبة لعلو مراتبهم وسمو مقاماتهم عليهم
السلام وحكمة وقوعها منهم الاشارة الى انفراد الله تعالى وتوحيده
بالسكال المطابق فهم مبرؤن من كل ما يليق وقوعه من أحد أتقياء
البشر فضلا عن وقوعه منهم وذلك كالزنا والفساد على أعراض أتباعهم

ومدانسة المومسات والكذب والخيانة وغيرها من الافعال الذميمة حاشاهم
من جميع ذلك

ولو أنهم كانوا عليهم الصلاة والسلام على غير ما وصفنا من النزاهة
والعصمة من الوقوع في كل منكر أو قبيح ونحن مأمورون بالاعتداء
بهم في أقوالهم وأفعالهم لكانوا مضامين لمرشدين فتبطل الحكمة
من إرسالهم

﴿ وقال الله تعالى في تنزيلهم عما لا يليق بمنصب رسالتهم من كونهم
بأمرهم الناس بعبادتهم من دون الله أو يتخذون الملائكة والنبيين أربابا ﴾

مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالتَّحْكُمَ وَالنُّبُوَّةَ
ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ
كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ
تَدْرُسُونَ ٨٠ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ
أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ

﴿ مانشير اليه هاتان الآيتان الكرعتان ﴾

تشير هاتان الآيتان الكرعتان الى تبرئة الرسل عليهم الصلاة والسلام
وتنزيهم وعصمتهم من أن يقولوا مثل هذه المقالة الشنعاء وهي قولهم
للناس كونوا عبادا لنا من دون الله أى اعبدونا معه كما فعل أهل الكتاب
بأحبارهم ورهبانهم حيث اتخذوهم أربابا من دون الله وعبدوهم كما
حكى الله تعالى عنهم ذلك في قوله (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا
من دون الله) وكما أنهم معصومون من مثل هذه المقالة كذلك

معصومون من أن يأمرؤا الناس بعبادة أحد غير الله تعالى لأنبي مرسل
ولا ملك مقرب فانهم ما بهتوا لذلك ولا أمرؤا به (ولكن) انما بهتوا
ليقولوا للناس (كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم
تدرسون) أى كونوا فقهاء حكماء علماء بسبب ما تعلمونه للناس من
الكتاب المشتمل على الاوامر والنواهي التى من عند الله تعالى وبسبب
كونكم تدرسون العلم

وفى هذه الآية أعظم باعث لمن علم أن يعمل ومن أعظم العمل بالعلم
تعليمه والاخلاص لله سبحانه والدراسة مذاكرة العلم فدللت الآية
على أن العلم والتعليم والدراسة توجب كون الانسان ربانيا فن استغل
بها لالهذا المقصود فقد ضاع علمه وخاب سعيه

وكيف يعقل أنهم عليهم الصلاة والسلام يقولون للناس كونوا عبادا لنا
من دون الله أو يأمرؤنهم بأن يتخذوا الملائكة والنبيين أربابا مع أنهم
لو فعلوا ذلك لكانوا داعين الى عبادة غير الله تعالى ومن دعا الى عبادة
غير الله تعالى فقد دعا الى الكفر والانبياء عليهم الصلاة والسلام انما
يأمرؤن بالايمان وهو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى (ولقد
بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) الآية
وقال تبارك اسمه (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه
لا اله الا أنا فاعبدون) فهم عليهم الصلاة والسلام السفراء بين الله والخلق
فى أداء ما حمله من الرسالة وابلأ الأمانة لا يأمرؤن الا بما أمر الله ولا
ينهون الا عما نهى الله عنه وقد قاموا بذلك أتم القيام ونصحوا الخلق
وبلغوه الحق صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

((وقال جل شأنه فى ارشاد العصاة الى النوسل باتباع شرعه صلى الله
عليه وسلم ليغفر الله لهم ولا يكون ذلك الا حيث كان معصوما من
الوقوع فى ذنب مع افادة عدم الايمان مع عدم الرضا بحكمه
والتسليم لقضائه))

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ
إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ
الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ۖ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ
حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

((ما ترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان))

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى ثلاثة أشياء (الاول) ما فرضه الله من
طاعة الرسل عليهم الصلاة والسلام على من أرسلوا اليهم في كل ما جازاه
عن الله تعالى من الاوامر والنواهي والحكم والاحكام ولا يكون ذلك
الا حيث كانوا معصومين من الوقوع في كل منكر أو فعل كل قبيح لانه
تعالى لا يأمر بفعل محرم ولا مكروه (الثاني) ارشاد العصاة والمذنبين اذا
وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا الرسول صلى الله عليه وسلم
فيستغفروا الله عنده ويسألوه أن يستغفر لهم فان فعلوا ذلك تاب الله
عليهم ورحمهم وغفر لهم وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (ولو أنهم اذ
ظلموا أنفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ
تَوَّابًا رَحِيمًا

(الثالث) عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم من الظلم والجور فيما يحكم به
وبقضى فيه متوعدا من لم يقف عند حكمه صلى الله عليه وسلم ولم يرض
بفضائه بعدم الايمان الذي هو أفضل ما أوتيته العبد من الخيرات حتى يقع
منه هذا التحكيم له صلى الله عليه وسلم ثم لا يجد ضيقا في صدره مما قضى
عليه ويسلم لحكمه وشرعه تسليما لا يخالطه رد ولا شك ولا تشوبه مخالفة

كما قال صلى الله عليه وسلم (والذي نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (فلا وربك لا يؤمنون) الآية

وفي هذا من الوعيد الشديد ما تقشعر له الجلود وترجف له الافئدة فانه جل شأنه أولاً أقسم بنفسه بأنهم لا يؤمنون فنفى عنهم الايمان الذى هو أعظم خير أو نبيه الانسان حتى تحصل لهم غاية هى تحكيم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم يكتف سبحانه بذلك حتى قال ثم لا يجحدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت فضم الى التحكيم أمراً آخر هو عدم وجود حرج وضيق فى صدورهم فلا يكون مجرد التحكيم والاذعان كافياً حتى يكون من صميم القلب وعن رضا واطمئنان وانسلاج صدر وطيب نفس ثم لم يكتف به هذا كله بل ضم اليه أن يسلموا ويدعنوا وينقادوا الى ما حكم به وقضى فيه تسليماً كلياً من غير منازعة ولا ممانعة

وهذا منه جل شأنه بين فى أن نبيه صلى الله عليه وسلم مبرأ من الظلم والجور ومعصوم عن الوقوع فىهما وحينئذ فعدم تحكيمهم له عليه الصلاة والسلام محض عناد وجحود يستحقون عليه هذا الوعيد الشديد

﴿ وقد أمر الله بطاعتهم وبإلغ فى الإنكار على من أعرض عنها وعلق عليها الهداية مما هو بين فى كمال عصمتهم فقال ﴾

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ

﴿ ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة ﴾

ترشد هذه الآية الكريمة الى الحث على طاعة الرسول عليه السلام مع التحذير من مخالفته والاعراض عنه وأنهم ان أعرضوا عنه وخالفوا ما أمرهم به فلن يضره شيء من ذلك لانه فعل الواجب عليه وهو التبليغ وانما الضرر عليهم حيث لم يمتثلوا ما أمرهم به - وبعد أن حذرهم عن مخالفته وبين لهم ما ينتج عنها من الضرر بين لهم أيضا فائدة طاعته وامتنال أوامره بقوله (وان تطيعوه تهتدوا) وغير خاف أن ترتيب الهداية على طاعته لا يكون الا حيث كان هذا الرسول جامعاً لكل خير منزهاً عن كل نقص وعيب أسوة في أقواله قدوة في أفعاله والا كانت طاعته ضلالة وغواية لاسعادة وهداية

وبالجملة فننظر فيما نزل من القرآن الكريم في تنزيهه رسوله الكرام عليهم الصلاة والسلام عن النقائص التي كان قومهم ينسبونها اليهم وما وصفهم به في غير ما موضع منه من الصفات السكاملة والاخلاق الفاضلة مثل قوله جل شأنه في سيد الوجود صلى الله عليه وسلم (وما هو على الغيب بضنين) وقوله فيه عليه الصلاة والسلام (وانك لعلى خلق عظيم) وقوله فيه صلوات الله عليه (وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون) وقوله (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين) وقوله فيه (ومنهم من يلزك في الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا الى الله راغبون) أى لكان خيرالهم فقد ذم الله جل شأنه من يلز رسوله صلى الله عليه وسلم في قسمة الصدقات وذكروا أنهم لو رضوا ما أصابهم به الرسول من الغنية وطابت به نفوسهم وان قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا الله غنية أخرى فيؤتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم

أكثر مما آتانا اليوم لكان ذلك خيرا لهم وقال جل شأنه في تبرئته صلى الله عليه وسلم مما نسب اليه (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم) الآية وقوله جل شأنه في حقه عليه الصلاة والسلام (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) وقوله تبارك اسمه في سيدنا إبراهيم عليه السلام (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين) وقوله فيه (إن إبراهيم لحليم أواه منيب) وقوله في اسمعيل عليه السلام (إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا) وقوله في إدريس (إنه كان صدقا نبيا) وقوله في اسمعيل واليسع وذى الكفل (واذكروا اسمعيل واليسع وذو الكفل وكل من الأخيار) وقوله في أيوب عليه السلام (نعم العبد إنه أواب) وقوله في إبراهيم واسحق ويعقوب (واذكروا عبدنا إبراهيم واسحق ويعقوب أولى الأيدي والابصار أنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وأنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار) وهكذا مما ذكره تبارك اسمه في مدح رسوله الكرام عليهم الصلاة والسلام علم أن هؤلاء الرسل عليهم الصلاة والسلام كلمة الخلق وصفوة الله من خلقه منزهون عن كل شئ يحدث خدشا أو يكون نقصا في مراتبهم العلية مبرؤن عن الوقوع في المعاصي صغيرة أو كبيرة

الجالس في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام

اعلم أن هؤلاء الرسل هم بشر مثلنا تعريضهم أحوال البشرية مثلنا من اللذة والألم والصحة والسقم والحياة والموت والراحة والتعب والزواج والتوالد والأكل والشرب وغير ذلك مما يعتري سائر البشر لأنه لا بد من اعتقاد أنهم في كل ما يتصفون به ويشتركون فيه مع سائر البشر في أعلى درجات الكمال فلا يتلذذون إلا يشكروا الله تعالى فيما يتلذذون

به فيما تقتضيه أحوال بشر يتهم من إيا كل والمشرّب وغيرهما وثبوت
هذه الاحوال لهم عليهم الصلاة والسلام لانهم بشر يحيمون كما يحيا البشر
قال الله تعالى حكاية عن شهدوا ذلك فيهم منكرين حصوله منهم
(ما لهذا الرسول يا كل الطعام يعيش في الاسواق) فردّ الله تعالى عليهم
بقوله (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا لانهم ليا كاون الطعام يعيشون
في الاسواق) أى فكل الرسل قبلك كانوا كاون يعيشون في الاسواق
فكيف ينكرون ذلك عليك وقال جل شأنه في عيسى ابن مريم عليه
السلام (ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه
صديقة كانا يا كلان الطعام) وقال تعالى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات
واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم) وقال تبارك اسمه في بيان أنهم كانوا
يتزوجون ويتوالدون (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا
وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله) وقال جل شأنه في
بيان أنهم كانوا عرضون (وأيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت
أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم
معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) وقال جل ثناؤه في بيان أنهم
كانوا يموتون (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو
قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ)

هذا ولختتم الكلام برسالة سيد الوجود سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
كما ختم الله به عقد هؤلاء النبيين صلى الله عليه وعليهم أجمعين ليتبين كيف
كانت دعوته الى توحيد ربه وما قاساه في سبيل ذلك من المشقات
والمناعب مع ذكر بعض ما أمر به وبعض ما نهى عنه وكيف أنقذهم
من الضلالة وأبعدهم عن الجهالة مع ما كانوا عليه من الخضوع للاوهام
وفساد الاعتقادات والتمسك بالقبيح من العادات التي ورثوها عن
آبائهم وأسلافهم وكيف ألزمهم وأقنعهم بالبرهان الذي لا يحتمل نقضا

ولا ردّا حتى أقتر الكل بالعجز عن مباراته والتقصير عن حجراته فانتادوا
لطاغته ولجؤا الى متابعته بعد العداء الشديد وايداء كل كفار عنيد
والله ولي التوفيق ومنه الرشد والسداد

رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن
عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر
ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر
ابن نزار بن معد بن عدنان

ولد صلى الله عليه وسلم بمكة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من
ربيع الاول عام الفيل في عهد كسرى أنوشروان في ٢٠ ابريل سنة
٥٧١ من ميلاد المسيح عليه السلام فنشأ يتيما فقيرا فأواه الله وأغناه
بصدق قوله تعالى (ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى
ووجدك عائلا فأغنى) وتولى الله تربيته وتأديبه بصدق قوله عليه
الصلاة والسلام (أدبني ربي فأحسن تأديبي) فنشأ على الاخلاق
الفاضلة والصفات الكاملة من العفة والمروءة والكرم والسخاء والشجاعة
وحسن الخلق وصدق الحديث وحفظ الامانة والبعد عن الفحش
والاخلاق التي تدنس الرجال الى غير ذلك من سائر الكمالات حتى صح
أن يخاطبه الله تعالى بقوله (ولأنك لعلى خاق عظيم)

ولما بلغ صلى الله عليه وسلم أربعين سنة أرسله الله تعالى للناس
كافة بشيرا ونذيرا لينذر قوما ما أنذر آبائهم فهم غافلون وقال له ادع
الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فقام صلى الله عليه وسلم
يصدع بأمر ربه ويدعوهم الى توحيد الله تعالى وتفرد بالعبادة وحده لا
شريك له وبأمرهم بما فيه خيرهم وصلاحهم والفوز بالسعادة الدنيوية

والاخروية فن ذلك اتحاد الكلمة وعدم التفرق وتبذ التنازع والتباغض
 والتحاسد وذلك في قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا
 واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم
 بنعمته اخوانا) وقوله (ولا تنازعوا فتعشلوا وتذهب ريحكم واصبروا)
 وبر الوالدين ومعاملتهم بالملاطفة والمجاملة والاحسان اليهما وذلك في
 قوله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا)
 وصلة الرحم بالاحسان اليها ان كانت من ذوى الفاقة والافال السود
 بالكلام أو الزيارة أو البدء بالسلام أو بغير ذلك مما يجلب المودة ويزيد في
 المحبة وذلك في قوله تعالى (واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام)
 والتعاون على الخير وجلب المنفعة لاختيه المسلم ودفع الضرر عنه وذلك
 في قوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)
 وأداء الامانة وذلك في قوله تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات
 الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) وانجاز الوعد والوفاء
 بالعهد وذلك في قوله تعالى (وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا)
 والعفو وترك المجازاة على الذنب مع القدرة عليها وذلك في قوله تعالى
 (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت
 للنجسين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن
 الناس والله يحب المحسنين) ومواساة الفقير والاحسان اليه ومساعدته
 بقدر الطاقة وذلك في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات
 ما كسبتم وما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون
 ولستم بأخذيه الا أن تفضوا فيه) والسمي في الصلح بين الناس
 وإزالة البغضاء والشحناء فيما بينهم وذلك في قوله تعالى (لاخير فى كثير
 من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن
 يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما) - والعدل

سورة	آية
	والاحسان وذلك في قوله تعالى (اعدلوا هو أقرب للتقوى) - والاقتصاد والنوسط في الامور وعدم الاسراف فيها وذلك في قوله تعالى (ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين) وقوله (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) والمسارعة الى فعل الخير والمبادرة الى انتهاز الفرصة قبل فواتها وذلك في قوله تعالى (فاستبقوا الخير) وقوله (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض) الى غير ذلك من كل خصلة حميدة وصفة جميلة وبنهاهم عن الكفر واتخاذ الشريك لله تعالى وذلك في قوله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) وقوله (قل تعالوا أتتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا) - وعن الفسق وعصيان الله تعالى فيما أمر به أو نهى عنه وذلك في قوله تعالى (وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يفترون) وقوله (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) - وعن الرياء وهو العمل لاجل رؤية الناس ليمدحوه ويثنوا عليه خيرا وذلك في قوله تعالى (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) أى لا يرائى في عمله - وقوله تعالى (فويل للصلابين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن) وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كذا ينفق ماله رياء الناس) - وعن قتل النفس بغير حق وذلك في قوله تعالى (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق) - وعن الزنا وذلك في قوله تعالى (ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقننا وساء سبيلا) - وعن الكبر وذلك في قوله تعالى (ولا تمس في الارض مراحا انك ان تحرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا) - وعن الربا وذلك في قوله تعالى (وأحل الله البيع وحرم الربا) - وعن شرب الخمر والقمار وذلك في قوله تعالى (انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم

تفعلون) - وعن السخرية بالناس والاستخفاف بهم واستحقارهم وذلك في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن) - وعن عيب المرء أخاه ودعوته بغير ما سمى به من الألقاب وذلك في قوله تعالى (ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب) - وعن التجسس والغيبية وذلك في قوله تعالى (ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) - وعن الكلام فيما لا يعنى وذلك في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكن تسؤكن) - وعن المن بالصدقة وذلك في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالان والأذى) - وعن الخيانة وذلك في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تخوفوا الله والرسول وتخوفوا أماناتكم وأنتم تعلمون) إلى غير ذلك مما يضر بالهيئة الاجتماعية أو النفس أو المال أو العرض أو العقل

فلما دعاهم صلى الله عليه وسلم إلى ما دعاهم إليه وأمرهم بما أمرهم به ونهاهم عما نهاهم عنه نفروا من قبول دعواه وعادوه أشد العداة وهجره منهم الأهل والأهلان وكذبوا الشيوخ والشبان وتحول له الأعداء أعداء والرفقاء خصوما ألداء فقام صلى الله عليه وسلم دونهم بسفه أعلامهم وبقبح أعمالهم وبدحض أقوالهم كل ذلك ببراهين قاطعة وأدلة ساطعة وآيات بينات ومعجزات باهرات

معجزاته صلى الله عليه وسلم

هي تلك العلامات التي نصبها صلى الله عليه وسلم في وجوه معانديه ومكذبيه ليقفروا له صلى الله عليه وسلم بالرسالة وأن ما جاءهم به من عند الله تعالى حق لا مريية فيه وقد جاء بها صلى الله عليه وسلم على طرائق مختلفة ومناهج متنوعة سالت بها معهم مسائل الحكيم

الخبير فجاء لكل بما يناسب استعداده وسمو فكره وجوده
فبعضهم كان من انحطاط الفكر وقصر النظر بحيث لا يدرك الا ما كان
محسوسا له مشاهدا امامه فلجأ الى تجهيزه صلى الله عليه وسلم بما هو
من عالم الطبيعيات والنواميس التي تجري على موجبها حوادث الكون
ويعتقد أنه ليس في قدرة البشر تغيير شيء منها فجاءه صلى الله عليه وسلم
منها بما يلجئه الى التصديق به والاعتراف برسالته فمن ذلك انشقاق
القر له نصفين ورأوه بأبصارهم رأى العين وتكليم الضب له صلى
الله عليه وسلم وشهادته له بالرسالة ونبيع الماء من بين أصابعه صلى
الله عليه وسلم حينما أعوز أصحابه الماء في السفر وطلبوا منه السقيا
فوضع كفه في قليل من الماء فجعل الماء ينبع وهم يستقون منه حتى
اكتفوا وارتووا وكانوا ليسوا بالقليل وهكذا من خوارق العادات التي
جرت على يديه عليه السلام ونقلت لنا بالاخبار الصحيحة فهوؤلاء
القوم عند ما شاهدوا ذلك منه عليه الصلاة والسلام أيقنوا بصدق
دعواه فآمنوا به وصدّقوه واتبعوا النور الذي أنزل معه

وبعضهم كان من أهل الفصاحة والبلاغة العرييتين فجاءهم صلى الله
عليه وسلم بجموع كلام عربي يسميه القرآن من جنس ما هم عليه
وتحداهم بأقصر سورة منه وادّعى عجزهم عن معارضته ووصفهم بالضعف
والقصور عن بلوغ تلك المنقبة ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا منوها
بذلك في كل محفل مشهرا له في كل محفل فأخذوا يتأملون في ذلك
القرآن ويسبرونه بحسب العقل ويتدبرونه تدبر الناقد البصير فظهر لهم
بعد التأمل الصادق أن هذا القرآن لا يمكن لاحد من البشر أن يأتي
بمثله مهما تأنى فيه واضعه واتسع اطلاعه على الماضي والحاضر
والمستقبل وأحوال الامم في جميع شؤونها وأحاط بجميع الفنون
والآداب والاخلاق والسياسات وتحترى فيه عدم المضاربة والتناقض

وحسن الاسلوب فلما علموا ذلك وتحققوه جزموا بأن هذا القرآن ليس من كلام البشر وأنه من عند الله تعالى أرسل به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ليكون معجزة له تدل على أنه صادق في كل ما بلغه عن الله تعالى فصداقوه عند ذلك وآمنوا بجميع ما جاء به

وبعضهم مع اعترافهم بمعجزهم عن معارضة القرآن قالوا له صلى الله عليه وسلم أنت تعرف من أخبار الامم ما لا نعسف فإذلك يمكنك ما لا يمكننا فقال لهم صلى الله عليه وسلم فأتوا بعشر سور مثله مفتريات كما حكى الله تعالى عنهم ذلك بقوله (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) فلم يرم ذلك منهم أحسد مع التقريع بالنقص والتوقيف على المعجز وهم أشد الخلق أنفة وأكثرهم مفاخرة والكلام سيد علمهم ولازالوا مصرين على بخودهم وعنادهم وراموه بالاذى فاضطر صلى الله عليه وسلم الى مكابحتهم بالحرب والزاهم الحجة بالسيف مع قلة ذات يده وقلة أنصاره وأعوانه ولكن هو النصر من عند الله يؤتية من يشاء فتعرضوا لسفل دمائهم وهجر أوطانهم وتخريب دورهم ولأن في قدرتهم واستطاعتهم معارضة هذا القرآن ولو بأقصر سورة منه كما تحداهم به لما أجمعوا عن المعارضة وتعرضوا لهذا البلاء العظيم وهم بلا شك أصحاب عقول تمنعهم أن يتركوا السبيل السهل المستطاع ويختاروا أو عر المسالك وأصعب المناهج فاضطروا بعد ذلك الى تصديقه (وقد يدرك بالعنف ما لا يدرك باللطف) وبعضهم وجهوا كل همهم وعنايتهم الى البحث فيما جاء به عليه الصلاة والسلام فوجدوا أنه جاء بتوحيد الله تعالى ذاتا وصفات وأفعالا واعتقاد أنه تعالى متصف بصفات الكمال ومنزه عن صفات النقصان وأنه خلق دارين غير هذه الدار احدهما انعيم من أطاعه والاخرى لعذاب من عصاه وأنه أرسل رسلا الى البشر ليهدوهم الى اعتقاد العقائد

الصحيحة الحقّة التي لا يمكن للعقول البشرية التوصل الى اعتقاده
الا بإرشادهم وأمر بكل ما يعود على الانسان بالنفع ونهي عن كل
ما يعود عليه بالضرر وأمر بالعبادات المنظوية على تعظيم الخالق وأداء
بعض شكره على نعمه التي لا تحصى من صلاة وصيام وزكاة وحج
وسنّ من القوانين والنظامات ما يأمن معه كل ذى حق على حقه ويدفع
النعدي من الاشرار وذوى الاطماع على أحد من الامة أو أهل الزمة
وسنّ أحكام الزوجية بالطريقة المرضية على أكل نظام وأبدع لإحكام
وبين حقوق الزوجين على بعضهما مجتمعين أو متفرقين
وسنّ أحكام المعاملات من نحو البيع والشراء والاجارة والشركة
والمداينة وقسمة التركات على طريق الحكمة
وسنّ بعض العقوبات والقصاصات والتعازير لتحفظ بها الانفس والاموال
والاعراض

وسنّ جميع الآداب من كل باب كآداب الأكل والشرب وآداب النوم
وآداب الكلام وآداب المجالسة والمحادثة والزيارة وآداب الحضر والسفر
وآداب الزوجية وآداب ذوى الارحام مع بعضهم وآداب الجيران وآداب
الاصحاب وآداب جميع المسلمين مع بعضهم وآدابهم مع أهل ذمتهم الى
غير ذلك من الآداب

فبعد أن بحثوا في كل ما جاء به صلى الله عليه وسلم وما سنه من القوانين
والنظامات التي هي في غاية الاحكام والاتقان والابداع جزموا بأن اتيانه
بها صلى الله عليه وسلم وهو أى نشأ بين أمة أتمية بدوية جاهلية لم
يفارق أوطانه الا أشهر قلائل لاتصلح مسدته لتحصيل أقل القليل من
العلوم ولم يجتمع على أحد من أهل الممارف في مدة حياته في بلده
ولم يشاهد أنه عانى تعلم شئ من الشرائع وقوانين الدول فأنى له بأن
يستنبط عقله هذا الترتيب الغريب العجيب الذى أحاط بكل حكمة باهره

واحتوى على كل خصلة جيلة فاخرة وتكفل بنظام حال البشر وصالح
أحوالهم وطهارة نفوسهم وعمار ديارهم وكف أشرارهم وبكل شئ يعود
عليهم بالخير ويدفع عنهم الضر لا يصح العقل امكان التصديق باقتداره
صلى الله عليه وسلم على الاحاطة بجميع ما جاء به فاذا لابد أن يكون
مرسلا من جانب الله تعالى وهو الذى هداه الى جميع ذلك وأطلعه عليه
وفهمه أسرار وأمره بتبليغه فصداً فوه صلى الله عليه وسلم في جميع
ما جاء به وآمنوا برسالاته والله يهدي من يشاء الى ما يشاء
والى هنا تم القسم الاول من هذا السفر الجليل ويليه الثانى فى العبادات
ولله الحمد والمنة

القسم الثانى

فى

العبادات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين الحمد لله رب العالمين والصلاة
والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
(أما بعد) فهذا هو القسم الثانى وهو يشتمل على العبادات التى
يقصد بها تعظيم الخالق وأداء بعض الشكر على نعمه التى لا تحصى
من صلاة وصيام وزكاة وحج مع بيان الأسرار والحكم والفوائد والمنافع
التي تشتمل عليها هذه العبادات والى الله التجرى وعليه اعتماد وعلى
توفيقه أعول فى المعونة على الوصول الى نتيجة حقة ونية خالصة وعمل
مبرور فيما أتوخى القول فيه وأسأله تعالى أن يوفقنى لانتقامه مع النفع
به انه ولى الرشاد والسداد وعليه المعول فى المبدأ والمعاد

مقدمة

اعلم أنه سبق القول في أن الشريعة الإسلامية بل وسائر الشرائع إنما يقصد منها بيان ما يرشد الخلق الى معرفة الله تعالى باعتقاد وجوده واتصافه بصفات الكمال وتنزهه عن صفات النقصان والى الأحكام التي توصلهم الى انتظام أحوالهم المعاشية من توطيد الأمن فيما بينهم ووقوف كل عند حده ومنع التعدى من الأشرار وذوى الأطماع على أحد من الأئمة والى الآداب الفاضلة والأخلاق الكاملة من الأمانة والصدق والعفة والعدل والوفاء بالعهد وإنجاز الوعد والشجاعة والصبر والحلم وغير ذلك من الصفات التي بها تنذب النفوس وتتكمّل العقول وتتجمل الأخلاق - وإلى كيفية عبادته المحتوية على تعظيمه وأداء بعض الشكر على نعمه التي لا تحصى ولا يمكن أن تستقصى

وحيث كان غرضنا الذى نرعى اليه الآن وضائقنا التي ننشدها هو بيان أصول هذا القسم الأخير وهو العبادات مع بيان ما نبث فيها من الأسرار والحكم والفوائد والمنافع من السبيل التي نسلكها وهي الاستمداد من نور القرآن الكريم فنطالب من الله جل شأنه المعونة في اصابة هذا الغرض والرشد والهداية الى هاته الضالة فانه نعم الكفيل لمن التجأ اليه واعتصم به وجعل المعول عليه وهذا أو ان الشروع

العبادات

العبادة هي أقصى غاية التذلل والخضوع ولكن لا بد أن يكون ذلك بانبيات مخصوص وتأثر مخصوص اذ لا يكفي أن يكون مجرد التذلل والخضوع عبادة والاهلك سائر الناس اذ لا يخلو أحد منهم أن يخضع لكثير من

الاشياء أقربها اليه وألزمها لديه نفسه وشهوته وهوواه وغيرها من المؤثرات
التي يشعر الانسان من نفسه بداعية أنه خاضع لسلطانها وفهرها ومتذل
لنيل أمنيتها منها ولو أنك في ذلك كله قلت له أنك تعبد هذا الشيء لأنك
تمذل له وتخضع لسلطانه لقابلك بالانكار وتبرأ من قولك جهل المستطيع
وما ذاك الا لعدم وجود الانبعاث والتأثر المخصوصين عنده وبالعكس
فان كثيراً من العبادات ما يؤتى به بغاية الذلة والخضوع ومع ذلك لا يسميه
الشارع عبادة بل ربما سماه شركاً وذلك كالعبادات التي تفعل على وجه
الرياء فانها مع كون ظاهرها عبادة ويأتى بها صاحبها مع نهاية التذل
والخضوع لأمر كمن في النفس خبيث فان الشارع سماها شركاً في
قوله (ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) أى لا يرائى في عمله وما ذاك الا
لعدم وجود الانبعاث والتأثر المخصوصين في نفس المرائى وهذا الانبعاث
والتأثر يختلفان باختلاف الاشخاص وقوة ايمانهم وضعفه وكما يقيهم
ونقصه وشدة مراقبتهم لجانب المعبود وعدمها ويتبعهما في ذلك التذل
والخضوع والخشوع فكما بكل ايمان العابد وقوى يقينه واشتدت مراقبته
لجانب المعبود كثر التذل وخضعت النفس وخشعت الجوارح وسكنت
أثناء تلبسها بالعبادة وقيامها بين يدي المعبود تناجيه وتظهر له مقتضيات
عبوديتها وهذه حالة الكمال من عباد الله تعالى الذين حققت لهم الجنة
واليهم الاشارة بقوله تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن
الهوى فان الجنة هي المأوى)

سرك كيف الانسان بالعبادة دون غيره من

الحيوانات والجمادات

اعلم أن الله سبحانه وتعالى خلق الانسان متميماً بطبيعته ومستعداً بفطرته

لقبول تلك العبادات بما منحه من العقل والنطق ومميزه بهما عن سائر
الحيوانات والجمادات لذلك كلف بهذه العبادات وحده دونها كما يشير
الى ذلك قوله تعالى (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال
فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا
ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله
على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما) وقد قالوا ان المراد بالامانة
في الآية الكريمة المعروضة على السموات والارض والجبال تقلد عهد
التكليف بأن تتعرض لخطر الثواب والعقاب بالطاعة والمعصية والمراد
بالعرض علمين كمال تهيئتها واستعدادها لتلقى هذه التكاليف والمراد بابائهن
الاباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد وجعل الانسان قابلية
واستعدادا لها وعليه فقوله تعالى انه كان ظلوما جهولا مخرج التعليل
فان الظلوم من لا يكون عادلا ومن شأنه أن يعدل والجهول من لا يكون
عالما ومن شأنه أن يعلم وهذه حالة الانسان أما غيره فهو اما عادل عالم
لا يتطرق اليه الظلم والجهل كالملائكة أو ليس بعادل ولا عالم ولا من
شأنه أن يكون كذلك وذلك كالبهائم والجمادات فليس لها استعداد لتلقى
هذه التكاليف بطريق الفطرة وانما يليق بالتكليف ويستعد له من
كان ذا كمال بالقوة لا بالفعل وذلك انما هو متوفر في الانسان دون غيره
لذلك وقع التكليف له دون سواه

وأبضا فان الانسان مع كمال استعداداته وتهيئته بطريق الفطرة الى
قبول تلك العبادات جعله الله جل جلالته وعلمت كآفته خلاصة هذه
الموجودات وأفاض عليه من بحار كرمه وينابيع جوده نعمة لا تحصى
ولا يمكن أن تستقصى وأطلق له النظر في السموات والارض وما فيها
من الأقاليم والكواكب والحيوانات والنباتات والمعادن وغيرها لتكون
كلها عوامل في اصلاح معيشته بمصادف قوله تعالى (الله الذي خلق

السموات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا
لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر
لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما
سأتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) وقوله تعالى (وسخر لكم ما في
السموات وما في الارض جميعا منه) فكان لذلك من أوجب الواجبات
عليه أن يشكر هذا المنعم ليؤدي له بعض الواجب فيما خوله من هذه
المسخرات الالهية ويستديم ذكره فيخضع لأمره ويسعد بخضوعه ولا
طريق الى الشكر واستدامة الذكر والخضوع للأوامر والوقوف عند
حدود الاحكام الا هذه العبادات فلذا اقتضت حكمته تعالى أن يكلف
الانسان بها ليرشده السبيل الى أداء بعض الشكر على نعمة التي لا تحصى
والى ذلك الاشارة بقوله تعالى (انا هديناه السبيل إماما شاكرا وإماما كفورا)
ولذا لا يجوز شرعا ولا عقلا فعل هذه العبادات الا له تعالى لانه هو
المستحق لها دون سواه فهى من حقوق الله تعالى على عباده التي
لا يمكن أن يحيدوا عنها طرفة عين وقد بين ذلك صلى الله عليه وسلم
في قوله لمعاذ يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد
على الله قال معاذ الله ورسوله أعلم قال فان حق الله على العباد أن
يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا
يشرك به شيئا

ومع ذلك فلم يكلف بها الانسان على أنها أعمال لا يقصد منها الا مجرد
الشكر بل بث الله فيها من الفوائد والمنافع ما يعود على فاعلها بأعظم
الفوائد وأكبر المنافع مما يجعلها من أكبر النعم وأعظم المنن

الوسائل التي تكون بها العبادة مرجوة القبول

اعلم أن للعبادة وسائل هي لبنياتها قواعد وعلى القيام بها شواهد بها

يبلغ المأمول وتكون مرجوة القبول

(منها الاخلاص فيها)

وهو أن يقصد العابد بعبادته ذات المعبود من غير رجاء لمشوبة أو خوف من عقوبة فان قصد بها واحدا منهما فهو غير كامل الاخلاص لانه لنفسه سعى ولذا يقول صلى الله عليه وسلم (لا يكون أحدكم كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالأجير السوء ان لم يعط أجرا لم يعمل) والله در أعرابية وقفت على جماعة وقالت لهم ما الكرم يرجكم الله فقالوا بذلك المعروف والابشار على النفس قالت هذا في الدنيا فما هو في الدين قالوا طاعة الله سبحانه وبذل المجهود في عبادته واجتناب محارمه والوقوف عند حدوده قالت أفتريدون بذلك جزاء قالوا نعم قالت ولم قالوا لان الله وعد بالحسنة عشر أمثالها قالت سبحانه الله فاذا أعطيتم واحدة على أنكم تأخذون عشرة فأين الكرم قالوا فما هو يرجك الله قالت هو أن يعبد الله حق عبادته لا يراد على ذلك جزاء يفعل بكم مولاكم ما يشاء ألا تستحيون من الله أن يطلع على قلوبكم فيعلم منها أنكم تريدون شيئا بشئ . فانها قد بينت من الاخلاص أكمله ومن العبادة أحسنها وأكملها

(ومنها ترك الرياء)

فان الرياء اشراك غيره تعالى له في العبادة وقد قال الله تعالى (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) وقال صلى الله عليه وسلم (ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قيل وما الشرك الأصغر يا رسول الله قال الرياء)

(ومنها كمال المراقبة لجانب الله تعالى)

وهي أن يعبد الله كأنه يراه متيقنا أنه معه في كل عمل من أعماله وفي سائر
حركاته وسكناته ما خفي منه وما ظهر وما غاب وما حضر وما أعلن وما
وما أسر كما قال جل شأنه (وهو معكم أينما كنتم) فان راقب مولاه في
أثناء قيامه بالعبادة على هذا النحو وتذكر عظمته تذكر قلبه
خشعت جميع جوارحه وخلا قلبه من شواغل الدنيا وتفرغ لمناجاة
ربه والاتئاس به فانتلا من جلاله وأشرق فيه نور جلاله وهذا
بمعينه نهاية الايمان وكاله

(ومنها المبادرة بها)

وهي أن يسرع بفعالها عند حلول أدائها ويترك التسويف في فعالها
من غير عذر مانع ولا سبب قاطع فان قصر طمعا في العفو أو سؤف
رجاء استدراك ما فات فهو ظاهر الجهل ضعيف العقل فان الطمع في
النوال من غير سعي في أسبابه الموصلة له نهاية الجهل وخبل في العقل
والتسويف رجاء الاستدراك تحكم فانه لا يدري أي يوم ينتهي فيه أجله
حتى يدرك فيه أمه بل كان مثله في ذلك مثل رجل متعذر تحذره نفسه
بالصعود على جبل شامخ أو الجرى وراء غزال لمصطاده مع علمه بشكته
أعضائه وعدم قدرته على العدو فضلا عن الجرى وهو رأى غير حكيم
وفكرة غير صائبة

فن أتى بالعبادة على وجوهها المتقدمة واستقصى وسائلها السابقة كان
من كمال ايمانه ورسخ يقينه وكانت عبادته الى القبول أقرب منها الى
عدمه فان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا

تباين الناس واختلاف درجاتهم في العبادة

للعبادة وجوه ودرجات تختلف باختلاف العابدين وقوة إيمانهم وضعفه
فهم من يعبد الله لاستحقاقه الذاتي من غير نظر إلى نفسه بوجه من
الوجوه ولا إلى أن هذا العمل يعود عليه بالفائدة أولاً يعود ولا يقتضى
ذلك الانخضوع والذلة لذات المعبود بمقتضى هذا الاستحقاق وهذه أعلى
الدرجات وأكملها

ومنهم من يعبد الله تعالى تشرفاً بعبادته وامتهالاً لامره وقبولاً لنكاليته
التي كلفه بها وهذه أقل من الأولى وأحط منها منزلة

ومنهم من يعبد الله رغبة في ثوابه ورهبة من عتابه وهذه أحط من التي قبلها
ومنهم من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإنه أصابته
فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين

أنواع العبادات

أنواع العبادات أربعة صلاة وصيام وزكاة وحج واليك بيانها وما يتعلق
بها من الأحكام وما تشتمل عليه من الأسرار والحكم والفوائد والمنافع

النوع الأول

الصَّلَاةُ

هي عماد الدين وعصام اليقين كما أخبر بذلك الصادق الأمين حيث
يقول (الصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد
هدم الدين) وقد أشار صلى الله عليه وسلم إلى بعض ما اشتملت عليه من
الفوائد والمنافع بقوله (مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار عذب على باب

أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات فما يُبقي ذلك من الدنس)
شبه المذهب المحافظ عليها بحال مغتسل في نهر كل يوم نجسا يجامع أن
كلا منهما يزيل الاقدار

وقد عرفها الفقهاء بأنها أقوال وأفعال مخصوصة مفتتحة بالكبير مختتمة
بالتسليم وهو ولا شك تعريف جامع لأعمالها الظاهرية من قراءة
وركوع وسجود وقيام وقعود ولكن ليست هذه الالفاظ اللسانية والحركات
الجسمانية هي المقصود من الصلاة والغرض الذي يرمى اليه الشارع من
مشروعيتها (كلا) فان من يتأمل فيما ورد من الآيات القرآنية
والاحاديث النبوية في عظم قدرها وجلالة مكانتها من الدين وتأثيرها
في النفوس الى درجة أنها تحوّلها عن طبيعتها وتخلعها عن ربقتها
وتقف بفاعلها الى حد الاعتدال كما يشير الى ذلك قول الله وعز وجل
(ان الانسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا
الا المصلين) وكذا من يتأمل فيما يترتب عليها من الثمار البانعة
والفوائد النافعة كتنهيا عن الفحشاء والمنكر الذي نبه الله تعالى عليه
بقوله (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) والنبي صلى الله عليه
وسلم بقوله (من لم تنه صلواته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله
الابعدا) يظهر له جليا أن وراء تلك الاقوال اللسانية والحركات
الجسمانية سرا مكنونا وكنا مدفونا ورمزا مصونا ضرورة أن مجرد
هذه الاقوال والحركات لا يترتب عليه شيء من الثمرات ولم تكن أم
الاعمال المقربة الى الله تعالى دون غيرها من سائر العبادات

سر الصلاة وما اشتملت عليه
من الفوائد والمنافع

ان من منح الثبات وقوة العزيمة وحبيب اليه فضيلة العمل والاجتهاد

والمثابرة على جميع الاعمال ورزق سداد الرأي وثبات الجأش والطمأنينة في كل أعماله والمداومة على ما يعود عليه بالسعادة ثم طـرح ببصره الى ما يرى اليه غرض الشارع الحكيم من جعل الصلوات نجسا في اليوم والليلة في أوقات مخصوصة وأزمنة محدودة وما أعده من العقاب لمن تكاسل عن فعلها في تلك الاوقات وإلزام المكلف بها على أى حال من الحالات مهما توالى الضرورات وتكاثرت النكبات وتعددت الاعذار تعلم من ذلك درسا في الثبات وقوة العزيمة وحب الدأب على العمل وبغض العجز والكسل ما به يقاوم أعظم الصعوبات في سبيل ترقيه الى أوج الكمال ويذل به جوع الاعمال وهناك تكون السعادة الكبرى والنجاح الأعظم

وناهيك بما يقوم به المصلي من مناجاة ربه والافرار بربوبيته والاعتراف بوحديته وتذكره عظمتة تعالى ليا من من الغفلة عنه في ليله ونهاره بما يستولى على قلبه من شواغل الدنيا فتلازمه المراقبة بأن عليه رقبيا مهيئنا قريبا فيجمع بذلك عن العصيان ويهجر أمانى الشيطان

وحدث عما يترتب على الاجتماع فيها من الثمار البانعة والفوائد النافعة ولا حرج وذلك من اتحاد كلمة المسلمين وتوثيق عرى المودة والمحبة فيما بينهم وتعاونهم على ما يجلب لهم الخير ويدفع عنهم الضرر وإطلاع بعضهم على شؤون البعض الآخر المحتاجة للتعاون والتوازر فيقضي له حاجته إذا كان محتاجا ويفترج عنه إذا كان مضيقا عليه أو ينفق عليه ويحسن اليه إذا كان مقترا ويقضي دينه إذا رأى ازدحام الغرماء عليه أو يهديه الى ما فيه صلاح دينه ودنياه كل ذلك هو سر الاجتماع في تلك الصلوات فان الله جلت قدرته وعلت كلمته أراد أن يجمع المسلمين من سائر أقطار العالم في يوم واحد وساعة واحدة يؤم الكل غرضا واحدا وهو توجه قلوبهم اليه تعالى بمناجاتهم له وخضوعهم لذاته العلمية ليرشدهم كيف يجتمعون ويتحدون

ويتعاونون ويتآلفون فشرع لهم الاجتماع في أوقات هذه الصلوات فأهل المحلة يجتمعون في أوقات الصلوات المفروضة كل يوم خمس مرات وأهل البلد في الأسبوع مرة في صلاة الجمعة وأهل البلدة ومن جاورها في العام مرتين في صلاة العيدين

ثم في صلاة الجماعة واتباع المصلين لأمامهم واتباعهم له في جميع أعمال الصلاة تمرين النفس على الطاعة والانقياد للرئيس كما أن فيها تمرين النفس على انقياد الطبيعة للعقل وجريانها في حكمه

وفيهما أيضا من الارشاد والتعليم الى بث فضيلة العدل وحب الانصاف الذي هو قوام الامم وملاك حياتها وعليه مدار نظامها وحفظ كيانها وبه تأمين سبلها وتنو تجاراتها وتخصب أرضها وتعمر بلادها وتدر أرزاقها ويتم الصلاح الخاصة والعامة وذلك لانك ترى الغنى المترفع على وفرة ماله وقوة سيطرته وعظم جاهه وشدة بطشه وكثرة خوله وأعوانه يقف فيهماع الفقير البائس الذي لا يملك قوت يومه مع رثائه هيئته وخسة بزته وقلة ذات يده كتفا لكتف وجنبا لجنب وقدما لقدم لا تأنف من ذلك نفسه ولا تعاف الوقوف بجانبه بل تجدد من هو أعظم من ذلك مكانة وأسمى منزلة وأعلى مرتبة كالمملوك فان الشريعة تسوى بينهم وبين السوق فيها فلا غرو اذا تذلت نفوسهم بذلك وصار العدل فيهم ملائكة فيعدلون في الرعية ولا يجورون في القضية خصوصا وان ذلك يتكرر في اليسوم خمس مرات وذلك أدعى الى كسر سورة نفوسهم وركونها الى الذل والخضوع والتواضع ومقاومة ما هو كامن فيها من الانفة والعظمة والجبروت التي هي وسائل الظلم والجور والله بسر عبادته عليم

وفي انتظام صفوفها واستقامتها وتحديد أوقاتها وتعيينها من الارشاد الى النظام في جميع الاحوال والاستقامة في جميع الاقوال والافعال ما يكفي في الاقرار بعظيم منفعتها وجليل فائدتها فان النظام في كل شئ أساس

اصلاحه وعنوان نجاحه وباعث على الاستفادة وجامع لشمل منافع
الانسان فلاغرو اذا أخذ الانسان نفسه باستعماله وروض طباعه على
القيام بامثاله حتى يصير له كالعادة وتكون نفسه لمتابعته منقادة فتتظم
أحواله وتستقيم أموره وهناك تكون السعادة الكبرى والخير العظيم
كما أن في اطمئنان المصلي في جميع حركاته وسكناته وأعماله في صلاته
وعدم ابداء أى حركة فلا ينفث يَمَنَةً ولا يسره مع سكون جميع أعضائه
كأنما على رأسه الطير الارشاد الى تعليم الانسان السكون والنودة في
جميع أعماله فلا تنازعه عوامل الطيش والخفة فإذا حكم تبصر وإذا أقدم
على أمر تدبر وتفكر فيسلم من الزلل والخطل في جميع أقواله وأفعاله
فان السكون قانون النجاح في جميع الاعمال

وحسبك ما أودع في هذه الصلوات وما ترشد اليه من الاخلاق الفاضلة
والصفات الكاملة من الأدب حيث يجلس جلسة التأدب ولا يرفع
صوته على صوت إمامه وينصت الى استماع ما يقرؤه ولا يتقدم عليه ولا
يساويه في الوقوف وفي ذلك من الادب ما لا يخفى

ومن التواضع حيث يضع أشرف أعضائه وهو الوجه على الارض ويقف
بجوار من هو أحط عنه وأقل منزلة منه وينقاد لأن يكون تابعا في الامامة
ان هو أقل منه رُواء وأخس بزة وبهاء

ومن الحلم حيث يوطن نفسه على متابعة امامه مهما فعل مالا يلائم
نفسه من الاطالة في القراءة والركوع والسجود اذ يعلم أنه لامناص له
من متابعته ولا يمكنه الخروج من صلاته الا حيث يخرج وفي ذلك
من الصبر وهو مقاومة الالام والاهوال مالا يخفى

ومن الحياء حيث يحفظ نفسه فيها من كل ما يشينها ويعيبها فلا ترى منه
عضوا بارزا ولا بشرة بادية كما لا تراه يحمل درنا أو يلثم شعنا بل تراه نظيف
التياب حسن السميت جميل الهيئة لطيف المنظر الى غير ذلك من
الاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة

وناهيك بما اشتملت عليه من أفعال التعظيم ففيها يخضع القلب عند ملاحظة جلال الله وعظمته ويعبر اللسان عن تلك العظمة وذلك الخضوع بأفصح عبارة وتتأدب الجوارح حسب ذلك الخضوع ومن أفعال التعظيم أن يقوم بين يدي خالقه مناجيا ويقبل عليه مواجهها وأعظم من ذلك وأكبر أن يستشعر ذاته وعزة ربه فينكس رأسه اذمن الامر المجبول في كافة البشر والبهائم أن رفع العنق علامة العجب والكبر وتنكيسه علامة الخضوع والاختبات وهو قوله تعالى (فطلت أعناقهم لها خاضعين) وأعظم من هذا وذلك أن يعثر وجهه الذي هو أشرف أعضائه ويجمع حواسه بين يدي ربه الى غير ذلك من الثمار البانعة والفوائد النافعة وما يعقلها الا العالمون

وهناك لها من الثمار ما هو أدنى اقتطافا وأشهى مذاقا من تلك الثمرات وذلك أنها تغير الطباع وتقلب الاوضاع فتخرج الشيء عن أصله وتقلبه الى ضده فتخرج النفوس عما كن فيها بطريق الفطرة من الهلع وشدة الحرص وقلة الصبر الى حد الاعتدال والتوسط في الامور كما يرشد الى ذلك قوله تعالى (إن الانسان خلق هلوغا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين) أى ان الانسان خلق مجبولا على الهلع وهو شدة الحرص اذا مسه الشر أى الضرب يكثر الجزع واذا مسه الخير أى السعة والغنى بالغى فى الامسالك ومنع ما يجب عليه أن يؤديه من ذلك المال الا المصلين فانهم ليسوا كذلك لان الصلاة بها الاستغراق فى طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وإيثار الآجل على العاجل وما نشأ الحرص وشدة الشمر الا من الانهمالك فى لعب العاجل وقصور النظر عليه وهما متضادان

واليك ما أوجبه الشريعة الاسلامية قبل صلاة الجمعة وجعلته شرطا

في صحتها بحيث لا تصح صلاة الجمعة الا به وذلك أن يقوم بعض المسلمين في المسجد الجامع في يوم الجمعة والناس مجتمعون فيخطبهم ويرشدهم الى بيان آداب الدين وفضائله وما فيه صلاح عامتهم وخاصتهم سواء كان ذلك من جهة الدنيا أو الدين

ولما للصلاة من هذه الفوائد الجمة والمنافع العامة كانت معراجا للمؤمن يصعد به الى حظيرة القدس وينال القرب به من ذى العرش وهو قوله صلى الله عليه وسلم (انكم سترون ربكم فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا) أى فان استطعتم أن لا تصيروا مغلوبين بالاشتغال عن صلاة الصبح والعصر فافعلوا فلا جرم اذا كانت سببا عظيما لمحبة الله ورحمته وهو قوله صلى الله عليه وسلم (أعفى على نفسك بكثرة السجود) وشعارا للمسلم يتميز به من الكافر وهو قوله صلى الله عليه وسلم (العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر)

وهذا ما تيسر للفقيه ذكره مما اثبت في هذه الصلاة من الفوائد والثمرات ولها غير ذلك ما الله ورسوله أعلم به والراغبون في العلم وكفى به هداية للمسترشدين والله الموفق والمستد

واليك بيان كيفية الصلاة وما ينبغى للمصلى أن يلاحظه عند أداء كل ركن أو شرط من أعمالها

كيفية الصلاة

(وما ينبغى أن يلاحظه المصلى عند أداء كل ركن وشرط من أعمالها)

(شروط الصلاة)

اعلم أنه لا يصح لمن يريد الدخول في الصلاة أن يدخلها الا اذا استوفى شرائطها السابقة عليها وهى طهارة ثوبه وبدنه ومكانه الذى يصلى فيه

وستر عورته واستقباله القبلة ونبتته الدخول في الصلاة ثم بعد ذلك يدخل فيها وعليه أن يلاحظ عند مباشرته لهذه الاعمال الاعتبارات الآتية

فيلاحظ في فعل الطهارة أن الغرض منها الدخول في حضرة مولاه والتمثل بين يديه قائماً فلا يكون مع ذلك الاطاهر البدن والمكان والثوب والقلب بالتوبة والندم على ما فرط وتصميم العزم على ترك ما اقترفه من الذنب في المستقبل كما أن من يدخل حضرة ملك من ملوك الدنيا ويتمثل بين يديه يجتهد أن لا يقع نظر الملك على شيء يكرهه أو تشمئز نفسه منه والله جل شأنه يستوى عنده الظاهر والباطن فيستوى عنده طهارة البدن والثوب والقلب لان الكل لديه سواء

وفي ستر عورته يلاحظ أنه ليس الغرض منها تغطية مقابح البدن فقط بل المقصود ستر معايبه الباطنية وعورات سرائره الداخلية التي لا يطلع عليها أحد غير الله تعالى ولا يسترها عنه سائر حتى اذا لاحظ ذلك انبعثت جنود الخشمية من قلبه فتذل بذلك نفسه ويستكين تحت الخشمية قلبه فيقوم بين يدي الله عز وجل قيام العبد المسمى بالمحرم الذي ندم فرجع الى مولاه ناكساً رأسه من الحياء والخوف فضلاً عما فيه من تعظيم الصلاة وتحقيق أدب المناجاة بين يدي رب العالمين وهو ذلك الامر الذي امتاز به الانسان عن سائر الحيوانات وينبغي مع ذلك أن لا يكون السائر للعورة عما يشغل الانسان ويلهييه عن الصلاة لحسن هيئته أو لاجباب النفس به فان ذلك منافي للخشوع الذي هو لب الصلاة والاصل في ذلك أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم قباء مشقوق من خلفه وكان مزينا منقشا فلبسه وصلى فيه ثم نزعها نزعا شديدا كالكاره له وقال (لا ينبغي هذا للمؤمنين) وقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها وكان عليها ستر رقيق مزين منقش (أميطي عنا قرامك فانه لا يزال تصاويره تعرض في صلاتي

وبلاحظ في استقبال القبلة صرف قلبه عن كل ما عدا الله تعالى الى الله عز وجل كما صرف ظاهر وجهه عن سائر الجهات الى جهة بيت الله تعالى فان ذلك هو المقصود وانما هذه الظواهر تحريكات للبرواطين وضبط للجوارح وتسكين لها بالثبات في جهة واحدة فقد قال صلى الله عليه وسلم (اذا قام العبد الى صلاته فكان هواه ووجهه وقلبه الى الله عز وجل انصرف كيوم ولدته أمه) على أن في تعيين جهة مخصوصة دفع ما عساه أن يعترضه من الاضطراب والحيرة عند ما يريد الدخول في حضرة مولاه بتأجيله ويطلب إقباله عليه فلا يدري أي الجهات أقرب وأوفق لإقبال مولاه عليه واجابة دعائه فهذا التعيين يجتمع قلبه عند مناجاة ربه وتنظم نفس نفسه بأنه استقبل أفضل الجهات وأقربها وأوفقها لإقبال ربه عليه وحفظوته باجابة دعائه والسرف في ذلك والله أعلم انه لما كان تعظيم شعائر الله وبيوته واجبا لاسيما فيما هو أصل أركان الاسلام وأم القربات وأشهر شعائر الدين وكان التوجه في الصلاة الى ما هو مختص بالله لطلب رضا الله بالتقرب منه أجمع للخاطر وأحث على صفة الخشوع وأقرب لحضور القلب لانه يشبهه مواجهة الملك في مناجاته اقتضت الحكمة الالهية أن يجعل استقبال قبلة تاشترط في الصلاة في جميع الشرائع فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة حكم باستقبال بيت المقدس الذي هو قبلة أهل الكتاب وبقي على ذلك ستة أو سبعة عشر شهرا ثم أحكم الله آياته وأطلع نبيه على ما هو أوفق بالمصلحة وأقعد بقوانين التشريع بالنفث في روعه أولا فكان يتمنى أن يؤمر باستقبال الكعبة بدل بيت المقدس وكان يقلب وجهه في السماء طمعا أن يكون جبريل نزل بذلك وثانيا بما أنزل في القرآن الكريم من قوله تعالى (قد نرى تقاب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام) وانما عدل عن بيت المقدس الى الكعبة لانها كانت قبلة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ومن تدين بدينهما والنبي صلى الله عليه وسلم

بعث في الأميين الأخذيين بالملة الاسماعيلية وقدّر الله في سابق علمه
أنهم هم القاعون بنصرتة ونصرة دينه وهم شهداء الله على الناس من
بعده وهم خلناؤه في أمته بخلاف اليهود فانه لا يؤمن منهم الاشرذمة
قائلة فكانت المصلحة في رعاية حال المتدينين بدين اسمعيل عليه
السلام في اتباع قبايتهم اذ الاصل أن يراعى في أوضاع القربات حال
الامة التي بعث الرسول فيها فأمر لذلك صلى الله عليه وسلم أن يستقبل
الكعبة فاستقر الأمر على ذلك

ويلاحظ في النية أن يتمثل أمر الله تعالى بالصلاة يخلص فيها لوجهه
رجاء لثوابه وخوفاً من عقابه وطلباً للقرب منه وأنه ينجى الله تعالى
بعملة ذلك فينتظر كيف ينجى وبأى شيء ينجى وعندما يعرق جبينه من
الجل وترتعد فرائضه من الهيبة ويصفر وجهه من الخوف

فاذا استوفى هذه الشروط ولاحظ هذه الاعتبارات المتقدمة فما عليه بعد
ذلك الا أن يقوم لاداء هذه الخدمة فيتمثل بين يدي الله قائماً صافاً
قدميه مطأطأاً رأسه هادئة جميع أطرافه خاشعة جميع جوارحه ساكنة
جميع أجزائه ثم يفتح الصلاة

هيئة الصلاة وما تشتمل عليه من الأركان وما ينبغي
أن يلاحظه المصلي عند أداء كل ركن من أركانها

أول عمل يدخل به المصلي في الصلاة أن يرفع يديه حذاء أذنيه قائلاً الله
أكبر وفيه الإشارة للمصلي أن يستحضر أن مولاه الذي هو عازم على
التمثل بين يديه أكبر من كل شيء فلا يشغل قلبه بشيء سواه ثم يضع يده
اليمنى على اليسرى تحت سترته بهيئة أدب مطرقاً بنظره الى الارض غير
ملتفت الى شيء سوى ما هو متلبس بفعله وذلك لما فيه من تحقق

الخضوع والتذنب للنفوس على مثل هذه الحالة التي تعترى السوقة عند
 مناجاة الملوك من الهيبة والدهشة والسكون والأدب والخوف ثم يستفتح
 بقوله سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك
 والغرض منه التمهيد لحضور القلب وتذنبه الخاطار إلى المناجاة فهو بمنزلة
 استفتاح خطاب الملوك بذكر الألقاب التي تذكر قبل مخاطبتهم مشتملة
 على التعظيم والتبجيل والله المثل الأعلى ثم يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم
 لقوله تعالى (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) والسر
 في ذلك أن من أعظم ضرر الشيطان أن يوسوس له في تأويل كتاب الله
 تعالى بما ليس بمريض أو يصده عن التدبر لانه عدوه وحريص على تفريق
 قلبه وسواسه حسدا له على مناجاته مع الله عز وجل وسجوده له مع أنه
 طرد من رحمة الله بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها وكل ما شغل
 عن فهم معاني القراءة فهو وسواس يجب أن ينبذه ويعلم أنه من مكاييد
 الشيطان فإنه ليس الغرض من التعوذ مجرد قوله أعوذ بالله من
 الشيطان الرجيم مع أنه مقيم على ما يوسوس له به بل لابد من ترك
 كل ما يحول بينه وبين مناجاة ربه من وسواسه ثم يقول بسم الله الرحمن
 الرحيم سرا لما شرع الله لنا من تقديم التبرك باسم الله على القراءة
 ولأن فيه احتياطا إذ قد اختلفت الرواية هل هي آية من الفاتحة
 أم لا ثم يقرأ فاتحة الكتاب وكان الإشارة في قراءتها ما يأتي وهو أنه
 يلاحظ أن كل النعم من الله عز وجل فيأخذ في الثناء عليه لذاته العلية
 المستحقة لجميع المحامد ومن تلك النعم وأجلها أنه مهرب للعالمين على
 موائد كرمه الذي هو فرد منهم وأشعوره من نفسه بالتقصير في جانب
 تلك النعمة فما عليه إلا أن يلتجئ إلى رحمته الواسعة ويصفه بها لعله ينال
 شيئا منها ولما كان التجاؤ إلى الرحمة الصرف ربما يكون داعية البطر
 والغرور ناسب أن يؤتى له بصفة الجلال والقهر وهي أنه مالك يوم الدين

والجزاء والحساب وجدير بمن كان مربيًا للعالمين وواسع الرحمة ومتصفًا
بالجبروت والقوة أن يتوجه اليه بعبادته التي هي بعض الشكر على نعمه
ويتقرب اليه بخدمته ثم ينظر الى حاله فيجد أنه عاجز أشد العجز عن
القيام بتلك الخدمة وأداء ذلك الشكر ان لم يعنه الله تعالى ويوجد في قلبه
الباعث ويدفع عنه المانع فيطلب الاعانة منه تعالى على أداء تلك
الخدمة والقيام بتلك العبادة ثم يلاحظ أنه وجد من نفسه في توجهه ذلك
بالعبادة وطلب المعونة منه تعالى ستعدادا وتهيؤا لقبول دعائه فيطلب
منه تعالى الهداية الى الصراط المستقيم صراط الذين أفاض عليهم نعمة
الهداية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين دون الذين
غضب عليهم من الكفار والزائعين من جميع الامم الضالة ثم يختم ذلك
الدعاء بطلب الاجابة لما دعا به مولاه اذ هو أكرم مسؤل وأقرب مجيب
فيقول آمين أي استجب لما ياربنا مادعونالك به

ثم لما كانت الفاتحة بمنزلة شكوى المريض الى طبيبيه وهو في طلبه
الهداية الى ذلك الصراط المستقيم يطلب الدواء الشافي من امراض
الاهمال والاعتقادات السيئة وكان في كلام الله تعالى غير الفاتحة من
أنفع الادواء وأنجح أسباب الشفاء ما به يستأصل شأفة هذا الداء اذ
فيه الدلائل الوافية والمواعظ الكافية كان على المصلي أن يتلو شيئا من
القرآن غير الفاتحة لاستئصال هذا الداء وينبغي أن تكون قراءته
للفاتحة وهذا الجزء من القرآن غيرها سرا في الظهر والعصر وجهرا
في الصبح وأزاتي المغرب والعشاء ان كان اماما أو منفردا وان كان
مأموما وجب عليه الانصات والاستماع ان كان الامام يجهر والسر
في مخافتة الظهر والعصر أن النهار مظنة الغوغاء واللغط في الاسواق
والدور فالحفاضة فيهما أقرب الى الخشوع وأدعى الى عدم التشويش
وأما غيرهما ففي وقت هدوء الاصوات والجهر أقرب للتذكر والاتعاظ
ثم بعد ذلك يختر راكعا عملا صورة عجزه واحتياجه الى مولاه في هدايته

لذلك الدواء مكبرا له وشاهدا له بالعظمة وأنه أعظم من كل عظيم ثم يسبح مولاه وبسنزهه عن كل نقص قائلا سبحان ربي العظيم ويكرره ثلاثا ثم يؤكده بالتكرار ثم يرفع من ركوعه ويستوى قائما حتى يعود كل فقار مكانه حامدا لله على هدايته الى هذا الدواء قائلا سمع الله لمن حده أى أجاب لمن شكره ثم يردف ذلك بالشكر المقتضى للزبد فيقول ربنا ولك الحمد ثم يهوى الى السجود واضعا ركبتيه قبل يديه غير باسط ذراعيه انبساط الكلب محافيا بيديه مستقبلا باطراف أصابع رجليه القبلة قائلا الله أكبر ممثلا كمال صورة العجز عن أداء الشكر لمولاه على نعمة الهداية وأنه لاحيلة له الاوضع أشرف أعضائه اليه وأعزها لديه وهو الوجه على أخس الاشياء وأحقرها وهو التراب ولما فيه من غاية الذل والخضوع يتذكر عظمة الله تعالى الذي له هذا الذل والانكسار فينطلق لسانه قائلا سبحان ربي الاعلى مؤكدا ذلك بالتكرار ثلاثا ثم يرفع من سجوده قائلا الله أكبر كأنه يشير الى أنه تعالى أكبر من أن يستوفي تعظيمه مهما قضى من العمر في بذل المجهود في تحصيل ذلك ويجلس بعد الرفع وبين السجدين على رجليه اليسرى وينصب اليمنى ويضع راحتيه على ركبتيه وبعد رفعه من السجود يجدد أن هذه الحالة السجودية التي هي نهاية الخضوع والذل والاستكانة لم يقض أربه منها فيسجد نائبا لتحصيل ذلك الارب منزها مولاه عن كل ما لا يليق به قائلا سبحان ربي الاعلى مؤكدا ذلك بالتكرار كما فعل ذلك في السجدة الاولى ثم يرفع رأسه من السجدة الثانية وبذلك يسمى ماعله ركعة ثم يقوم ليأتي بركعة ثانية ويفعل بها ما فعل في الأولى ملاحظا كل الاعتبارات المتقدمة الا أنه لا يستفتح ولا يتعوذ ولا يرفع يديه اذ لا يرفعهما الا في التكبيرة الاولى وبعد تمام الركعة الثانية يتشهد وأصح صيغ التشهد تشهد ابن مسعود رضي الله عنه ولفظه (التحيات لله والصلوات

والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمدا عبده
ورسوله) كأنه يشير بذلك الى تهيئته للخروج من تلك الحضرة والرجوع
الى حالته التي كان عليها قبل دخوله في تلك الحضرة فيأخذ في تقديم
التحيات وعرض الصلوات والطيبات لدى مولاه الذي هداه ويسلم
ويترحم ويبارك على من كان السبب في هدايته لدخوله تلك الحضرة
وتشرفه بتلك الخدمة وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا يسلم
على اخوانه الذين اشتركوا معه في تلك العبادة ويطلب لهم الامان رجاء
القبول ثم يشهد من صميم قلبه بتفرد الله الذي هو المنعم الحقيقي
باللوهية وباكل المراتب وأشرف المناصب من العبودية والرسالة لسيد
الوجود سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حيث كان هو الواسطة العظمى في
بلوغ هذا الخير العظيم ثم يعطف بالصلاة على هذا الرسول الكريم فيطلب له
الصلاة بقوله (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى
آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل
ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد) ثم يدعو الله بما شاء أن يدعو
ومما ورد من صيغ الدعاء في التشهد (اللهم اني ظلمت نفسي ظلما كثيرا
ولا يغفر الذنوب الا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني انك أنت
الغفور الرحيم

ثم يسلم ان كانت الصلاة ثنائية وان كانت ثلاثية أو رباعية كبر بعد
فراغه من التشهد قائما ليأتي بركعة ثالثة في الثلاثية وباتنتين في
الرباعية ثم اذا تم الثالثة في الثلاثية والرابعة في الرباعية جلس وتشهد
بالكيفية المتقدمة وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وتكون
بعد التشهد الاخير من كل صلاة وكذا الدعاء عقيها

فن صلى بهذه الكيفية مراعيها فيها هذه الاعتبار الاولية كانت

صلاته صلاة الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم على صلاتهم يحافظون والذين هم على صلاتهم دأئون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون

ومن أذاها على غير هذا الوجه من الخضوع والخشوع والحياء والتعظيم كانت صلاته وبالأعلى وعلا بلا فائدة تعود عليه وان أردت شرح كيفية الصلاة بعبارة أخصر مع شمولها لجميع الشروط والاركان التي لا بد منها ولا تصح الصلاة الا بها فهي أن يتطهر ويسنن عورته ويقوم ويستقبل القبلة بوجهه ويتوجه الى الله بقلبه ويخلص له العمل ويقول الله أكبر بلسانه ويقرأ فاتحة الكتاب ويضم معها الا في الثالثة الفرض ورابعته سورة من القرآن ثم يركع وينحني بحيث يقدر أن يمس ركبتيه برؤس أصابعه حتى يطمئن راحها ثم يرفع رأسه حتى يطمئن قائماً ثم يسجد على الاعضاء السبعة اليدين والرجلين والركبتين والوجه ثم يرفع رأسه حتى يستوى جالساً ثم يسجد ثانياً كذلك فهذه ركعة ثم يقعد على رأس كل ركعتين ويتشهد فان كان آخر صلاته صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا بأحب الدعاء اليه وسلم على من يليه من الملائكة والمسلمين

فصل فيما يتقدم الصلاة من الاذان والاقامة

لما علمت الصحابة رضوان الله عليهم أن الجماعة مطلوبة مؤكدة ولا ينسب الاجتماع في زمان واحد ومكان واحد بدون اعلام وتنبيه تكلموا فيما يحصل به الاعلام فذكروا النار فردّها رسول الله صلى الله عليه وسلم لمشابهة المجوس وذكروا الترن فردّه لمشابهة اليهود وذكروا النافوس فردّه لمشابهة النصارى فرجعوا من غير تعيين فأرى عبد الله بن زيد الاذان والاقامة في منامه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال

رؤيا حق وصيغتهما أن يقول في الاذان (الله أكبر الله أكبر الله أكبر
الله أكبر أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن محمدا
رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله حي على الصلاة حي على الصلاة
حي على الفلاح حي على الفلاح الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله)
وفي الاقامة هذه الالفاظ بعينها غير أنه يزيد بين التكبير الاخير وبين حي
على الفلاح قوله (قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة) وقد زاد صلى الله
عليه وسلم على صيغة الاذان المتقدمة في أذان الصبح (الصلاة خير من
النوم الصلاة خير من النوم) وذلك لان الوقت وقت نوم وغفلة فاقضى
أن يذهبوا من غفلتهم ويوقظوا من نومهم

وكفى في فضل الاذان أنه من شـهائر الاسلام وأنه شـعبة من شعب
النبيـوة لانه حث على أعظم الاركان وأم القربات وأن قبوله من
القوم علامة انقيادهم لدين الله تعالى * وقد ورد في فضله من الاحاديث
قوله صلى الله عليه وسلم (المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيمة) وقوله صلى
الله عليه وسلم (المؤذن يغفر له مدى صوته ويشهد له الجن والانس)
وذلك والله أعلم لان أمر المجازاة مبني على مناسبة المعاني بالصـور
وعلاقة الارواح بالاشباح فوجب أن يظهر عظم شأن المؤذن من جهة
عنفه وصوته وتنسج رحمة الله عليه اتساع دعوته الى الحق

وينبغي لمن يسمع المؤذن أن يقول مثل قوله لان الاذان جعل ليعرف
بـقبول القوم للهداية الالهية فكانت محادثهم لقول المؤذن تصريحاً بما
أريد منهم لكن عند طلبه منهم الاقبال على الصلاة والاقبال على الفلاح
لا يقولون مثـل قوله لان تلفظ الأمور بلفظ أمره يعد كالسخرية بل
يقولون لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم كأنهم يقولون ان تحصيل
هذا الخير العظيم من الدخول في تلك العبادة وفوال فلاحها لا طمع
لنا فيه الا بحول الله تعالى وقوته

(وقد بين الله جل شأنه أن لا اعتداد بصورة الصلاة الظاهرية

وانما المعتد به أثرها حيث يقول)

البقرة ١٧٦

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ
وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ
وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى
وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي
الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ
إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ
الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ

(ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة)

ترشد هذه الآية الكريمة الى أن البر والخير ليس هو أن يتوجه
الانسان بجسمه ووجهه في الصلاة جهة المشرق والمغرب أو أي
جهة من الجهات مع خلق قلبه ونبوه عن المقصود بهذا التوجه وهو الله تعالى
بل الخير كل الخير أن يؤمن بالله تعالى ويعتقد اعتقاد اجازم بأنه
تعالى متصف بسائر صفات الكمال ومنزه عن سائر صفات النقصان
وباليوم الآخر وما فيه من البعث والحشر والحساب والميزان والجنة
والنار وغيرها - وبأن له تعالى ملائكة اصطفاهم لعبادته لا يعصون
الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ومنهم المتوسطون بينه تعالى وبين
أنبيائه عليهم السلام بالقاء الوحي وانزال الكتب السماوية - وبكتبه
المنزلة على أنبيائه وهم خيرته من خلقه اصطفاهم على سائر عباده ليكونوا

واسطة بينه وبينهم في تبليغ أحكامه المتكفلة بمصالحهم الدينية والأخروية فإذا اعتقد ذلك كله حق الاعتقاد تهذبت نفسه وكرمت طباعه وشملت قلبه الشفقة والرأفة فيجود بما فضل من ماله مع فرط حبه له وكثرة شغفه به على ذوى قرابته المحتاجين إليه واليتامى والمساكين الذين ألبأتهم الفاقة وشدة الحاجة إلى التكفف وذل السؤال والمكاتبين الذين ينتغون فك رقابهم من ربقة الرق ليستعينوا بذلك على تخلصها وتحريرها ولم يقف عند هذا الحد من التهذيب بل رسوخ اعتقاده وكال إيمانه يلجأه إلى شدة مراقبته لجانب الله تعالى في جميع أحواله وأوقاته وأخصها وقت مناجاته له تعالى في الصلاة فيقيمها أى يزيل عوجها (من قوم العود إذا عدله) بأن يؤديها على الوجه المطلوب الذى قدره الشرع من الخضوع والخشوع والتعظيم والحياء ويؤدي زكاة نفسه بأن يزكها ويظهرها ويخلصها من الاخلاق الرديئة الدنيئة الرذيلة ويحتمل أن يكون المراد زكاة المال المفروضة وعليه فيكون المراد بالابتداء المتقدم صدقة التطوع لاصدقة الفريضة

وناهيك بما يترتب على هذه المراقبة لجانب هذا الاله من حسن معاشرته لصنوف الخلق وجعل معاملته معهم فاذا وعد أحدهم وعدا أنجز له ووفى به واذا أصابته مصيبة في نفسه أو ماله مع اعتقاده بأن الكل من الله قابل ذلك بالصبر وحسن الثبات واطمأنت نفسه لقضاء الله تعالى وقابل له بالرضا والتسليم

فاذا فعلوا ذلك كله واتصفوا بهذه الاوصاف الحميدة صح أن يتصفوا بالصدق في المعاملة مع الله تعالى وفي الايمان لانهم حققوا الايمان القلبي بالاقتوال والافعال كما صح أن يتصفوا بالتقوى لانهم اتقوا المحارم وفعلوا الطاعات

﴿ وقال جل ثناؤه في بيان أنها تغير الطباع الثابتة وتمنح صاحبها

فضيلة الثبات وقوة العزيمة ﴾

إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۚ
إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۚ
وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۚ
إِلَّا الْمُصَلِّينَ

(ما ترشد اليه هذه الآيات الكريمة)

ترشد هذه الآيات الكريمة الى أمرين (الاول) ان الصلاة اذا أتى بها المصلي على وجهها المطلوب وحقها المرغوب من الخشوع والتعظيم والحياء غيرت ما جibat عليه نفسه بطريق الفطرة من الهلع وهو شدة الحرص اذ منشؤه الركون الى الدنيا وإيثار العاجل على الآجل والصلاة بمافيها من الخضوع لعظمة الله عند ما يناجيه ويتف بين يديه يتضرع اليه ويتذلل لديه ويستحضر خشيته في قلبه ويتذكر عظمته ويخاف عقابه تدفع بصاحبها الى ترك الدنيا وتبذ العاجل والرغبة في الآجل فيمتنع بذلك ما كان كامنا في قلبه من الركون الى الدنيا وإيثاره العاجل على الآجل فينبو قلبه عن الحرص ويترك ما كان عليه من الهلع (الامر الثاني) ان الانسان خلق بفطرته متقلبا في أعماله غير ثابت في أحواله ان رزقه الله من الخير بطر وطمع ومنع حقه فيه وان رزقه الشر جزع وسخط وتقطعت نفسه حسرات عليه فاذا أتى من هذه حالته بالصلاة كل يوم خمس مرات في أوقاتها المحدودة وعلم أنه ملزم بها على أى حالة من الحالات مهما اعتوره من الاعذار والضرورات لاجرم كانت المداومة على ذلك سببا في توطين نفسه على الثبات وقوة الجأش وخضوعها لكل ما يجري عليها من خير أو شر لعلمها أن الخير والشر من الله الذي تناجيه في اليوم خمس مرات وتستكين لعظمته وتخضع لمشيئته وتقرب بر بوبيته وتعترف بوحدهانيته ولولم يكن لهذا العمل المبرور والعبادة المحمودة الا أنها تغير الطباع

سوره	آیه	
		الناشئة من أخس الأخلاق وأدناها وهو شدة الحرص الذي هو أصل المفساد والاخلاق الذميمة من التحاسد والتباغض والتنافر والتشاجر والمنازعات وطالما تولدت بسببه الشرور المبيدة الى أجل الاخلاق وأعلاها من ترك الحرص وما ينشأ عنه مما علمت بعضه - وأنها تمنح صاحبها فضيلة الثبات وقوة العزيمة وتوطين النفس على الثؤدة في الامور لكفها شرفا وفضلا وفخرا وذكرنا والله أعلم بموارد كلامه ومصادره انه ولي التوفيق
		(وقال جل ثناؤه في بيان أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)
العنكبون	٤٥	وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
		(ما تشير اليه هذه الآية الكريمة)
		تشير هذه الآية الكريمة الى بعض ما يترتب على فعل الصلاة من الثمار النافعة والفوائد النافعة وهي أنها تنهى فاعلها عن ارتكاب الفحشاء وفعل المنكر وذلك لان الصلاة قد اشتملت على صنوف العبادات من الذكر والقراءة والركوع والسجود والقيام والقعود الدالة على نهاية التعظيم وغاية الخضوع لله جل وعلا وهو مع ذلك كله لا بد أن يكون حاضر القلب خالي الفكر من كل الشواغل الدنيوية مستحضرا عظمة الله تعالى وخشيته بقلبه جازما بأنه بحضرة مولاه وواقف بين يديه يناجيه ويتضرع اليه ويخضع لارادته ويمتثل لمشيئته فتمثل بذلك عظمته تعالى بقلبه فترتدع نفسه عن الشهوات وتعديل عما كانت تصرّ عليه من المنكرات وبذلك ينهى فاعلها عن الاتيان بما يكرهه منه مولاه من الفحشاء والمنكر قل ذلك أوكثر والا كان كالمتنافض في أفعاله لانه أتى في الصلاة بما يدل على عظمته تعالى وكبريائه من الأقوال والأفعال

والافعال مما لا يصح معه أن ينازح صاحب هذه العظمة والكبرياء بالعصيان أو يجاهره بالمنكر لان الاقدام على المعصية يدل على عدم مبالاة العاصي وقلة اكرائه بمن يعصيه واعتقاد عظمته وكبريائه وما يفعل فيها من الخشوع والخضوع والتعظيم يناقض ذلك فكأنها تقول لمن يأتي بها لاتفعل الفحشاء والمنكر ولا تعص ربا هو أهل لما أتيت به وكيف يليق بك أن تفعل ذلك وتعصيه عز وجل وقد أتيت بما يدل على عظمته وكبريائه بما تكون به ان عصيت وفعلت الفحشاء والمنكر كالمتناقض في أفعالك

(وقال تبارك اسمه في بيان ان الصلاة لا تكون سبب الفلاح والنجاح الا باصطحاب الخشوع في جميع أقوالها وأفعالها مع المحافظة عليها والمداومة على أدائها في أوقاتها المعينة لها)

المؤمنون

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٢
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ
فَاعِلُونَ ٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَفْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَى
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٦
فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ٧ وَالَّذِينَ هُمْ
لِأَمَانَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ
يَحَافِظُونَ ٩ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ
الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

تفيد هذه الآيات الكريمات اشتراط الخشوع في الصلاة وأن لاصحة لها إلا به
 وذلك قوله تعالى (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون) حيث
 علق النجاح على الخشعية والخشوع في الصلاة وذلك لأن المقصود من
 الصلاة أثرها وهو التعظيم والخشوع القلبيان لهذه الحركات الطاهرية
 من الركوع والسجود والقيام والتعود وحيث كان التعظيم والخشوع
 القلبيان لا يظهر أثرهما في الخارج إلا بهذه الحركات شرعت الصلاة
 بهذه الحركات المخصوصة التي هي نهاية التعظيم والخشوع لتدل على ما في
 القلب منهما فخشوعها إذا عنوان خشوع القلب وعلامة الخشوع
 بالنسبة للقلب حضوره وخلقه من كل شيء غير ما هو فيه ولومن أمور الآخرة
 وبالنسبة للجوارح سكونها وعدم العبث بها فلا يميل منه طرف ولا
 يتحرك منه عضو ولا يلتفت ذات اليمين ولا ذات الشمال فان ذلك كله
 يستدعي الغفلة عما هو فيه والله تعالى يقول (وأقم الصلاة لذكري) وظاهر
 الأمر للوجوب والغفلة تضاد الذكر فن غفل في جميع صلاته كيف
 يكون مقبلاً للصلاة لذكره ويقول صلى الله عليه وسلم (من لم تنه صلاته
 عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بُعداً) وصلاة الغافل لا تمنع من
 الفحشاء والمنكر بالتحقيق ويقول صلى الله عليه وسلم (كم من قائم حظه
 من صلاته التعب والنصب) وما أراد به إلا الغافل لأن هذا العمل ليس له
 نتيجة غير ذلك وأصرح من ذلك وأوضح قوله صلى الله عليه وسلم (ليس
 للعبد من صلاته إلا ما عقل منها) ولا ريب في أن الغافل بما استولى على
 قلبه من الهواجس والوساوس الشيطانية لا يعقل من صلاته شيئاً فهي
 لاشك وبال عليه وعمل بلا فائدة تعود عليه

وذلك لأن الصلاة كما علمت فيما تقدم ذكره ركوع وسجود وقيام وقعود
 فاما الذكر فهو مناجاة مع الله عز وجل والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة
 البتة بل خرج عن كون ذكر إلى أنه ألفاظ يقولها بحكم العادة والافأى
 سؤال في قوله وهو يقرأ فاتحة الكتاب (اهدنا الصراط المستقيم) اذا كان

قلبه غافلا وأى مشقة في تحريك لسانه به مع الغفلة لاسيما بعد الاعتماد إذا لم يقصد بما يقرؤه التضرع والدعاء وأما الركوع والسجود فالمقصود منهما التعظيم ولو أتى بهما مع الغفلة لا يكون معظما البتة إذ لو جاز أن يكون معظما لله عز وجل بركوعه وسجوده وهو غافل عنه لجاز أن يكون معظما لصنم موضوع أمامه وهو غافل عنه وإذا خرج عن كونه تعظيما فلم يبق إلا كونه مجرد حركة الظهر والرأس ولعمري إن حركة اللسان في القراءة والذكر مع الغفلة عن قصد التضرع والدعاء بها وحركة الظهر والرأس في الركوع والسجود مع الغفلة عن قصد التعظيم لعل لا فائدة فيه فضلا عن أن يجعل عماد الدين والفاصل بين الإسلام والكفر ويفضل على سائر العبادات

فقد تبين أن الصلاة مع الغفلة وعدم الخشوع عمل بلا فائدة وقد علمت سبب ذلك فن لم يخشع في صلاته فقد أنقض نفسه وكلفها من العمل ما كانت في غنى عن ضياع الوقت فيه بدون أدنى فائدة ترجع عليها وباليته لم يكن إلا عـلا لا فائدة فيه فقط بل هو مطالب بادائه على أى حال محاسب على ضياعه باشتغال باله ومطاوعته شهوة نفسه في إهماله

هذا وقد ختم الله هذه الآيات الشريفة بما يفيد الحث على المحافظة على الصلاة بتأديتها في أوقاتها بشروطها وإتمام ركوعها وسجودها وسائر أركانها على الوجه الشرعى المرضى إشارة إلى عظم شأنها وعلا مكانتها فكانه جل شأنه يقول إن الفلاح في الصلاة متوقف على الأمرين معا وهما الخشوع فيها والمحافظة عليها بتأديتها في أوقاتها وفي الآيات غير اشترط الخشوع والحث على المحافظة عليها الحث على ترك الاشتغال بما لا يعنى ولا يفيد من لغو القول والفعل أى القبيح منهما والحث على أداء الزكاة التى هى عبادة مالية بها تسترعى النفس وتنطهر من كل رذيلة ودنيئة وتحريم الزنا وعدم التمتع بغير ما أحله الله له من زوجته وما ملكت يمينه من الاماء والحث على الامانة وحفظ العهد وإنجاز الوعد

وبعد أن بين سبحانه في هذه الآيات المؤمنين المتصفين بما فيه الفلاح والسعادة والنجاح بين جزاءهم في الآخرة حيث قال (أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) أى أولئك المؤمنون المتصفون بالاوصاف المذكورة هم الوارثون للجنة خالدون فيها لا يموتون ولا يخرجون منها أبدا جعلنا الله منهم عبدا وكرمه

((وقال جل ثناؤه يبشر الذين يقيمون الصلاة ويؤدونها على الوجه المطلوب من الخشوع والتعظيم والحياء بالجنة))

وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ^{٣٥} الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ
وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
يَنْفِقُونَ

الحج ٣٤

((ما يؤخذ من هاتين الآيتين الكرمتين))

يؤخذ منهما عظم شأن الصلاة وعلو مكانتها حيث أمر جل شأنه نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يبشر الذين يقيمونها ويؤدونها على الوجه المطلوب الشرعى بالجنة وذلك في قوله تعالى وبشر المخبتين أى المطمئنين الراضين بقضاء الله تعالى الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وخافت منه لمكانته فيها وعلو شأنه وعظمته وكبريائه وكذا الذين إذا أصابهم مصيبة قابلوها بالرضا والتسليم لا طمئنان قلوبهم ورسوخ إيمانهم وقوة يقينهم بالله جل شأنه وتحققهم من أن كل ما أصابهم إنما هو بقضاء الله تعالى الذى لا يقابل بغير التسليم وقدره الذى ليس له عدّة سوى الصبر الكريم وكذا الذين لا يبخلون بما آتاهم الله من فضله فينفقون في وجوه البر والخير مما رزقهم الله تعالى فيوسعون على الفقير ولا يمنعونه حق الله تعالى فيما

خولهم من نعمه فان ذلك أدعى للمزيد والله ولى الرشيد والتسيد

وقال عز من قائل فى بيان ان الذين يتلون القرآن ويعملون بما فيه من إقام الصلاة وفعلها مع كمال أركانها وأذكارها وينفقون مما رزقهم الله يرجون ثوابا عند الله تعالى ولا بد من حصوله

فاطر

٢٩

إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا
مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ
لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ

(ما ترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان)

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى أن أعظم شئ يقرب الى الله تعالى ويكون وسيلة لنيل ثوابه وبلوغ منجى معاملته له بما لا يكسد ولا يلحقه الخسران هو تلاوة كتابه الكريم مع تدبر معانيه والعمل بما فيه من إقام الصلاة وأدائها بشروطها وتعام أركانها وأذكارها مع المداومة عليها والانفاق من رزق الله تعالى كيفما تيسر وأمكن فان أمكن فى السرف فهو أفضل والا فعلا نية

فمن فعل ذلك كان من الذين يرجون تجارة لن تبور أى يرجون ثوابا عند الله ولا بد من حصوله ولهذا قال تعالى ليوفيههم أجورهم ويزيدهم من فضله أى ليوفيههم ثواب ما فعلوه ويضاعفه لهم بزيادات لم تخطر لهم ثم عمل جل شأنه ما ذكره من التوفية والزيادة بقوله (انه غفور شكور) أى غفور لذنوبهم شكور للقليل من أعمالهم ومثل هذه الآية قوله تعالى (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله)

﴿ ولاستجماع الصلاة أنواع البر والخير كانت أنجح الوسائل في بلوغ
الانسان أمنيته وقضاء حوائجه ولذا أمرنا جل شأنه بالاستعانة بها
والالتجاء اليها عند مانع في مهم فقال ﴾

وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى
الْخَاشِعِينَ

٤٥

البقرة

﴿ ما تشير اليه هذه الآية الكريمة ﴾

تشير هذه الآية الكريمة الى أن الانسان اذا دهمه أمر من الامور أو
ألمت به مُلّة وعز الشخص منها فعليه أن يتوسل بالصلاة في دفع ذلك
ويطلب المعونة من الله جل شأنه في ازالة مانع به بأنجح الوسائل اليه
وأعظم القربات لديه وهي الصلاة وذلك لانها جامعة لانواع العبادات
النفسانية والبدنية والمالية من الطهارة وستر العورة وصرف المال في
تحصيلهما واطهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة
الشيطان في دفع ما يوسوس به ويدسه اليه من الشواغل الدنيوية
والرغائب الدنية ومناجاة الحق وتضرعه اليه وقراءة القرآن مع ما فيه
من الاوامر والنواهي مما هو أكبر العوامل في كبح النفس عن استرسالها
في شهواتها الى غير ذلك مما اشتملت عليه الصلاة من الفوائد والمنافع
ولا شك أن عملا كهذا وعبادة كهذه قد اشتملت على جميع أنواع
العبادات النفسانية والبدنية والمالية وصنوف البر والخير لجديرة بأن
تكون أقرب الوسائل وأنجحها في تحصيل المآرب وجبر المصائب لذا
أمر الله جل شأنه بالاستعانة بها والالتجاء اليها عند قضاء الحوائج
وناهيك بعبادة تكرر في اليوم والليلة خمس مرات ينال فيها العبد دربه
ويغسل بها العاصي درن ذنبه ولذا كان صلى الله عليه وسلم اذا حزبه
أمر فقام الى الصلاة أي اذا نزل به مهم أو أصابه غم صلى

سورة	آية	
		ولما كانت هذه الصلاة من أعظم القربات لما اشتملت عليه من صنوف العبادات وكونها كذلك لا يكون الا اذا أتى بها مستوفية الشرائط والاركان وقيل من يأتي بها كذلك كانت ثقيلة وصعبة على من يفعلها الاعلى قوم وفقهم الله لطاعته وذاقوا حلاوتها وتحققوا بما عند الله من الثواب الذي ادخره لهم وهم الخاشعون الذين بينهم الله جل شأنه بقوله (وانها لكبيرة الا على الخاشعين) أي ان الصلاة لكبيرة أي ثقيلة شاقة الا على الخاشعين أي الخاضعين المستكينين وانما لم تنقل عليهم لانهم عارفون بما يحصل لهم بسببها متوقعون ما ادخر من ثوابها فتتوون عليهم ولذا قيل من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل ومن أيقن بالخلاف جاد بالعطية - اللهم اجعلنا ممن وفقهم لطاعتك ومنحوا كمال رضاك بامتثال أوامرك انك رؤف رحيم جواد كريم
		(ولما في الصلاة من هذا الخير العظيم أمر الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يأمر أهله بها ويحاولوا على فعلها فقال)
طه	١٣٢	وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى
		(ما يؤخذ من هذه الآية الكريمة)
		يؤخذ منها وجوب المشاورة على فعل الصلاة والمحافظة على أدائها في أوقاتها والمداومة عليها مع استيفاء الشرائط والاركان مهما كان في ذلك من المشقة على النفس وقد أشار الله تعالى الى ذلك بقوله (واصطبر عليها) أي داوم عليها معتصما بالصبر في تأديتها مستكملة الاركان مهما شق ذلك على نفسك حتى لا يشغلك عن ذلك شاغل من شواغل الدنيا ورغائب

الحياة كالسهي على المعاش فان الله سبحانه وتعالى قد كفالك مؤنة ذلك كما قال تعالى (لانسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى) أى لانسألك أن ترزق نفسك وأهلك فلا تشغل نفسك في تحصيله حتى يحول بينك وبين أداء ما افترضته عليك من الصلاة فانارزقك وإياهم فاكف نفسك مؤنة المشقة في تحصيله فان الجنة وحسن العاقبة لمن اتقى الله تعالى وأطاعه لا لمن شغل بأمور الدنيا قلبه وبدنه حتى نسي الله نفسه ودخل تحت النهي في قوله تعالى (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون) وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) والخطاب في الآية الكريمة وان كان ظاهره التخصيص به صلى الله عليه وسلم وبأهله إلا أن المقصود منه عموم أمته فهو تعليم لنا بإرشاد النبي عليه السلام اليه

ثم اعلم أنه ليس الغرض أن يداوم الانسان على الصلاة ليله ونهاره ويشغل بها جميع أوقاته ويترك السهي على المعاش بالمرة حتى يعطل حياته ويصير عضوا في الهيئة الاجتماعية غير عامل ويشكف الناس ويريق ماء وجهه بذل السؤال فان ذلك يناقض نصوص الشريعة الاسلامية الغراء بل المقصود أن يواظب على أدائها في أوقاتها المعينة لها بحيث لا يشغله أمر المعاش عن أدائها في تلك الاوقات لانه كما لا يخفى لا يستغرق في أداء هذه الصلوات في أوقاتها المعينة لها أكثر من ساعتين من الزمن وهو العصر الحق زمن لا يصح لعاقل أن يأبى مناجاة الحق فيه مع أنه في كل أوقاته الأخرى متفرغ لقضاء لذاته الدنية وشهواته البهيمية فانهم ذلك ولا تغفل عنه

((وقد علم الله عزوجل ما لها من جليل المنفعة وعظيم الفائدة فأمر بالمحافظة عليها والمثابرة على فعلها فقال))

آية
٢٣٧
سورة
البقرة

حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا

لِلَّهِ قَانِتِينَ

(ما تفيد هذه الآية الكريمة)

تفيد هذه الآية الكريمة الحث على المحافظة على الصلوات والمداومة على أدائها في أوقاتها من غير إخلال بركن أو شرط وذلك لما علمت مما تقدم من الثمرات والمنافع التي لها فلا وأبيك ما تجد عاقلا عنده مسكة من العقل يعرف بعض ما لهذه الصلوات من الفوائد والمنافع ولا يستمسك بعروتها الوثقى التي لا انفصام لها ولا يعرض على المحافظة عليها بالنواجذ وخصوصا الصلاة الوسطى وهي صلاة العصر على أصح الأقوال لقوله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب (شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملاء الله بيوتهم نارا)

وبعد أن حث الله جل شأنه على المحافظة على الصلاة بين ما يجب أن يكون عليه المصلي في حال صلاته من الخشوع وطول الركوع وغض البصر وعدم الالتفات وعدم العبث بشئ من ثيابه أو أعضائه وعدم حديثه نفسه بأمر من أمور الدنيا فقال (وقوموا لله قانتين) أي وقوموا في الصلاة قانتين أي مكلمين لها ومتمهينها على أحسن وجه من غير إخلال بشئ مما ينبغى أن يكون فيها من الخضوع والخشوع وطول الركوع وغض النظر وعدم الالتفات وغيرها مما هو خارج عن هيئة الصلاة فان حافظ المصلي وداوم عليها على النحو المتقدم من غير إخلال بشئ مما ينبغى فيها كان من الذين وفقهم الله لطاعته ورزقهم حسن عبادته وهداهم الى سبيله السوي ونور قلوبهم حتى عرفوا الرشدين الغي

جزاء تارك الصلاة

اعلم أن الناس مجزيون بأعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر وقد علمت
أن الصلاة أفضل العبادات وأعظم أنواع القربات وأن من أقامها فقد
أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين وأنها سبب الفلاح والفوز بالسعادة
وأنها جامعة لصنوف البر والخير وأنها أنجح الوسائل إلى الله تعالى وأعظم
القربات لديه في تفريج الكرب وإزالة البؤس وقضاء الحاجج وأنها
تنهى عن الفحشاء والمنكر وتغير الطباع الثابتة وتفتح صاحبها فضيلة
الثبات وقوة العزيمة إلى غير ذلك من صنوف الخير وأنواع البر فلا جرم
إذا عوقب تاركها بأنواع العذاب وشديد العقاب وباء بالخسران ورجع
بالخسرة والندامة والخذلان على ما فرط في جنب هذا الخير الجسيم
والفضل العظيم العميم

﴿ ولذا يقول الله تعالى في بيان جزاء تارك الصلاة وما يستحق من
النكال وما يحقق به من الوبال ﴾

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيمَةٌ ۖ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۚ
فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ۚ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۚ مَا سَلَكَكُمْ فِي
سَقَرٍ ۚ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ

﴿ ما يفيد هذه الآيات الكريمة ﴾

تفديد تفخيم أمر الصلاة وتعظيم شأنها بما قرره من النكال الشديد
والعذاب الاليم لمن ترك الصلاة ولم يحافظ عليها ولم يعتن بشأنها حاكية
أحوالهم في الدار الآخرة وما يقولونه عند ما يسألون عن سبب دخولهم
النار وتعذيبهم فيها العذاب الأكبر من أن سبب ذلك أنهم لم
يكونوا من المصلين الذين يؤدّن الصلوات في أوقاتها وذلك قوله تعالى

(كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين) أى كل نفس بما كسبت من الأعمال خيرية أو شرية رهونة عند الله تعالى مؤاخذه عليه بما تستحقه من النعيم أو العذاب الاليم الا أصحاب اليمين وهم المؤمنون المخلصون فان نفوسهم غير رهونة لانهم فكروها بما أحسنوا من أعمالهم كما يفك الرهن رهنه بأداء الدين وهم لذلك في جنات يتمتعون فيها ويتلذذون بجميع أنواع الملاذ ويسألون المجرمين عن أحوالهم وهم في الغرفات وأولئك في الدركات قائلين لهم أى شئ أدخلكم في سقر قالوا جوابا لهم عن سؤالهم لم نك من المصلين أى سبب دخولنا النار وما نقاسيه فيها من العذاب الاليم هو تركنا الصلاة فانظر كيف حاق بهم من العذاب الشديد والعقاب الاليم بسبب تركهم الصلاة وعدم اعتنائهم بشأنها والجرى انهم لجديرون بأكثر من ذلك اذ أى عاقل يشغل جميع أوقاته في قضاء شهواته الدنية ولذاته البهيمية ويكسل عن أداء هذه الصلاة مع ما فيها من الخير العجم والنفع العظيم والثمار البانعة والفوائد النافعة على أنها لا تكلفه من المشقة شيئا ولا تشغل من أوقاته الاجزاء قليلا لا يتجاوز الساعتين في جميع ليله ونهاره

(وقال جل ذكره في بيان أن من يأتى بالصلاة وهو متكاسل كان من المنافقين)

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآؤْنَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا

((ما تشير اليه هذه الآية الكريمة))

تشير هذه الآية الكريمة الى بيان المنافقين وأحوالهم المستحقين لهم العقوبة المذكورة في قوله تعالى (ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار) بأنهم هم (الذين يخادعون الله) أى يفعلون ما يفعل المخادع فأعمالهم في صورها أعمال المؤمنين ولكن بواطنهم خاوية من حقيقة الإيمان ووجدانهم محروم من ذوق حلالوته (والذين اذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى) أى متهاقلين متباطئين لانشاط لهم في فعلها ولا رغبة لهم في اقامتها كما ترى من يفعل شيئا على كره منه لاعتى طيب نفس ورغبة (والذين يراؤن الناس) أى يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة (ولا يذكرون الله الا قليلا) أى ولا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون غائبين عن أعين الناس بل لا يفعلونها الا بحضور من يراؤنهم وهو أقل أحوالهم لانهم ما وجدوا مندوحة عن تكلف ما ليس في قلوبهم هذه هي حالة المنافقين التي بينها الله تعالى واهم الحق ان من كانت هذه حالته مع الله الذي عنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البحر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا وهو حاضر في علمه لا يغيب عنه منه شيء كان مبلغه من الحماقة مبلغ الظلم اذا طلبه القانص فانه يدس رأسه في الكتيب من الرمل نطنا منه لحماقته أنه لا يراه حيث لا يرى هو نفسه وان شخصا لا يعمل من الخير الا ليثما يراه الناس ليثما عليه خيرا لجدير بالسخافة وحقيق بالملامة فما أضعف عقله وأقل معرفته وأبعده عن تحقيق النظر وتصحيح الفكر اذ لو لم يجد نفسه زمن المروءة حقيرا في أعين أصحابه لما لجأ الى استكمال نفسه بما يظن أنه يكملها وما درى أنه ينقصها وخصوصا اذا اطلعوا على حاله وعلموا ما يكنه من أعظم الكبائر ويضمه من أخبث الضمائر وعلموا أنه انما يعمل ما يعمل ليشتهر عند الناس

سورة	آية	فضله وصلاحه المزعومين فيودعون الدائع ويؤمنونه على الامانات نيا كلها بالباطل فانهم عند ذلك يبالغون في مقتته ويجهتدون في خزيه وطرده فيضر نفسه من حيث يريد أن ينفعها وهذا هو الاحق بعينه
		(وقال جبريل ثنائه في بيان أن الاتيان بالصلاة مع الكسل وعدم الرغبة من الموانع من قبول ما يتصدق به فاعلمها ويبد له من النفقات)
التوبة	٥٥	وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ
		(ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة)
		ترشد الى وجوب الاعتناء بأمر الصلاة ونزوع النفس اليها بهمة ونشاط تأمين وذلك يتحقق اذا وجه المصلى قلبه اليها عند إقامتها برغبة شديدة ونشاط لا فتور فيه وتنبهه في ذلك سائر جوارحه فاذا قام اليها فكانما أنشط من عقاب بخلاف ذلك يكون من المتفاعدين المتباطئين الذين حالت شغوتهم دون التمثل بين يدي خالقهم يناجونهم ويتضرعون اليه ويسألونه قضاء حوائجهم ويقرون بربوبيته ويعترفون بوحديته ولعمري الحق ان من كانت هذه حاله فهو جدير من الله بالوقت والغضب وخلق بالخسف والعطب ومن غضب الله عليه أذاقه حرارة بأسائه وخلعه من لباس نعمائه وحرمة قبول ما يحسن به ويتصدق لان قبوله داعية الرضا وهو والغضب ضدان ولذا يقول جل شأنه (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون) أى وما منعهم من قبول نفقاتهم شئ من

الاشياء الا كفرهم وعدم اتيانهم بالصلاة الا في حالة كونهم متكاسلين متهاقلين عن فعلها لانهم لا يرجون بفعلها ثوابا ولا يخشون بتركها عقابا فهي لذلك ثقيلة عليهم كافي قوله تعالى (وانها الكبيرة الاعلى الخاشعين) وعدم انفاقهم المال الا في حالة كونهم كارهين لانفاقه فهذه الثلاث خصال هي السبب في عدم قبول الله تعالى ما يجودون به من أموالهم ويتصدقون به على الفقراء منها ويحسنون به عليهم وذلك لما علمت من أن القبول داعية الرضا والمحبة وهي داعية الغضب والكراهة وهما ضدان

﴿ وقال تبارك اسمه في بيان جزاء من يؤخر الصلاة عن أوقاتها المعينة لها ﴾

فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ

﴿ ما تفيد هذه الآية الكريمة ﴾

تفيد هذه الآية الكريمة بيان ما أعده الله من العقاب الاليم والعذاب الشديد لمن سها عن صلاته وغفل عنها وذلك إما عن فعلها بالكسبية بان تركها ولم يأت بها أبدا واما عن فعلها في الوقت المقتدر لها شرعا فيخرجها عن وقتها بالكسبية أو عن وقتها الاول فيؤخرها الى آخره دائما أو غالبا واما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به من الخشوع فيها والتدبر لمعانيها فمن اتصف بشئ من ذلك كان له نصيب مما يحل به من العذاب ومن اتصف بجميع ذلك تم له نصيبه منه وكل له النفاق العملي كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى اذا اصفرت وكانت بين قرني شيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها الا قليلا)

أوقات الصلوات المفروضة

اعلم أن الصلاة أعظم العبادات شأنا وأوضحها برهانا وأشهرها في الناس وأنفعها في النفس ولذا اعتنى الشارع ببيان فضلها وتعيين أوقاتها وغير ذلك من شؤونها وأحوالها اعتناء عظيما لم يفعل في سائر الطاعات فمن ذلك أنه عين لصلاة الصبح وقتا من طلوع الفجر الى طلوع الشمس وللظهر من تحوّل الشمس عن وسط السماء الى الجهة الغربية حتى يصير ظل كل شيء مثله وللعصر من خروج وقت الظهر الى غروب الشمس وللغرب من غروب الشمس الى مغيب الشفق الاخر والعشاء من مغيب الشفق الاخر الى طلوع الفجر وذلك والله أعلم لان فائدة الصلاة وهي مراقبة جانب الحق جل جلاله وتمثيل عظمته تعالى في قلب العبد لا تحصل الا بالداومة عليها والملازمة لها والاكتار منها ولما كان الدوام المستمر الحقيقي غير ممكن لانه يترتب عليه ترك جميع المصالح الضرورية والانسلاخ عن أحكام الطبيعة بالسكينة أوجبت الحكمة الالهية أن يؤمروا بالمحافظة عليها والتعهد لها بعد كل برهة من الزمن ليكون في تقرب الصلاة التالية وانتظارها بعد الصلاة التي قبلها محور للغفلة التي ربما دخلت في جذور القلوب فحالت بينها وبين مراقبتها للحق فتحيط الخطيئة بها وتكتنفها ظلمات الذنوب فتجب عن كل مطلوب وتغنى من كل مرغوب فوجب لذلك تعيين الاوقات لهذه الصلوات وانما خصت هذه الاوقات الخمسة بالتعيين لأمور

(الاول) ان هذه الاوقات الخمسة هي أوقات فراغ الانسان من عمله وكان أحق ما يؤدي فيه الصلوات الاوقات التي تكون فيها النفس خالية عن الاشغال المعاشية المنسية لذكر الله تعالى لتصادف قلبا فارغا فتمكن منه وتكون أشد تأثيرا فيه وهو قوله تعالى (وقرآن الفجر

ان قرآن الفجر كان مشهودا) لان التلذذ فيه قد خلا من الشواغل
الدينيّة وصفا وصار مستعدا للفيوضات الرحانية والتجليات والنفحات
الربانية فتري صلاة الصبح في وقت لم يبتدأ فيه من العمل بشئ وصلاة
الظهر في وقت القيلولة والاستراحة من عناء العمل ثم اذا ابتدأ في تكميل
عمله لا بد أن يعتريه بعدد من قريب من السكال والتعب ما يلجئه الى الراحة
فيصلي صلاة العصر حين ذاك حتى اذا رجع من عمله الى منزله واطمأنت
نفسه فيه وجب أن يؤدي صلاة المغرب وبعد ذلك كله واستراحته الراحة
التامة وليكون آخر عمل له في ليله ونهاره طاعة الله تعالى حتى يكون
ذلك كفارة لما مضى وصقلا للصدا وجب عليه أن يؤدي صلاة العشاء
وهو قوله صلى الله عليه وسلم (من صلى العشاء في جماعة كان كقيام
نصف الليل الأول ومن صلى العشاء والفجر في جماعة كان كقيام ليلة)
(الامر الثاني) ان الله تعالى شرع لعباده المؤمنين أن يجتمعوا في أوقات
العبادات لتحصل بينهم الألفة والمحبة فيعين القويّ الضعيف ويحسن
الغني على الفقير ويقضي البعض للآخر حاجته اذا كان مضيقا عليه الى
غير ذلك ولما كان هذا الاجتماع لا بد أن يكون في أوقات معينة ليكون
من السهل على كل واحد من المؤمنين سواء كان من عامتهم أو خاصتهم
أن يحضر فيه وكانت هذه الاوقات الخمسة أقرب الاوقات وأسهلها تعيينا
لكل فرد من أفراد الامة شرعت هذه الصلوات في تلك الاوقات وانما
كانت هذه الاوقات أسهل الاوقات تعيينا وخصوصا للامة لان وقت
الصبح من طلوع الفجر الى طلوع الشمس ووقت الظهر تحوّل الشمس
ووقت العصر أن يصير ظل كل شئ مثله ووقت المغرب غروب الشمس
ووقت العشاء مغيب الحرة التي تظهر بعد غروب الشمس ولا شك أن معرفة
هذه الاوقات ضرورية لكل واحد بدون أدنى كلفة سواء العالم والجاهل
(الامر الثالث) ان الصلوات في اليوم واليلة خمس ومن الضروري

نعيين أوقات لها ومن المعلوم أن مجموع الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ولا يجوز أن يكون لليل كله حظ من هذه الاوقات لما في ذلك من المشقة على الناس ولأن الليل جعل للاستراحة من عناء ما يقاسيه الناس في النهار من المشقات والمتاعب بمصداق قوله تعالى (وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا) فوجب أن تكون الاوقات التي يجب تعيينها لهذه الصلوات في النهار وبعض الليل وهو قوله تعالى (أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا) كما وجب أن تقسم هذه الاوقات بالحكمة والعدل فلم يكن الفصل بين كل صلاتين كثيرا جدا لأنه بذلك يفوت معنى المحافظة وينسى ما كسبه أول مرة وتقل فائدة المداومة التي ربما كانت المقصودة من الصلاة - ولا قليلا جدا لانه يترتب عليه تعطيل الناس عن أشغالهم وتركهم السعي وراء ما يقتاتون به ويعملون لاجله من أمر معاشهم ولا يصلح ذلك الا حيث يكون بين كل صلاة وأخرى ربيع النهار وهو ثلاث ساعات لذلك ترى الشارع الحكيم قسم هذه الاوقات بهذه الكيفية اذ لا يمكن غير ذلك فترى ما بين الظهر والعصر وما بين العصر والمغرب وما بين المغرب والعشاء نحو من ربيع النهار وكانت المسافة ما بين الصبح والظهر أكثر من ربيع النهار لانه وقت تفرغ الناس لاشغالهم المعاشية غالبا كما قال تعالى وجعلنا النهار معاشا

وبالجملة ففي تعيين الاوقات سر عميق من وجوه كثيرة وقد تمثل بهريل عليه السلام وصلى بالنبي صلى الله عليه وسلم وعلمه هذه الاوقات

(وقد قال الله تعالى في بيان هذه الاوقات لتلك الصلوات)

وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلَّذِينَ كَرِهُوا صَبْرًا فَإِنَّ

اللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ

(ما تشير اليه هاتان الآيتان الكريمتان)

تشير هاتان الآيتان الكريمتان الى بيان أوقات الصلوات الخمس وذلك لان قوله تعالى (وأقم الصلاة طرفي النهار) معناه وأد الصلاة في أول وقتها على تمامها طرفي النهار أى في الغدوة والعشية فصلاة الغدوة الصبح وصلاة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال الى الغروب عند العرب عنى وقوله (وزلفا من الليل) أى ساعات قريبات من الليل والصلاة التى تصلى فيها هى المغرب والعشاء وقد أخذ جل شأنه بعد أن بين أوقات الصلوات المفروضة وأشار الى أنها خمس فى اليوم واللييلة يبين مالهذه الصلوات الخمس من الفضائل والفوائد والمنافع حيث قال (ان الحسنات يذهبن السيئات) أى ان الصلوات الخمس يذهبن السيئات أى يكفرنها ويذهبن المؤاخضة عليها والمراد بالسيئات الذنوب الصغار لان الكبائر لا يكفرها الا التوبة أو عفو الله تعالى يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (الصلوات الخمس كفارة لما بينها ما اجتنبت الكبائر) وبعد أن حث على إقامة الصلوات وبين أوقاتها كررالى التذكير بالصبر لفضل خصوصية وعظيم منزلة فقال واصبر أى على امتثال ما أمرت به والانتفاء عما نهيت عنه اذ لا يتم شئ من ذلك الا به فان الله لا يضيع أجر المحسنين أى يوفيهم أجورهم ولا يضيع منها شيأ فلا يهمله ولا يخسه بنقص

(وقال تبارك اسمه أيضا مشيرا الى بيان هذه الاوقات)

أَقِمِ الصَّلَاةَ لَدُلُوكَ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا

((ما تشير اليه هذه الآية الكريمة))

تشير الى بيان أوقات الصلوات الخمس المفروضة وذلك لان معنى قوله تعالى (أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل) أدا الصلاة من وقت دلوك الشمس أى من وقت زوالها من كبد السماء وتحولها منه الى الجهة الغربية وهذا يتناول الظهر والعصر ويمتد ذلك الى غسق الليل أى ظلامه والصلوة التي تصلى فيه المغرب والعشاء فهذه أربع أوقات وقد بقي خامس وهو الذي أفاده الله تعالى بقوله (وفران الفجر) أى أوقته والمراد به صلاة الصبح وعبر عنها ببعض أركانها وهو قراءة القرآن فيها إشارة الى أنه لا تصح صلاة الا بقراءة القرآن فيها حتى سميت الصلاة قرآنا ثم قال تعالى (ان قرآن الفجر كان مشهودا) أى ان صلاة الصبح تشهدا وتحضرها ملائكة الليل وملائكة النهار كما ورد في قوله صلى الله عليه وسلم (يجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر) والله بكلامه عليه

بيان شروط الصلاة

اعلم أن للصلاة شروطا لا بد منها ولا تصح الا بها ولا تنعقد الا بفعالها وهي أولا طهارة بدن المصلى وثوبه ومكانه من أعيان مستقدرة وهذه تسمى طهارة الخبث وطهارة بدنه من أحوال اعتبارية تسمى أحداثا يعتبر قيامها في بدنه عند حدوث أمور مخصوصة وهذه تسمى طهارة الحدث وهي قسمان طهارة صغرى وتسمى وضوا وكبرى وتسمى غسلا وبذل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (لا تقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ) وقوله صلى الله عليه وسلم (لا تقبل صلاة بغير طهور) وقوله صلى الله عليه وسلم (مفتاح الصلاة الطهور) ومحل ذلك كله اذا وجد ماء ليتوضأ به أو يغتسل منه وفقد على استعماله فان لم يجده أو وجدته ولم يقدر على استعماله لخوف مرض أو اشتداده استعاض عنهم بالتيمم لان من

سنة الله في شرائعه أن يسهل على عباده كل ما لا يستطيعونه وكان
أحق أنواع التيسير والتسهيل أن يسقط ما فيه حرج إلى بدل لتطمئن
نفوسهم ولا تختلف الخواطر عليهم بأعمال ما التزموه غاية الالتزام مرة
واحدة ولا بالفواترك الطهارات لذلك استعاض بحل شأنه عن الوضوء
والغسل عند حصول عذر من الأعذار المتقدمة بالتيمم وهو من خصائص
هذه الأمة المحمدية لقوله صلى الله عليه وسلم (جعلت لي الأرض مسجداً
وترابها طهوراً)

ومن شروطها ستر العورة واستقبال القبلة والنية فن فقد شرطاً من
هذه الشروط المتقدمة بطلت صلاته

(وقد بين الله تعالى طهارة الحدث بأقسامها الثلاثة وكيفيتها بقوله)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا
وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ
وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا وَإِنْ
كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ
أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا
فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ
عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ
عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

المائدة ٧

(ما تفيد هذه الآية الكريمة)

تفيد هذه الآية الكريمة بيان طهارة الحدث صغير وكبير وبيان

بدلها وهو التيمم اذا مست الحاجة اليه بان فقد الماء أو منع من استعماله أحد الموانع الآتية في الآية بعد فليبين الطهارة الصغرى وهى الوضوء قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين) أى يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة وكنتم محدثين كما بين ذلك عمله صلى الله عليه وسلم أى قام بكم أحد هذه الاحداث الآتية وهى خروج خارج من السبيلين عينا كان أور يحسا وخروج الدم والقبح والقيء ملء الفم والنوم مضطجعا أو مستنذا لشيء يسقط بزواله وزوال العقل والقهقهة فى صلاة ذات ركوع وسجود (فاغسلوا وجوهكم) أى أسيلوا عليها الماء بحيث يتقاطر (وأيديكم الى المرافق) أى واغسلوا أيديكم الى المرافق أى معها وهى جمع مرفق وهو موصل الذراع فى العضد (وامسحوا برؤوسكم) أى امسحوا رؤوسكم أى جميعها وهو مذهب مالك وأحمد بن حنبل وقد استدلا على ذلك بقوله تعالى فى التيمم فامسحوا بوجوهكم أى امسحوا وجوهكم لأنه لا يجزئ مسح بعض الوجه اتفاقا وبما ثبت فى الصحيحين أن رجلا قال لعبد الله بن زيد بن عاصم وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤضأ لنا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا عبد الله هذا بوضوء فأفرغ على يديه مرتين مرتين ثم مضمض واستنشق ثلاثا وغسل وجهه ثلاثا ثم غسل يديه مرتين الى المرفقين ثم مسح رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما حتى رجع الى المكان الذى بدأ منه ثم غسل رجليه الى الكعبين ثم قال هكذا كان وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذهب أبو حنيفة الى وجوب مسح ربيع الرأس وهو مقدار الناصية والشافعية الى أنه انما يجب ما يطلق عليه اسم مسح لا يتقدر ذلك بمقدار بل لو مسح بعض شعرة من رأسه

أجزأه واحتج الفريقان بحديث المغيرة بن شعبه قال تخلف النبي صلى الله عليه وسلم فتخلفت معه فلما قضى حاجته قال هل معك ماء فأنيته بمطهرة فغسل كفيه ووجهه ثم ذهب يحسر عن ذراعيه ومسح بناصيته وعلى العمامة وعلى خفيه ولكل فريق أدلة غير هذه ليس هنا محل ذكرها

ثم قال تعالى (وأرجلكم إلى السكعين) أي واغسلوا أرجلكم إلى السكعين وهما العظامان البارزان من الجانبين عند مفصل الساق والقدم - فهذه هي أعمال الوضوء التي فرض الله على كل محدث أن يأتي بها عند القيام إلى الصلاة

بقي أنه لم كانت هذه الاحداث موجبة للوضوء والاصل في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (لا تقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ) وبيان ذلك في النوم أن النوم يوجب استرخاء الاعضاء ورؤس العظام والعروق فلا يخلو عن خروج حدث غالبا وفيه غير ذلك أنه يبلى النفس ويفعل فعل الاحداث وفي الدم السائل والقيء الكثير والقيح أنها ملوثة للبدن مباداة للنفس وفي القهقهة أنها خطيئة تحتاج إلى كفارة فكان الوضوء منها بمثابة الكفارة لها وفي الخارج من السيلان كالمذي والبول والغائط والريح أن المذي وهو الحاصل من الملاعبة قضاء شهوة دون شهوة الجماع فكان من حقه أن يستوجب طهارة دون الطهارة الكبرى وأن البول والغائط استفراغ فضلات في الجسم لو بقيت لتسمم الجسم وهلك صاحبه فكان من حقه أن يتطهر منهما وأيضا في حال افرازهما يسترخى الجسم وتضعف الاعصاب وهو أمر وجداني يشعر به كل انسان فكان لذلك غسل اطراف في الوضوء لانها تجمع الاعصاب وفي الريح لانه نتيجة استرخاء الاعضاء فيمتوضأ منه لتقوى والله يسر عبادته عليم

واعل سر تخصيص أعمال الوضوء بهذه الاعضاء المخصوصة عند قيام أحد هذه الاحداث بفاعلها والله أعلم بالإشارة إلى التوبة من الذنوب التي

اقترفت هذه الاعضاء المخصوصة لانها أجمع أعضاء البدن تحرر كما للمخالفة والمعصية لان الوجه فيه الفم وبه الغيبة والنهيمة والسب والشتم وغيرها وفيه العينان وبهما النظر الى ما حرم الله وفيه الانف وبه شم ما لا يحل شمه فيغسله ليتذكر أن طهارة الظاهر انما هي اشارة الى طهارة الباطن فيتوب الى الله تعالى ويتقاع عما لفظه لسانه أو نظرت عيناه أو شمه أنفه ثم يغسل اليدين لانه اذا تكلم اللسان ونظرت العينان بطشت البدان فيتذكر بطهارتهما الظاهرية طهارتهما الباطنية فيتوب مما تحرر كتافيه ثم يمسح رأسه ليتذكر بهذا المسح فيتوب ويظهر الباطن مما وقع من الرأس من مجاورة هذه الاعضاء المخطئة التي هي اللسان والعينان والانف واعل حكمة مسح الرأس دون غسلها كبقية الاعضاء أنه لم يقع منها مخالفة وانما هي مجاورة لما وقعت منه المخالفة وهو اللسان والعينان والانف ثم يغسل رجليه ليتذكر بذلك طهارتهما مما سعتا فيه من المخالفة والى هذه الاسرار والحكم المتقدمة يشير الله تعالى في آخر هذه الآية بقوله (ولكن يريد ايطهركم) أى ولكن يريد بما فرضه عليكم من الوضوء وما بعده ايطهركم أى يكفر عنكم من الذنوب ما اقترفته هذه الاعضاء ويشير صلى الله عليه وسلم بقوله (اذا توضأ العبد المسلم فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينه مع الماء فاذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة بطشتها يده مع الماء فاذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب)

هذا كله اذا لم يكن مقيم الصلاة جنباً أما اذا كان جنباً فالواجب عليه أن يغتسل وقد أفاد الله ذلك بقوله (وان كنتم جنباً فاطهروا) أى وان كنتم عند القيام للصلاة جنباً فاطهروا أى فاغتسلوا على أتم وجه وذلك بأن تتمعنوا وتستنشقوا وتوضؤوا بالكيفية المتقدمة ثم تغسلوا جميع جسدكم

ولعمل سر ذلك والله أعلم تنشيط البدن وإزالة ما به من الفتور والضعف
الذين حصلوا عقب الوقاع وذلك لأن عقبه يحصل له فتور عام في قواه
البدنية بسبب استرخاء الجسم وهو وجداني يجده كل من باشر هذه الحالة
وسببه أن الاعصاب والعضلات عنده قامت بأعمال زائدة فقدت بها
مقدارا عظيما من قوتها واستهلكت جزءا وافرا من أنسجتها ففرض
الشارع الحكيم الغسل من الجنابة لاسترجاع تلك القوة المفقودة وإزالة
ذلك الفتور الذي حصل من هذا النقص وأيضا فإنه في حالة المباشرة
قد استولى على قلبه الغفلة عن الله تعالى فبالغسل ينزل حجاب تلك
الغفلة التي استولت على قلبه وجميع جوارحه مدة المباشرة فيرجع إلى
الله تعالى ويتم ذكر عظمته فيطهر عند ذلك قلبه من كل الذنوب وجميع
الشواغل الدنيوية بالتسوية والرجوع إلى الله تعالى فيجسم عن العصبان
ويهجر أمانى الشيطان وفي الغسل غير ذلك من الفوائد كتنظيف
الجسم من الأعيان المستندرة الخارجة مع العرق من جميع أجزاء
الجسم التي يبقاها يختل نظام أعمال الأعضاء

ومحل الوضوء والغسل بالكيفية المتقدمة إذا لم يكن المصلي مريضا مرضا
يخشى معه الضرر باستعمال الماء أو كان مسافرا ولم يجد ماء أو وجده
وكان قليلا يخشى باستعماله الهلاك من العطش أو فقد الماء بسبب من
الأسباب مع تحقق ما يوجب استعماله من الحدث الأصغر أو الأكبر فيجب
التيمم في هذه الأحوال كلها وكيفية أنه يضرب بيديه على شيء من
أجزاء الأرض طاهر ضربتين يمسح بأحدهما وجهه وبالأخرى يديه إلى
المرفقين وقد بين الله ذلك كله بقوله (وان كنتم مرضى أو على سفر أو
جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا
طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج
ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) أي وان
كنتم مرضى مرضا تخشون الضرر معه باستعمال الماء أو كنتم مسافرين

وأنتم جنب أو محدثون أو جاء أحد منكم من الغائط أى المكان المنخفض وهو كناية عن الحدث لان العادة أن من يريده يذهب اليه ليوارى شخصه فيه عن أعين الناس أولا مستتم النساء أى جامعتهن فلم تجذوا مع كل ذلك ماء لتتطهروا به للدخول فى الصلاة (وهو راجع لما عدا المرضى) فتيمموا صعيدا طيبا أى فاستعوضوا عن الماء لعدم وجودكم له أو عدم قدرتكم على استعماله بشئ من أجزاء الارض طاهر فاقصدوه وكيفية هذا العمل المستعاض به عن الوضوء أو الغسل بينها الله تعالى بقوله (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) أى من هذا الصعيد وذلك بأن يضرب يديه على هذا الصعيد الطاهر ضربتين يمسح بإحدىهما وجهه فيستوعبه بالمسح وبالأخرى يديه الى المرفقين مستوعبا لهما كذلك

هذا وإنما خص الصعيد لان التيمم إنما شرع لدفع الحرج الذى نشأ من عدم وجود الماء وهو لا يكاد يفقد فهو أحق ما يرفع به الحرج ولما فيه من التذلل والانكسار والخضوع التى تنشأ من تعفير الوجه وهو أشرف عضو فى الانسان بأخس الاشياء وهو التراب

وإنما لم يفرق بين بدل الوضوء والغسل بأن يكون بدل الوضوء التيمم بالكيفية المتقدمة وبديل الغسل التمرغ فى التراب مثلا لان التمرغ فيه بعض الحرج فلا يصلح رافعا للحرج

ولعل سر التيمم ما فيه من تهذيب النفس وخضوعها وقبولها تعفير أشرف عضو فى الانسان وهو الوجه بأخس الاشياء وهو التراب فضلا عما فيه من نعمة التخفيف وعدم الحرج والضيق المشار لها بقوله تعالى (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) أى ما يريد الله بمشروعية التيمم لكم ليحفظ عليكم من حرج أى ضيق فلذا سهل لكم ولم يعسر بل أباح التيمم عند المرض وعند فقد الماء توسعة عليكم ورحمة بكم ولكن يريد ليطهركم

أى بالتراب على معنى أنه يرفع مقامكم بكم من الحدث المانع من الصلاة
لاعلى معنى أنه يزيل النجاسة لان الحدث ليس نجاسة بلا خلاف ولستم
أى بذلك نعمته عليكم بالتخفيف ودفع الحرج والضيق عنكم لعلكم
تشكرون هذه النعمة بطاعتكم إياه فيما أمركم به ونهاكم عنه

﴿ وقال جل شأنه فى بيان اشتراط طهارة الخبث فى المسكان للصلاة ﴾

وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ
وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ

﴿ ما تفيد هذه الآية الكريمة ﴾

تفيد وجوب طهارة المساجد من الاخباث والنجاسات وذلك لما أمر الله
به نبيه ابراهيم عليه السلام وابنه اسمعيل عليه السلام من تطهير
بيته وهو الكعبة للطائفين وهم الذين يدورون حوله والعاكفين وهم
المقيمون بمكة والركع السجود وهم المصلون وخص هذين الركنين لانهما
أشرف أركان الصلاة فى الآية أمر بتطهير المساجد للمصلين وفى ذلك
من اشتراط طهارة المسكان ما لا يخفى وقد أفاد الله تعالى ذلك أيضا فى
آية أخرى وهى قوله تعالى (فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه
يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم -م- تجارة ولا بيع عن ذكر
الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار
ليجزيهم -م- الله أحسن ماعلوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء
بغير حساب) فان معنى أذن الله أن ترفع أمر الله أن تطهر من
النجاسات والأوساخ والذنس واللغو والاقوال والأفعال التى لا تليق
بها وهذا صريح فى اشتراط طهارتها وعلى اشتراط طهارة المساجد
نهى عن وجود الصبيان والمجانين فيها لما يترتب على وجودهما فيها
من تقذيرها وتلوينها بالنجاسات لانهم لا يعقلون شيئا وذلك قوله صلى الله

سورة	آية	عليه وسلم (جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وبيعكم وشراءكم وخصوصاتكم ورفع أصواتكم) وكذلك نهى عن مرور الحائض فيها اذا خيف تقاطر شيء من الدم منها فيحصل النلوث وكذا كل شيء يحصل منه النلوث أو الجاسة فيها فهو منهي عنه
		(وقال تبارك اسمه في بيان اشترط استقبال القبلة)
البقرة	١٤٤	قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ
		(ماتفيده هذه الآية الكريمة)
		تفيد هذه الآية الكريمة بيان القبلة التي حوّل الله إليها نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم وهي الكعبة بعد أن كان يتولى قبلة غيرها وهي بيت المقدس استقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً وكان قد ألهم أن سيمولى الكعبة فكان يدعو الله أن يعجل بما ألهمه وينظر الى السماء ويقلب وجهه فيها فأنزل الله عليه (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقبل الكعبة بعد ذلك وصارت قبلته في الصلاة فارتاب من ذلك اليهود وقالوا ما ولاهم عن قباتهم التي كانوا عليها فردّ الله عليهم بقوله (قل لله المشرق والمغرب) وقال (فأينما تولوا فثم وجه الله) وقال (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه) والشطر الجهة والناحية

ومعنى الآية الشريفة قد نرى تقابل وجهك وتحوله الى جهة السماء يعنى متطلعا الى الوحي ومتشوقا للامر باستقبال الكعبة فأبشر فأنعطينك مطلوبك ومرغوبك من تحوّلك الى الكعبة وتوجهك في الصلاة شطرها وجهتها وهى المرادة بالمسجد الحرام في قوله تعالى (فول وجهك شطر المسجد الحرام) وعبر عنها بالمسجد الحرام اشارة الى أنه يكفى البعيد عنها محاذاة جهتها وان لم يصب عيها ثم خاطب جـل شأنه أمته صلى الله عليه وسلم بقوله (وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) أى فى أى مكان وجدتم من بر أو بحر أو فى أى جهة من جهات الارض شرقا وغربا وشمالا وجنوبا فولوا وجوهكم شطره أى نحو البيت وتلقاه وهذا يقضى بايجاب استقبال الكعبة فى كل صلاة فرضا كانت أو نفلا فى كل مكان حضرا أو سفرا

وفى معنى هذه الآية مما يوجب استقبال القبلة قوله تعالى (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام) وأنه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولا تسمعوا صوتهن ولا لهن عليكم من الهدى ولا نصيب فالتخشوهم واخشوني ولا تسمعوا صوتهن ولا لهن عليكم من الهدى ولا نصيب

(ومن الشروط المتقدمة للصلاة ستر العورة)

وذلك لما فيه من تعظيم الصلاة وتحقيق أدب المناجاة بين يدي رب العالمين اذ أى شخص عنده أدنى مسكة من العقل يرى من أفج القبائح وأفظع المنكرات وأكبر المثالب والمعائب أن يقف بين يدي مخلوق مثله مكشوف العورة باذى البشرية فكيف برب الارباب خالق الارض والسموات الذى خلقه وصوّره وفى أحسن صورة ركبته فضلا عما فى كشف العورة من الاخلال بما تقتضيه الطبيعة البشرية والانسلاخ عن أحكام

الانسانية فان ستر العورة هو ذلك الامر الذى امتاز به الانسان عن سائر البهائم وهو أحسن حالاته الامن قضى الله عليهم من نوع الانسان بالالتحاق بالبهيمية فانهم لا يسترون عوراتهم فقتل هؤلاء أشبه شئ بالبهائم ولستر العورة حدثان حدثا لا بد منه وهو الذى الكلام فيه أى الذى هو شرط صحة الصلاة وحده هو مندوب اليه فالأول ستر السواطين وهو أكدهما وألحق بهما الفخذان وهذا بالنسبة للرجل أما المرأة فسائر بدنهما لقوله صلى الله عليه وسلم (لا تقبل صلاة حائض الا بخمار) والمراد بالحائض المبالغة والثانى ما أفاده صلى الله عليه وسلم بقوله (لا يصلين أحدكم فى الثوب الواحد ليس على عاتقه منه شئ) والله أعلم

صلاة الجمعة والجماعة

اعلم أن الله تعالى على عباده نعم لا تعد ومننا لا يخصصها أحد فن ذلك أنه علم أن أهل البلد الواحد يحتاجون الى بعضهم احتياج بعض أجزاء الجسم الى البعض الآخر منه لان منهم الغنى والفقر والعالم والجاهل والقوى والضعيف والكل يحتاج الى الآخر فيجتمعون فى الصلاة لتتحد كلمتهم وتتوثق عرى المودة والمحبة فيما بينهم ويتعاونون على ما يجب لهم الخير ويدفع عنهم الضرر ويطلع الغنى على شئون الفقير فيصدق عليه ويحسن اليه ويسترشد الجاهل من العالم فى جميع أموره الدينية والدنيوية ويستعين الضعيف بالقوى فى قضاء مهامه وأيضا فلاجتماع المسلمين فى مكان واحد ووجهة الكل واحدة وهى التوجه الى الله تعالى راغبين فيما عنده من الثواب راجين راهبين منه متضرعين اليه متذللين بين يديه مسلمين وجوههم اليه خاصية عجيبة فى نزول البركات وأيضا فاجتماع المسلمين خاصتهم وعامتهم وحاضرهم وباديهم وفسيرهم وكبيرهم للصلاة وهى من أعظم شعائر الدين وأشهر طاعته مما يجعل

كلمة الله هي العليا وأن لادين في الارض أعلى من دين الاسلام فلهذه المعاني انصرفت العناية التشريعية الى شرع الجمعة والجماعات والترغيب فيها وتغليظ النهي عن تركها . فن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (والذى نفسى بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم أخالف الى رجال لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم) وقوله صلى الله عليه وسلم (صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ (أى المنفرد) بسبع وعشر بن درجة)

ثم لما كان في شهود الجماعة حرج للضعيف والسقيم وذو الحاجة اقتضت الحكمة أن يرخص لهم في تركها . فن أنواع الحرج ليلة ذات برد ومطر وحاجة يعسر الترابص بها كالعشاء اذا حضر فان النفس ربما تنشغل به وتتشتت اليه في الصلاة فيضيع المقصود منها والخوف والمرض

ثم وقعت الحاجة الى بيان الاحق بالامامة وكيفية الاجتماع ووصية الامام أن يخفف بالمؤمنين والمؤمنين أن يحافظوا على اتباعه فبين ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله (يؤم القوم أفـ رؤهم لكتاب الله) أى أعلمهم به ولا يكون كذلك الا اذا كان عالما باحكام الصلاة) فان كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة فان كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة فان كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم منا ولا يؤمّن الرجل الرجل في سلطانه) أى في محل حكمه وقوله صلى الله عليه وسلم (اذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فان فيهم السقيم والضعيف والكبير واذا صلى أحدكم لنفسه فليطوّل ماشاء) وقوله صلى الله عليه وسلم (ليلى منكم أولو الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثلاثا واياكم وهيشات الاسواق) أى اللغط ورفع الاصوات الذى من شأنه أن يكون في الاسواق وقوله صلى الله عليه وسلم (ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها فقلنا يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها قال يقومون الصفوف الاولى ويتراصون في الصف) وأؤكد هذه الجماعات بجماعة الجمعة فانها لاتصح الا في جماعة وذلك

سورة	آية	
		ليخطبهم امامهم فيها ويبين لهم معالم دينهم ويرشدهم الى ما فيه صلاح حالهم واستقامة أحوالهم وذلك غير ممكن في غير يوم الجمعة وانما كانت الصلاة في هذا اليوم ركعتين ولم تكن أربعا كبقية الايام لان كل صلاة تجمع الاقصى والادنى فانها شفع واحد لثلاث تنقل عليهم وفيهم الضعيف والضعيف وذو الحاجة وكانت القراءة فيها جهرا ليكون أمكن لتدبرهم القرآن فيعملوا بما فيه ويتعظوا بمواعظه ويتقوا عند حدوده وما سنه من القوانين والشرائع
		(وقد أمر الله المؤمنين بالاجتماع لعبادته في هذا اليوم فقال)
الجمعة	٩	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ١٠ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
		(ما ترشد اليه هاتان الآيتان الكبريتان)
		ترشد هاتان الآيتان الكبريتان الى الحث على الاهتمام بأمر الصلاة اذا نودي اليها في يوم الجمعة وأذن لها وهذا هو المراد بالسعي في قوله تعالى (فاسعوا الى ذكر الله) أى اقصدا واعمدوا واهتموا في سيركم الى ذكر الله يعنى الصلاة وليس المراد بالسعي المشى السريع لانه منهى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذا سمعتم الإقامة فامشوا الى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فإا أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتوا)

كما ترشد الى تحريم البيع والشراء عند ذلك النداء وهو الاذان الذي كان يفعل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج بفلس على المنبر فأما الاذان الاول الذي زاده أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه لكثرة الناس فهذا لا يحرم عنده البيع ولا الشراء وبعد أن نهى جل شأنه عن البيع والشراء عند الاذان كثر الى تكثير النهى ببيان أن تركهما خير من فعلهما فقال (ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) أى ترككم البيع والشراء واقبالكم الى ذكر الله والى الصلاة خير لكم أى فى الدنيا والآخرة ان كنتم تعلمون أى ان كنتم من أهل العلم فإنه لا يخفى عليكم أن ذلكم خير لكم من مصالحكم هذا ولما جرجل شأنه عليهم فى التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع أذن لهم بعد الفراغ فى الانتشار فى الارض والابتغاء من فضل الله فقال (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله) أى اذا فعلتم الصلاة وفرغتم منها فانتشروا وتفرقوا فى الارض للتجارة فيما يحتاجون اليه من أمر معاشكم واطلبوا من فضل الله ورزقه ثم قال جل شأنه (واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) أى واذكروه كثيرا بالشكر له على ما هداكم اليه من الخير الاخرى والدنيوى وبكل ما يقربكم اليه من الاذكار كالسبح والتحميد والتكبير والاستغفار ونحو ذلك ولا تقصروا ذكره على الصلاة

صلاة القصر

اعلم أن الصلاة من أجل القربات وأفضل العبادات ولذا لم يبح الشارع التخلف عنها ولا التساهل فيها بحال من الاحوال مهما تواتت الضرورات وتمايعت الاعذار غير أن الله تعالى لرحمته بعباده ورأفته بهم قد خفف المؤنة عليهم فى أدائها بقصر بعضها على عدد مخصوص من الركعات فى حال ما اذا كان الانسان مسافرا لما يعتوره فيه من الآلام

سورة	آية	
		والمشايق الفاضية بالتقاعد والتساهل تخفف الله عليه وحط عنه من عدد الركعات فيما يعوزه أن يحط عنه لكثرة ركعاته وهي الصلوات الرباعية التي هي الظهر والعصر والعشاء أما الثنائية كالصبح والثلاثية كالمغرب فلا قصر فيهما كما وردت بذلك السنة لعدم المقتضى
		(وقد بين الله تعالى حكم هذه الصلاة والزمن الذي تكون فيه بقوله)
النساء	١٠٠	وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا
		(ما تفيد هذه الآية الكريمة)
		تفيد بيان حكم الصلاة في حال السفر وهو أنها تقصر مع عدم نفي الحرج والضيق في ذلك أخذاً من قوله تعالى (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) أي وإذا سافرت في الأرض وقصرت السنة ما يقصر من الصلوات على الصلوات الرباعية التي هي الظهر والعصر والعشاء سواء كان ذلك في حال الأمن أو في حال الخوف ولا مفهوم لقوله تعالى (ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) أي يغتالوكم ويقتلوكم في الصلاة لانه خرج مخرج الغالب لأن الغالب على المسلمين وقت نزول هذه الآية القصر للخوف في الأسفار ولهذا قال يعلى بن أمية سألت عمر بن الخطاب قلت ليس عليكم حرج أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا وقد أمن الناس فقال لي عمر عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك

فَقَالَ صَدَقَ اللَّهُ بِمَا عَلَيْكُمْ فَأَقْبَلُوا صَدَقَتَهُ أُولَانَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَصَرَ فِي السَّفَرِ مَعَ الْأَمْنِ وَتَوَاتَرَ عَنْهُ ذَلِكَ فَصَارَ الْقَصْرُ مَعَ الْخَوْفِ ثَابِتًا بِالْكِتَابِ وَالْقَصْرُ مَعَ الْأَمْنِ ثَابِتًا بِالسُّنَّةِ وَمَفْهُومُ الشَّرْطِ لَا يَقْوَى عَلَى مَعَارَضَةِ مَا تَوَاتَرَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْقَصْرِ مَعَ الْأَمْنِ وَأَدْنَى مَدَّةِ السَّفَرِ الَّتِي تَقْصُرُ فِيهَا الصَّلَاةُ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ بِلَيْالِهَا بِالسَّيْرِ الْوَسْطِ وَهُوَ بِسَيْرِ الْإِبِلِ وَمَشَى الْأَقْدَامِ مَعَ الْأَسْتِرَاحَاتِ الْمُعْتَادَةِ

صلاة الخوف

هي الصلاة التي تكون وقت اشتباك القتال مع العدو

(وقد بين جل شأنه كيفيتها لنبيه صلى الله عليه وسلم
ولمن بعده من المؤمنين بقوله)

وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا

النساء ١٠١

((الغرض من هذه الآية الكريمة وبيان معناها))

الغرض منها تعليم الله نبيه صلى الله عليه وسلم ومن بعده من الأئمة اذ هم نواب عنه قوامون بما كان يقوم به صلاة الخوف أى الصلاة وقت اشتباك القتال والخوف من العدو وذلك بقوله تعالى له صلى الله عليه وسلم (واذا كنت فيهم فأقت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك) الآية أى اذا كنت يا محمد في أصحابك وشهدت معهم القتال وأردت اقامة الصلاة بهم فاجعلهم طائفتين (فلتقم طائفة منهم معك) فصل بهم (ولياخذوا أسلحتهم) أى معهم فلا يضعونها وقت الصلاة ليتمكن تناولها من قرب اذا احتاجوا اليها وليكون ذلك أقطع لرجاء عدوهم من امكان فرصة فيهم (فاذا سجدوا) أى القائمون في الصلاة بأن فرغوا منه وأتموا الركعة (فليكونوا من ورائكم) أى فليصرفوا بعد تمام الركعة ويقفوا ورائكم للحراسة من العدو (ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك) أى ولتأت الطائفة الأخرى التى كانت تجاه العدو بعد انصراف الطائفة الاولى ليقفوا تجاه العدو بدلهم ليصلوا مع الامام الركعة الثانية (ولياخذوا حذرتهم وأسلحتهم) أى وليأخذوا أسلحتهم معهم مع كمال تيقظهم واحتراسهم لأن العدو يودّ لو ينال منهم غرة فيحمل عليهم جملة واحدة تكون فيها البلية الكبرى والمصيبة العظمى ولذا يقول الله تعالى فى بيان ما لأجله أمروا بأخذ السلاح مع شدة التيقظ والحذر (وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً) أى ودّوا غفلتكم عن أخذ السلاح وعن الحذر اذا قتم الى الصلاة ليصلوا الى مقصودهم وينالوا فرصتهم فيشتدون عليكم شدة واحدة ويحملون عليكم جملة واحدة أى فاحذروهم لتحولوا بينهم وبين نوال مقصودهم فيكم

ومحل ذلك اذا لم يثقل عليهم حملها ويصعب عليهم استصحابها بسبب مرض أو مطر أما اذا ثقل فقد رخص الشارع فى عدم حملها وأخذها

وهو قوله تعالى (ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر أو كنتم مرضى ان تضعوا أسلحتكم وخذوا حذرکم) وقد أشار الله سبحانه وتعالى الى علة الأمر بأخذ الحذر بقوله (ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا) أى ان الله أعد لهم عذاب المغلوبة لکم ونصرتکم عليهم فاهتموا بأموالكم ولا تهملوا مباشرة الاسباب کی يعذبهم بأيديكم

بقى أن الآية الكريمة لم تبين كم تصلى كل طائفة من الطائفتين وقد وردت صلاة الخوف في السنة المطهرة على أنحاء مختلفة وصفات متعددة وكلها صحيحة مجزئة من فعل واحدة منها فقد فعل ما أمر به

فمن ذلك ما ورد في كيفية أن يصلى الامام بطائفة ركعة فإذا قام للثانية فارقه وأتمت وذهبت الى وجه العدو وجاء الواقفون في وجهه والامام ينتظرهم فاقتدوا به وصلى بهم الركعة الثانية فإذا جلس للشهادة قاموا فأتوا ثانیتهم ولحقوه وسلم بهم وهذه صلاته صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع

ومن ذلك أيضا ما روى أنه كان صلى الله عليه وسلم في قتال وأقيمت الصلاة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصفت طائفة وطائفة وجوهها قبل العدو فصلى بهم ركعة وسجد بهم سجدة ثم انطلقوا الى أولئك فقاموا مقامهم وجاء أولئك فقاموا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ركعة وسجد بهم سجدة ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس فسلم وسلم الذين خلفه وسلم الاولون فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتان وللقوم ركعة ركعة كما هو ظاهر الآية

ومن ذلك ما رواه ابن مسعود أيضا من أنه صلى الله عليه وسلم صلى بالطائفة الاولى ركعة وبالطائفة الاخرى ركعة كما في الآية فجاءت الطائفة الاولى وذهبت هذه الى مقابلة العدو حتى قضت الاولى الركعة الاخرى بلا قراءة وسلموا ثم جاءت الطائفة الاخرى وقضوا الركعة الاولى بقراءة حتى صار لكل طائفة ركعتان والى هذه الرواية ذهب أبو حنيفة والى الاولى ذهب مالك والشافعي في أحد الأنواع التي اختارها وهذا في الثنائية وفي غيرها يصلى

بالطائفة الاولى ركعتين وبالثانية ركعتين ان كانت رباعية وركعة ان كانت ثلاثية على نسق ما تقدم في الثنائية وانما سقطت القراءة عن الطائفة الاولى لانهم في حكم المتابعة فكانت قراءة الامام قائمة مقام قراءتهم كما هو حكم الاقتداء ولا كذلك الطائفة الاخرى لانهم مسبوقون فلا بدلهم من القراءة اذ لم يكونوا مقتدين بالامام حينئذ وفيها كيفيات أخرى أعرضنا عن ذكرها خوف الاطالة والله ولي التوفيق ومنه الرشد والسداد

صلاة الجنازة

قد فرضت الشريعة الاسلامية فرض كفاية وهو ما اذا قام به البعض سقط عن الباقي ان يصلى على من مات من المسلمين صلاة مخصوصة ليست بذات ركوع ولا سجود تسمى صلاة الجنازة وهي خاصة بالمسلمين دون غيرهم فلا تجوز على كافر ولذا نهى الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلى على ابن ابي وكان مشركا بقوله (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره) انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) وذلك ان ابن ابي لما مرض دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه سألته ان يستغفر له ويكفنه في شيعاه الذي يلي جسده ويصلى عليه فلما مات أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قيصه ليكفن فيه وذهب ليصلى عليه فنزلت الآية المنقذة بالمنع وانما شرعت هذه الصلاة على الميت لان في اجتماع أمة من المؤمنين يدعون له تأثيرا بليغا في نزول الرحمة به

وصفة الصلاة عليه ان يقوم الامام (ان كان) بحيث يكون الميت بينه وبين القبلة ويصف الناس خلفه ويكبر أربع تكبيرات يدعو فيها للميت ثم يسلم وهذا ما تقر في زمان عمر رضى الله عنه واتفق عليه جماهير الصحابة رضوان الله عليهم ومن بعدهم ومن السنة قراءة فاتحة الكتاب

لأنها خير الادعية وأجمعها وعما حفظ من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم
على الميت اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدا وغائبا وصغيرنا وكبيرنا
وذكرا وأنثانا اللهم من أحييته منا فأحيه على الاسلام ومن توفيته منا
فتوفه على الايمان اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده اللهم ان فلان
ابن فلان في ذمتك وحبل جوارك فقه من فتنة القبر وعذاب النار
وأنت أهل الوفاء والحق اللهم اغفر له وارحمه انك أنت الغفور الرحيم
واللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله
واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الابيض
من الدنس وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله وزوجا خيرا
من زوجته وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار

صلاة العيدين

هي واجبة لقوله تعالى (واتمكبوا لله على ما هذاكم) اذا المراد بالتكبير
صلاة العيد على أحد التأويلات في ذلك وهي ركعتان يفتتحهما بتكبير
الاحرام ثم يكبر بعدها ثلاثا يرفع يديه في كل مرة ثم يقرأ فاتحة الكتاب
وسورة جهرًا ثم يكبر تكبيرة يركع بها ثم يسجد ثم يقوم فيقرأ الفاتحة
وسورة ثم يكبر ثلاثا كذلك ثم يكبر تكبيرة يركع بها ثم يسجد ويتشهد ويسلم

النوع الثاني من أنواع العبادات

الصوم

عرفه الفقهاء بأنه الامساك عن الاكل والشرب ومباشرة الرجل امرأته
وعن كل مفطر من الفجر الى الغروب بنية خالصة لله عز وجل
واعلم أن هذا الامساك ليس أمرا مقصودا لذاته وانما المقصود
أثره وهو كف النفس عن الاسترسال في شهواتها التي زينها الله لها

سورة	آية	وأمرها مع ذلك بمجاهدتها بما منحها من سلاح الصبر والتقوى بمصدق قوله تعالى (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحراث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عند حسن المآب قل أؤنبشكم بخير من ذلكم الذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد) ولا يتحقق ذلك الاثر الا بكف اللسان عن الهذيان والفحش والغيبة والنميمة والكذب والمراء والخصومة والزمامه السكوت وشغله بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن - وكف السمع عن الاصغاء الى كل مكروه لان ما حرم قوله سهرم الاصغاء اليه ولذا يقول الله تعالى (وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم) ويقول صلى الله عليه وسلم (المغتاب والمستمع شريك في الاثم) - وكف البصر عن النظر الى كل ما يذم ويكره والى كل ما يشغل القلب عن ذكر الله تعالى ولذا يقول صلى الله عليه وسلم (النظرة سهم مسموم من سهام ابليس لعنه الله فمن تركها خوفا من الله آتاه الله عز وجل ايمانا يجد حلاوته في قلبه) وكف بقية الجوارح من اليد والرجل وغيرها عن الاثم وارتيكاب المحرمات والى أن المقصود من الصوم ما ذكر لا مجرد منع النفس عن الاكل والشرب والوقاع وغيرها من المفطرات يشير الله تعالى بقوله في الآية الآتية (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) أي لعلكم يجعلون بسبب الصوم وقاية تحول بينكم وبين الشهوات والمنكرات بل وكل الموبقات على ما سيأتي بيانه ويشير صلى الله عليه وسلم بقوله (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء) ويقول صلى الله عليه وسلم (انما الصوم جنة فاذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ

قانه أو شائعه فليقل انى صائم) أى انما الصوم وقاية يتحصن بها الصائم من شر عدويه (النفس والشيطان) فالنفس بكبحها عن الاسترسال فى شهواتها ومتابعتها فى غلوائها وامسالك زمامها بما يحول دون تنفيذ رغباتها واجسادنا رسوبتها وكسر شوكتها والشيطان بقهره بدافعه تلك الشهوات التى هى وسائله وانما تقوى تلك الشهوات بالاكل والشرب ولذا يقول صلى الله عليه وسلم (ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع) وحقيقة فان الصوم بدون أثره لاجدوى له ولا فائدة فيه اذ أى فائدة فى تأخير أكلة وجع أكلتين عند العشاء مع الانهمال فى الشهوات الاخر طول النهار ولو كان له فائدة فأى معنى لقوله صلى الله عليه وسلم (كم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش) وحيث كان المقصود من الصوم هو كف النفس عن الشهوات وكف الجوارح عن الآثام والمعاصى والمنكرات فهو حقيقى بأن يكون من أعظم القربات وأفضل العبادات وجدير بأن ينسبه الله تعالى الى نفسه فيما حكاه عنه نبيه صلى الله عليه وسلم حيث يقول (كل حسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الا الصيام فانه لى وأنا أجزي به) وللصوم غير ما ذكر فوائد بدنية ومالية وأدبية

أما الفوائد البدنية فصحة البدن ودفع الامراض عنه فان سببها فى الغالب الاكل والشرب وحصول فضيلة الاخلاط فى المعدة وناهيك بما يترتب على المرض من تشويش الفكر واشتغال القلب وتغيب العيش ومقاساة الآلام الشديدة وعدم القدرة على أداء الفرائض الدينية والحاجة الى الدواء والطبيب وما يحتاج معه الى المسئون والنفقات والى ذلك الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام (البطننة أصل الداء والحمية رأس الدواء)

وأما الفوائد المالية نخفة المؤنة فان من تعودقلة الاكل والشرب كفاه من المال قدر يسير والذي تعود الشبع صار بطنه غريما ملازما له آخذا

بمخنفه كل يوم يطالبه بما يأكل فيحتاج في أداء هذا الدين لهذا الغريم
الملازم ليخفف ثقل وطأته عليه الى أن يدخل المداخل فيكتسب من
الحرام فيعصى ربه أو من الحلال فيذل وربما يحتاج الى أن يمدد الطمع
الى الناس ويصير الجشع من لوازمه فيريق ماء وجهه في سبيل التحصيل
على القيمات يستد بها جشعه وذلك غاية في الذلة والدناءة وخسة النفس
ولا يزيد من قلة الاكل ما يضر بالصحة منها بل الموارد الاقتصادية وعدم
الافراط في الطعام والشراب

وأما الفوائد الأدبية فهي كثيرة لا تكاد تحصى منها ذل النفس
وانكسارها وزوال البطر والأشر الذي هو مبدأ الطغيان والغفلة عن الله
تعالى لأن النفس لا تذلل ولا تنكسر بشئ أكثر من الجوع فإذا ذلت
سكنت لربها وخشعت ووقفت على عجزها وذلتها حيث ضاقت حيلها
بسبب لقمة طعام فاتتها وأظلمت عليها الدنيا لشربة ماء تأخرت عنها
ومنها صفاء القلب وتوقد الفريجة وتنور البصيرة فان الصوم من أهم
الأسباب في ذلك لان قلة الاخلاط في المعدة تسبب عدم تكاثف الاغبرة
في الدماغ التي تغطي الفكر وتحول دون سرعة الادراك

ومنها الشفقة والرحمة بالمساكين فان الصائم عند ما يحس بألم الجوع
يتصور حالة الفقير المحترق فيرق قلبه اليه ويعطف بالتصدق عليه فينال
بذلك ما عند الله تعالى من حسن الجزاء

ومنها الصبر بمقاومة آلام الجوع والعطش ولو رغبته بأعظم الرغائب على
أن يتناول من الطعام ذرة أو من الشراب قطرة لما وسعه ذلك ووجد
لذلك في نفسه ما يكدر خاطره وينقص عيشه

ومنها الامانة وعدم الخيانة فيما عهد اليه من هذه العبادة السرية فان
الصائم تجده وهو في خلونه واحتجابه عن أعين الناس شديد الحرص على
حفظ ما أئتمن عليه من هذه العبادة السرية التي ليس فيها عمل يشاهد
ومن كانت هذه حالته فهو جدير بأن يؤتمن على أنفسه وأعضائه وفي

ذلك من حسن السيرة وصفاء السريرة ما به يكون صاحبه من أجل الناس قدرا وأعظمهم نفرا وذكر

ومنها الحياء وذلك لان الصائم وهو في أشد الامكنة خفاء وأبعدها عن أعين الخلق رؤية لا يجسر على متابعة نفسه في الافطار وفي تعاطيها الفضول من الطعام أو أكل ما تشتهيه حياء من الله تعالى أن يراه حيث نهاه وفي ذلك من شدة المراقبة لجانب الحق جل وعلا ما به يكون صاحبه من أسعد السعداء وأتقى الاتقياء

ومنها الثبات وقوة العزيمة وذلك بما يقاوم به الصائم نفسه عند نزوعها الى الشهوات وركونها الى الدنيء من اللذات فتجده عند ذلك يقاومها بحزم ثابت وعزيمة صادقة فيمتسلط عقله على نفسه بعد أن كانت متسلطة عليه وينظر لها أنها صارت محكومة بعد أن كانت حاكمة فقياس بذلك من اطاعته لها في متابعتها في شهواتها وعند ذلك تكون السعادة الكبرى فان السعادة كل السعادة في أن يملك الانسان نفسه لاني أن تملكه نفسه ومنها المروءة فان من حافظ على أداء هذه العبادة السرية في أشد الامكنة خفية وبعده عن أعين الرائيين لاشك أنه كامل المروءة على الهمة لان المروءة ليست شيئا سوى المحافظة على الاحوال التي تكون بها النفس على أفضل حالة وأكملها ولاشك أن محافظة الصائم على أداء هذه العبادة السرية وضبطه نفسه حتى في خلواته من أعظم أحوال النفس الكمالية وأكمل خصائصها الذاتية

ومنها العفة التي هي أخص صفات الكمال للانسان وذلك بضبط الصائم نفسه عن رغباتها الشهوانية ومشتياتها البهيمية والاقتصاد في اللذات الجسمية التي من أمعن النظر قليلا في المنكبين عليها وجد أنهم أشبه شيء بالانعام بل هم أضل سبيلا لانها خلقت وفي طبيعتها الاستعداد لهذه الشهوات مع عدم الوازع والرادع بخلافهم فان الخاصية التي امتازوا بها عنها وهي العقل لمن أكبر الزواجر وأمنع الحصون في الحيلة لولة دون

سورة	آية	
		الانحطاط الى هذه الدرجة البهيمية وهي تغلب الشهوات بهذه الكيفية وحيث تغلبت القوة الشهوانية على القوة العقلية فلا غرابة اذا كان صاحبها أقل من الانعام انحطاطا وأخس منها ما لا ومنها الشجاعة التي هي عماد الفضائل وذلك بجهاد الصائم نفسه وشهواته ذلك الجهاد الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم جهادا أكبر حيث قال (رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر) يريد جهاد النفس بكفها عن كل ما تشتهيه ومنعها عما تنبغيه ولو أنى أردت استقصاء جميع فضائل الصوم ومنافعه وفوائده المادية والأدبية لم أجد للاحاطة بها سبيلا ويكفي ما أوردناه لطالب مستفيد ومعلم مفيد والله ولي التوفيق ومنه الرشد والسداد
		((ولما اشتمل عليه الصوم من الفوائد والمنافع والآداب المتقدمة شرعه الله تعالى وبين أحكامه بقوله))
البقر	١٨٢	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ^{١٨٣} أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ^{١٨٤} شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ

مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ
 وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَعَلَّامُ
 تَشْكُرُونَ^{١٨٥} وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ
 أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا
 بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ^{١٨٦} أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ
 إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ
 أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تُخْتَلِفُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ
 فَالَا تَنْ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا
 وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ
 الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا
 تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ
 اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
 يَتَّقُونَ

(معنى هذه الآيات الكريمات وبيان ما اشتملت عليه من الاحكام)

معناها أن الله سبحانه وتعالى قد فرض علينا الصيام وأودع فيه من
 الاسرار والحكم والفوائد والمنافع ما به يكبح الانسان نفسه عن الاسترسال
 في شهواتها المفضية به الى الدمار والهلاك بما تجزأ اليه من المعاصي
 والمحرمات لانها وسيلة اليها والى ذلك الاشارة بقوله تعالى (لعلكم تتقون)

أى تجعلون بينكم وبين المعاصى والقبايح وقاية وحصنا بالصيام الذى كُتِبَ عليكم فان الصيام يقلل الشهوة ويكسر سورتها لما فيه من ضعف القوة الدموية وذل النفس اللذين هما منشأ الشهوة والمحركان لها كما قال عليه الصلاة والسلام (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) وقد بين جل شأنه أن الصوم لمكانته من الدين وعلو درجته بما اشتمل عليه من كسر الشهوة التى ما شرعت جميع الشرائع ولا أنزلت جميع الاحكام الالهية الالتهديها وإيقافها عند حد الاعتدال وتزكية النفس وطهارتها وتنقيتها من الاخلاط الرديئة والاخلاق الرذيلة لم يجعله خاصا بهذه الامة المحمدية بل كانت مشروعيتها عامة لهذه الامة وسائر الأمم من قبلها واليه الإشارة بقوله تعالى (كما كتب على الذين من قبلكم) أى ليكون لكم فيهم أسوة ولتجتهدوا في أدائه أكمل مما كان يفعل أولئك كما قال تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الآية) ولرجته تعالى بخلقه ورأفته بهم لم يجعله جميع أيام العمر لئلا يشق على النفوس فتضعف عن حمله وأدائه بل جعله فى كل سنة (أيام معدودات) أى قلائل وهى شهر رمضان على ما سيأتى بيانه ولم يقف جل شأنه عند هذا الحد من الرأفة والرحمة بل تعطف وجعل أدائه قاصرا على من كان مقبلا فى بلده صحيحا فى بدنه أما من كان مريضا مريضا يضره معه الصوم ويعسر عليه فيه أو مسافرا فرخص له الفطر فى كلتا الحالتين وعوضه بدل ذلك أن يصوم عدة أيام المرض أو السفر من أيام آخر وهى التى يكون فيها صحيحا مقبلا وهذا الذى أفاده تعالى بقوله (فن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر)

بقى حكم الذين يحتملون الصوم مع المشقة الزائدة كالنلاحين والزراعيين وأرباب الاعمال الشاقة فنزل هؤلاء يفطرون ويطعم الواحد منهم

عن كل يوم مسكينا قدر ما يأكله في اليوم ومن أطعم أكثر من ذلك فهو خيرا له وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خيرا له) أى وعلى الذين يحتملونه بمشقة زائدة أن يتطروا ويتصدق كل واحد منهم بفدية وهى طعام مسكين ومن تصدق بأكثر من ذلك بأن أطعم اثنين أو ثلاثة أو أكثر فهو خيرا له وتفسير الاطافة بهذا المعنى هو ما يقتضيه نص اللغة وهو رأى جمهور من الأئمة وهو الأليق

فقد تبين أن للصائم ثلاث حالات الاولى أن يكون صحيحا مقبلا وهذا يجب عليه الصوم لاحتمال الثانية أن يكون مريضا أو مسافرا وهذا يفطر وعليه بدل ما أفطره من أيام رمضان عدة من أيام أخرى غير الثالثة أن يحتمل الصوم بمشقة زائدة وهذا يخير بين أن يفطر ويطعم عن كل يوم مسكينا أو يصوم ولذا يقول جل شأنه (وأن تصوموا خيرا لكم ان كنتم تعلمون) وبعد أن بين جل شأنه أنه فرض علينا الصيام وأنه أيام معدودات أخذ يبين تلك الأيام المعدودات فقال هى (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) أى أن تلك الأيام المعدودات التى فرض الله صيامها علينا هى شهر رمضان الذى ابتدئ فيه انزال القرآن الذى أنزله الله هدى لقلوب العباد ممن آمن به وصدق به وبينات أى دلائل وحجج بينة واضحة جلية لمن فهمها وتدبرها دالة على صحة ما جاء به من الهدى المنافى للضلال والرشد المخالف للغي ومفرقا بين الحق والباطل والحلال والحرام والموصول وصلته فى قوة العلة لبيان الحكمة فى تخصيص هذا الشهر بالصوم دون غيره وبعد ذلك كرر راجعا الى بيان بقية أحكام الصوم فقال (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) أى من شهد منكم الشهر ونظره فليصمه وما كان عموما ذلك يستلزم أن المريض والمسافر كليهما يصوم لانهما ممن شاهد الشهر بين أن ذلك الحكم غير شامل لهما بقوله (ومن

كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) أى ومن كان مريضا أو مسافرا فيرخص له في الفطر مع مشاهدته للشهر وعليه بعد ذلك أن يقضى ما فاتته من أيام أخر لان في صومهما في حال المرض أو السفر مشقة وعسرا والله لا يريد هما بنا كما قال تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) فهذه ثلاثة أحكام وجوب الصوم عند مشاهدة الشهر والقضاء عند الإفطار بسبب مرض أو سفر أو نحوه من الأعذار والترخيص واليسر بسبب ذلك وإلى علة الأول أشار بقوله (واتكلموا العدة) أى عدة الشهر وإلى علة الثاني أشار بقوله (واتكلموا الله على ما هداكم) أى اتعظموه وتنو اعليه بسبب هدايته إياكم ببيان أحكام دينكم وإلى علة الثالث أشار بقوله (ولم يملككم تشكرون) أى نعمته عليكم بالترخيص ولما أمر جل شأنه بصوم الشهر ومراعاة تمكيله عده أداء وقضاء وحث على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بقوله (وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجبوا لى ويؤمنوا بى لعلمهم يرشدون) الدال على أنه تعالى خبير بأحوالهم سميع لأقوالهم مجيب لدعائهم مجازيمهم على أعمالهم تأكيده له وحثا عليه أو المراد بالدعاء العبادة وباجابته قبوله فكأنه جل شأنه يقول وإذا عبدونى على النحو المتقدم وامتلأوا أمرى وأجابوا دعوتى لهم فانى أقبل عبادتهم وعليه فيكون ذكر الآية وسط أحكام الصوم بينا ظاهرا والله أعلم ثم رجع إلى بيان بقية أحكام الصيام فقال (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أقموا الصيام إلى الليل) فبين أن الصائم بعد الإفطار له أن يأكل ويشرب ويرفث أى يلامس أهله وقد كان المسلمون في بدء الاسلام يختانون أنفسهم أى ينقصون من لذائذها وشهواتها بترك الأكل والشرب واللامسة فتاب الله عليهم وعفا عنهم

فرخص لهم المباشرة وأباحها لهم حتى يظهر الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ومن الليل فإن ظهر ذلك الخيط امتنع عن كل شيء وابتدأ في صيامه ولا يزال كذلك إلى دخول الليل بغروب الشمس فإذا غربت حل له ما كان قد حرم عليه وهكذا

وبعد أن أتم الله أحكام الصوم بين لنا حكم الاعتكاف في المساجد وأن ملامسة الرجل لامرأته فيه سواء كان في الليل أو في النهار تبطل له فقال (ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك) أي الأحكام التي ذكرت (حدود الله) حدها لعباده ليقفوا عندها (فلا تقربوها) فضلا عن أن تتعدوها (كذلك) أي مثل هذا التبيين الواقع في أحكام الصوم (يبين الله آياته) الدالة على سائر الأحكام التي شرعها الله (للناس لعلهم يتقون) مخالفة أوامره ونواهيه والله أعلم

فضل الصوم

اعلم أن الصوم لمكانته من الدين ونفعه في المسلمين بما اشتمل عليه من الثمار البانعة والفوائد النافعة مما علمت بعضه قد رغب فيه الشارع وبالع في الحث عليه وأكثر من الوسائل التي توصل إليه فمن ذلك أن جعل له كفارة لكثير من الذنوب فقال في كفارة القتل (ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما) وقال في كفارة الأيمان (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم

تشكرون) وقال في كفارة الظهار (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله) وقال صلى الله عليه وسلم (انما الصوم جنة فإذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يصخب وان امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل اني صائم) أى انما الصوم وقاية يقي الانسان ويحفظه من شر عدويه الشيطان والنفس وبيعاده من تأثيرهما ويخالفه عليم ما فلذلك كان من حقه تكميل معنى الوقاية بتنزيه لسانه عن الاقوال القبيحة واليها الاشارة بقوله (فلا يرفث) أى لا يتكلم بقبيح وقوله (ولا يصخب) أى لا يرفع صوته بالهذيان وجوارحه عن الافعال كذلك واليها الاشارة بقوله (قاتله)

النوع الثالث

الزكاة

اعلم أن مطمح نظر الشارع الحكيم بما سانه من القوانين الشرعية وأنزله من الكتب السماوية انما هو تهذيب النفوس بمحو الرذائل والاخلاق الرديئة عنها وجلب الفضائل والاخلاق الجميلة اليها وزوال ما بهامن الاعتلال ووقوفها عند حد الاعتدال لان النفوس اذا وقفت عند حد الاعتدال ووصلت من التهذيب الى درجة الكمال وتحلت بالفضائل وتحلت من الرذائل تذاقت الطباع وأمن التعدي من الاشرار وذوى الاطماع وتألفت القلوب وأمنت السبل ونمت التجارات وتحسنت الاحوال وكثر التواصل واجتنب التخاذل فعمرت البلاد وارتاح العباد والعكس بالعكس لذا ترى الله جعل قسدرته تارة ينيط الفلاح بزكاة النفوس وطهارتها والخيرية والخذلان بمتابعتها في أهوائها فيقول (قد أفلح من زكاهما وقد خاب من دساها) وأخرى يجعل الجنة مأوى

لمن أخذها بالفهر لها وبذل جهده في جهادها والاقتدار عليها ومنعها من شهواتها الحيوانية وصرف أهـ واءها عن اللذات الدنية فيقول (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى)

ولما كان تهذيب النفوس بكبحها عن الشهوات وقمعها عن ارتكاب الدنيـ من اللذات من أصعب الأمور منالاً وأبعدها فوالا حتى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم جهاداً أكبر فيما روى عنه أنه قال (رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر) يريد جهاد النفس بمنعها من جميع الشهوات المعترضة لها - كانت الحاجة ماسة الى كف النفس عن الاسترسال في شهواتها ومتابعتها في مشتيتها وكبح زمامها وانجاد نار سورتها وكسر شوكتها

وحيث كان أكبر الشهوات التي يجب قمعها وأعظم الأشياء المحبوبة لديها لانه منشأ الطغیان والبغي المحبولة عليهما بطريق الفطرة هو المال الذي لا يعادله شئ عندها بمصدق قوله تعالى (وتحبون المال حباً جاحلاً) أى كثيراً وقوله (وانه لحب الخير لشديد) يريد المال جاء الشارع الحكيم التحبير بأمراض النفوس وعلاجها (بالزكاة) ليظهر بها النفوس ويحول دون تنفيذ رغبتها في عدم صرف شئ من المال المحبوب لديها ويزيل ما بها من علة الخلل والشح المشار الى نجاح وفلاح من وقى نفسه منها وتباعد عنها بقوله تعالى (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)

وللزكاة غير تخليص النفس من رذيلة الخلل وتحليتها بصفة الجود والسخاء من الفوائد والمنافع مابه عمارة الكون ونظام الهيئة الاجتماعية وذلك لان الله جات قدرته وعلت كلمته لم يخلق جميع الخلق متساوين لحكمة عجيبة وسر غريب بل خلق منهم القوى والضعيف والغنى والفقر والكل تطالبه الحياة بضرورياتها ولوازمها فيضطر الفقير القوى

اذا لم يكن صرف للزكاة ان يأخذ حاجاته من الضعيف الغنى أو القوى
الغنى بالسؤال ان أمكن والا قاتل المطلوب منه فيقتل أو يقتل ولا يتم
مع ذلك بقاء العالم ولا يحفظ نظام الكون ولذا ترى الفوضى بين منتشرين
في جميع أنحاء العالم وبالاخص في أوروبا وأمريكا يقتلون ملوكهم
ويذبحون أغنياءهم ولا سبب لذلك الا عدم صارف للزكاة في تلك
البلاد فيستغنون عما هم فيه من الفاقة ولو أنهم وجدوا ما يدفع
حاجتهم لما لجؤوا الى مثل هذه الامور الوحشية

ومن فوائدها أيضا أنها داعية الشفقة والرحمة بالفقراء والمساكين
والضعفاء المعوزين بسد عوزهم وتنفيس كربهم وقضاء دينهم وادخال
السرور عليهم الذي هو أفضل الاعمال بمصادق قوله صلى الله عليه وسلم
عند ما سئل أي الناس أحب اليك قال أنفع الناس للناس قيل
يارسول الله فأي الأعمال أفضل قال ادخال السرور على المؤمن قيل
وما سرور المؤمن قال اشباع جوعته وتنفيس كربته وقضاء دينه الحديث
ومنها أيضا أن المزكى بها يعرف نعمة الله تعالى عليه بنعمة المال فيشكره
على أن جعله غنيا لافقيرا وأن أحوج بعض الناس اليه ولم يحوجه
اليهم وما أخس من ينظر الى الفقير وقد ضيق عليه الرزق وأحوج
اليه ثم لا تسمع نفسه بان يؤدي شكر الله تعالى على اغنائه عن
السؤال واحواج غيره اليه بدفع الجزء الواجب عليه من الزكاة وهو
أقل من القليل

ومنها أن الله سبحانه وتعالى أراد بفائق حكمته وعظيم قدرته أن يجمع
العالم الاسلامي أجمع ويربط قلوب المسلمين كلهم ببعضها ببعض ويكون
الكل كعائلة واحدة والاغنياء منهم بمثابة رؤس لتلك العائلة فيحسنون
على فقيرهم ويوسعون على المضيق عليه منهم حتى يكفوهم تكففهم
الناس وينعوههم من ذل السؤال ويرشدهم كيف يجتمعون ويتحدون
ويتعاونون ويتآفون حتى بذلك يجنون ثمرة الحياة الدنيا فشرع لهم

الزكاة ليكون من نتائجها الحسنة هذا الارتباط والاتحاد والتعاون
ومنها أنه باخراج المزكى القدر الواجب عليه من ماله ابتغاء مرضاة الله
يعلم مقدار محبته لله ومراعاة أوامره وقسدها حق قدرها حيث خرج
عن أحب الاشياء اليه وهو ماله امتثالاً لامر الله تعالى وابتغاء مرضاته
ومنها تثبيت الايمان وكمال اليقين وذلك لان المال شقيق الروح وبذله
أشق شئ على النفس من سائر العبادات فاذا ارتاضت النفس بالتحمل
عليها وتكليفها ما يصعب عليها وكبحها عن كل ما تشتهيه وذلك بانفاق
أحب الاشياء اليها وهو المال صارت خاضعة لصاحبها وقل طمعها في
اتباعه لشهواتها وآثرت ما عند الله تعالى على ما عندها وفي ذلك
من تثبيت الايمان وكمال اليقين ما لا يخفى والى ذلك الاشارة بقوله
تعالى (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من
أنفسهم) الآية

ومنها أيضاً نماء مال المزكى وزيادته بان يضع الله فيه البركة ويخلف
عليه أفضل مما أنفقته يؤيد ذلك قول الله تعالى (وما أنفقتم من
شئ فهو يخلفه) وقوله (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل
الله كمثل حبة أنبت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله
يضاعف لمن يشاء) وحينئذ فلا عبرة بما يهذى به بعض الحقى ممن
لا خلاف لهم من أن الزكاة نقص في المال لازيادة فيه فان ذلك
من تغرير الشيطان به وما يرى أنه عدوه الالذ وخصمه الاشد الذى
لا يريد له الخير ولا يجلب له الا الشر والضير وقد نبه الله سبحانه على
هذه الزيادة ومخالفة الشيطان وعدم متابعتها فيما يسؤله ويغري به حيث
يقول (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة
منه وفضلاً والله واسع عليم) ولا تجرد انساناً ذاق طعم الايمان وأدرك
حلاوته بفضل وعد الشيطان اللعين الذى يقول الله تعالى حكاية عنه

(ووعدتكم فأخلفتمكم وما كان لى عليكم من سلطان) على وعده الله
الذى لا يخلف وعده

على أن ذوى الاموال ومن استحققت الزكاة عليهم لو تأملوا مليا لوجدوا
أن هذه الاموال عارية في أيديهم - وأمانة أوثقوا عليها من قبل الله
تعالى كما قيل - وما المال والاهلون الا ودائع *

وحق على من أوثق على شئ أن يؤديه عند ما يطلب منه فاذا امتنع
من أدائه وكابر في اعطائه كان للوثن أن يأخذه قهراعنه ويمنعه منه
لأنه أراد أن يمنع حقا عليه اذا علمت ذلك علمت عظم جرم من امتنع
عن أداء الزكاة فيما حوله الله تعالى من نعمه لان امتناعه اما أن
يكون لغفلته عن الله تعالى وعدم مراقبته فيما أوثق عليه وعدم تمثل
عظمة قدرة الله تعالى في قلبه لان الخائن اذا علم أن المخون مطلع عليه
ومراقب له مع اعتقاده تمام قدرته على ضرره ان خان لا أظن أنه
يجسر على الخيانة اذا كان عاقلا - واما أن يكون لما تسوله نفسه
وتغنيه من الامانى الكاذبة من أن هذا الموثق كريم أو حليم فأنا
أمتنع من اعطائه حقه لذلك لان هذا هو الحق بعينه اذ أى عاقل
يغتصب حق الغير ويمتنع من اعطائه بدعوى أن هذا الغير كريم أو
حليم أو نحو ذلك - واما أن يكون لاعتقاده أن هذه الاموال ليست
عارية في يده وأمانة عنده ولا حق لله تعالى فيها لانها كسبه بقوته
وحقيق بمن يعتقد ذلك أن يسلبه الله نعمته ويعدمه قوته حتى يتحقق
لديه أن لا كسب ليدبه وانما هو فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو
الفضل العظيم

وللزكاة غير ما ذكر من الفوائد والمنافع ماستأفى الآيات القرآنية الآتية
على بعض منها كما سيتبين لك والله ولى التوفيق

(قال الله تعالى حشا على الزكاة وبيانا لبعض ما يترتب عليها من
الفوائد والمنافع)

وَمَا آتَيْنَا مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُضْعِفُونَ

((بيان معنى هذه الآية الكريمة والغرض المقصود منها))

الغرض منها أن ما يخرج الزكاة من ماله ويعطيه لمستحقه من الفقراء
والمساكين وغيرهم من المستحقين ويقصد بذلك وجه الله تعالى جزاء
ما خوله من نعمه الوافرة سيجزيه الله سبحانه وتعالى عليه الجزاء الاوفى
وبضاعف له ثوابه وماله ببركة الزكاة وذلك لان من عرف حق الله تعالى
في ماله وأخرجه ابتغاء مرضاته وامتنالاً لما أمر به وصرفه في مصارفه
الشرعية التي بينها له الشرع فقد شكر الله جل شأنه على ما منحه من
كرامته وخوله المزيد من نعمته ومن شكر الله زاده وجعل التقوى زاده
بمصدق (وائن شكرتم لأزيدنكم) وهذه المضاعفة في الثواب والمال
ببركة الزكاة هي المشار لها بقوله تعالى في آخر هذه الآية الكريمة
(فأولئك هم المضعفون)

أما من يخرج الزكاة لا يبتغي بها وجه الله بل يبتغي بها أن يقال ان
فلانا يخرج الزكاة فهو طيب أو محسن أو كريم أو صالح أو نحو ذلك
فقد كفر بنعمة الله تعالى عليه واستحق المزيد من عذابه والاليم من
عقابه بمصدق (وائن كفرتم ان عذابي لشديد) بل ما أشد جراته وأعظم
وقاحته حيث يعتقد أن ما هو فيه من النعيم الزائد والخير المتزايد انما
هو بمحض فضل الله تعالى عليه ومعونته له ومع ذلك يتزلف ويتقرب
لغيره في حين أنه لا جدوى ولا فائدة ترجع عليه منه سوى لبانة للشيطان
قضاها وقد ضرب الله به الامثال في القرآن الكريم فقال (يا أيها الذين
آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمال والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا
يؤمن بالله واليوم الآخر فقله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل

فتركه صلدا لا يقدرّون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين -
 ولهم الحق ان المشرقي باخراج زكاته لأسوأ حالا وأكثر وبالامن عبادة
 الاصنام الذين يقول الله تعالى حكاية عنهم (ما نعبدكم الا ليقربونا الى
 الله زلفى) لانهم يعبدون الاصنام ليتقربوا بها الى الله وأما هؤلاء فيعبدون
 الله ليتقربوا بعبادته الى الناس وفرق بينهما وان كان الكل على قبيح والى
 ذلك كله يشير الله تعالى بهذه الآية الكريمة وهي (وما آتيتكم من
 زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) أى واذا لم تريدوا بها وجه
 الله تعالى بل قصدتم بفعلها الرياء والسمعة كانت منقصمة للمال جالبة
 للنكال محبطة للأعمال قاضية بسوء الحال وشر المال والله بسر
 كلامه عليم

(وقال جعل ثنائه في بيان أن الزكاة من الاسباب المفضية الى رحمة
 الله تعالى وأنها من أخص أوصاف المؤمنين)

التوبة

٧٢

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ
 بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ
 الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ
 إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

(ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة)

ترشد هذه الآية الكريمة الى بيان حال المؤمنين والمؤمنات بانهم هم
 الذين يتولى بعضهم بعضا أى يتناصرون ويتعاضدون كما جاء في الحديث
 الصحيح (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه)
 وفي الصحيح أيضا (مثل المؤمنين في تواددهم وتراحهم كمثل الجسد

الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحسنى والسهر) وأنهم هم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وهم الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة أى يطيعون الله ويحسنون الى خلقه وهم الذين يطيعون الله ورسوله أى فيما أمر وترك ما عنه زجر وأن من يكون كذلك فهو بدير بأن يغمره الله برحمته وينحبه المزيد من نعمته ولذا يقول جل شأنه (أولئك) أى من اتصف بهذه الصفات (سيرجهم الله) ومن لم يكن متصفا بهذه الصفات فليس بمؤمن بذلك على ذلك مقابلة هذه الآية بالتي قبلها وهى قوله تعالى (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديكم نسوا الله فانساهم ان المنافقين هم الفاسقون) فان قوله تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) يقابل قوله تعالى (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) وقوله (يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) يقابل قوله (يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف) وقوله تعالى (ويقيمون الصلاة) يقابل قوله تعالى (نسوا الله) وقوله تعالى (ويؤتون الزكاة) يقابل قوله (ويقبضون أيديهم) وقوله تعالى (أولئك سيرجهم الله) يقابل قوله (ان المنافقين هم الفاسقون) وانما كان المؤمنون الذين يتصفون بهذه الصفات المذكورة فى الآية الكريمة هم المستحقون للرجعة دون سواهم عن ذكرها فى الآية قبل لانهم اذا تولى بعضهم بعضا وتناصروا وتعاضدوا تحدث قلوبهم واجتمعت كلمتهم وسعى بعضهم لبعض فى جاب الخير ومنع الشر والضير ولا جرم أن ذلك جالب للرجعة مستتبع للتمعة ولانهم لو أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر عم الصلاح العامة والخاصة ووقف كل انسان عند حده فتأمن السبيل ونمت التجارات ويؤمن التغدى من الاشرار وذوى الاطماع فتتجر البلاد وترتاح العباد ولانهم لو أقاموا الصلاة وأدوها فى أوقاتها مع الخشوع والتعظيم والحياء والمسئلة والانكسار

الترتت نفوسهم على مراقبة الله تعالى في أغلب أوقاتهم وانتهوا عن
الفحشاء والمنكر ولازموا الجليل من الاعمال وتركوا القبيح منها ولائهم
لأقوا الزكاة وقهروا النفس باخراج أحب الاشياء اليها وهو المال وآثروا
رضا الله تعالى على ما تشتهيه نفوسهم وصرفوها في مظانها التي حدها
الشرع رضى الفقير وأمن الغنى على ماله ونفسه فتقوى جامعهم
وتناكد محبتهم وتكمل سعادتهم ولائهم لو أطاعوا الله ورسوله وامتنلوا
كل ما أمرهم به واجتنبوا كل ما نهاهم عنه فازوا بما أعده الله لهم في
الآخرة من النعيم المقيم ولا جرم أن الاتصاف بكل هذه الصفات
مع ما يترتب عليها من الثمار اليساعة والفوائد المنفعة جالب للرحمة
مستتبع للنعمة

فضل الزكاة

(قال الله تعالى في بيان ذلك)

البقرة

٢٦٤

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ
وَتَثْبِيْتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ
فَاصَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلُّ وَاللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

(بيان معنى هذه الآية السكرية)

يقول الله تعالى ان مثل نفقة الذين ينفقون أموالهم في الزكاة خالصة
لوجه الله تعالى وطلبها لمرضاته وتثبيتا لانفسهم على الايمان بما بذلوه
من أموالهم فان المال شقيق الروح مثل بستان بريرة أى بموضع

مر ترفع نزل عليه مطر كثير أو قليل فاخضرت أوراقه وأزهرت أغصانه
وأثمرت أزهاره وكثرت ثماره فصار يثمر مرتين في العام بعد أن كان
يثمر مرة واحدة ووجه التنظير في كل أن المنفق لابد وأن يجنى من نفقته
ثمار الأجر والثواب ولا يختلف ذلك بحال وإن تفاوت الأجر والثواب
بحسب تفاوت ما يقارنهما من الإخلاص والتعب وحب المال وصرفه لمن
هو أولى به من غيره كان يكون محتاجا تقيا إلى غير ذلك فكذلك من غرس
بستانا بموضع مرتفع لابد وأن يجنى ثمر غرسه سواء نزل عليه مطر
كثير أو قليل

وانما اعتبر كون البستان بموضع مرتفع لان أشجار المواضع المرتفعة
غالبا تكون أحسن منظرا وأزكى ثمرة وأكثر فائدة للطف هوائها
وعدم كثافته بركوده

(وقال جل شأنه في بيان أنها ترفع الدرجات وتكفر السيئات)

إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهُهَا
الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيَكْفِرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

البقرة ٢٧٠

(ما تشير إليه هذه الآية الكريمة)

تشير إلى بيان فضل الزكوات والصدقات وأنها حسنة على كل حال
سواء أظهرها فاعلمها أو أخفاها إلا أن الأسرار بها وأدائها في خفية
أفضل لانه أبعد من الرياء إلا أن يترتب على الإظهار مصلحة راجحة
من اقتداء الناس به فيكون أفضل من هذه الحيثية وإلى أن الأسرار
أفضل يشير الله تعالى بقوله (وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم)

سورة	آية	أى من إبتسائها للفقراء مع الاظهار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (سبعة يظلمهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يرجع اليه ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال انى أخاف الله رب العالمين ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه) هذا وبعد أن أشار رجل شأنه الى بيان فضل الزكاة لاسيما اذا كانت سرا وأنه يحصل لفاعلها الخير بما يعطاه من رفع الدرجات بين أنها تكفر السيئات فقال (ويكفر عنكم من سيئاتكم) أى بدل الصدقات وقوله تعالى (والله بما تعملون خبير) أى لا يخفى عليه منه شئ فيه ترغيب فى الاسرار والله أعلم وقد ورد فى هذا الباب أحاديث كثيرة سنأتى على بعض منها لما فيه من زيادة بيان فضلها قال صلى الله عليه وسلم (ان الصدقة لتطفى غضب الرب) وقال عليه الصلاة والسلام (ان الصدقة تطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار) وقال صلوات الله عليه (من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يتقبلها بيمينه ثم يربها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوله حتى تكون مثل الجبل) وقال عليه الصلاة والسلام (لا يجتمع الشح والايمن فى قلب عبد أبدا) وقال صلوات الله وتسليماته عليه (مثل البخيل والمتصدق مثل رجلين عليه ما جبتان من حديد قد اضطرت أيديهما الى نديهما وتراقبهما فجعل المتصدق كلما تصدق بصدقة انبسطت عنه وجعل البخيل كلما هم بصدقة قلصت وأخذت كل حلقة بمكانها) وذلك لان الانسان اذا أحاطت به مقتضيات الانفاق وأراد أن يفعلها يحصل له ان كان سخرى النفس انشراح ويتمثل المال بين يديه حقيرا ذليلا يكون انفاقه عليه سهلا هينا بل يستريح خاطره لذلك وتطمئن نفسه اليه وان كان شحيحا بخيلا غاصت نفسه فى حب المال

وَقَتَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ حَصَنَةً وَمَلَأَ قَلْبَهُ وَكَانَ انْفَاقَهُ وَبَذَلَهُ صَعْبًا عَلَيْهِ
وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ

جزاء مانع الزكاة

(قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي بَيَانِ ذَلِكَ)

وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ^{٣٦} يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ
جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا
مَا كُنْتُمْ لِنَفْسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ

التوبة ٣٥

(مَا تَفِيدُهُ هَاتَانِ الْآيَتَانِ الْكَرِيمَتَانِ)

تفيد هاتان الآيتان الكريمتان شدة التغليظ وتشديد النكير والوعيد بأليم
العذاب وشديد العقاب للذين يجمعون الاموال ويتخرونها ثم يبخلون
بها ويعنعون حق الله فيها ولا يخرجون زكاتها ولتمام وجه العبرة وافادة
شدة النكير والانذار بين الله جل شأنه أن هذا العذاب الاليم والنكال
الشديد انما هو بنفس أموالهم التي يبخلوا بها حتى يعلموا أن هذه
الاموال التي عمدوا الى ادخارها وعقلوا على كنزها رجاء النعم بها
في المطعم والملبس واكتساب الوجاهة والرياسة بها هي سبب شقائهم
الدائم وبؤسهم الخالد

وقد بين جل شأنه كيفية التعذيب بها في قوله (يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ
جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ) وخصت هذه الاعضاء
بالذكر لان غرض الكنازين من الكنز والجمع أن يكونوا عند الناس

سورة	آية	ذوى وجاهة ورياسة بسبب الغنى وأن يتنعموا بالمطاعم الشهية والملابس الهيبة فلما قصدوه من الوجاهة بالكنز كان السكى بجباهاهم ولما قصدوه من امتلاء جنوبهم بالمطاعم كروا عليها ولما قصدوه من الملابس على ظهورهم كويت ظهورهم ولبيان أن سبب هذا البلاء العظيم والعذاب الأليم انما هي نفس الانسان حيث سؤات له الخيل وحسنت له الكنز والادخار والمنع أشار الله تعالى بقوله (هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكفرون) أى هذا الذى تكفرون به هو ما كنزتموه لاجل منفعة أنفسكم بتسويلها لكم المنفعة فكان عين مضرتها وسبب تعذيبها
		(وقال تبارك اسمه سمينا جزاء مانع الزكاة فيما حكاه جل شأنه عن أهل النار عند ما سئلوا عن سبب تعذيبهم)
المدر	٣٩	الْأَصْحَابَ الْيَمِينِ ۚ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ۚ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۚ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۚ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۚ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ
		(ما ترشد اليه هذه الآيات الكريمات)
		ترشد هذه الآيات الكريمات الى بيان جزاء تارك الصلاة ومانع الزكاة وقد حكى الله عنهم ذلك عند ما سئلوا أى شئ أدخلكم فى سقر وأهلككم فى هذا العذاب الأليم والعقاب الشديد فقالوا ان سبب ذلك أنا لم نك من المصلين المطيعين لله تعالى ولم نك نطعم المسكين أى الذى أسكنته الحاجة والذلة والفقر من فضول أموالنا التى رزقنا الله إياها فكان جزاءنا لذلك ما نحن فيه من العذاب الأليم والعقاب الشديد

فإياك أيها التارك للصلاة والمانع للزكاة أن تكون من هؤلاء المسؤولين
المجيبين وقال تبارك اسمه في ذم من ينع الزكاة ولا يطعم الفقير المسكين
الذي لا يجد ما يقتات به (أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع
اليتيم ولا يحض على طعام المسكين) وقال جعل ثناؤه (بل لا تكرمون
اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين) وقال جل شأنه (وأما من أوتي
كتابنا بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابي به ولم أدر ما حسابي به ياليتها
كانت القاضية ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه خذوه فخذوه ثم الجحيم
صاوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه انه كان لا يؤمن بالله
العظيم ولا يحض على طعام المسكين)

أنواع الزكاة

هي زكاة النقد سواء كان ذهباً أو فضة وزكاة عروض التجارة وزكاة
المواشي وزكاة الزرع وزكاة الركا

(وقد أشار الله تعالى الى وجوب الزكاة في جميع هذه الانواع بقوله)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا
أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَنْفِقُوا مِنْهُ
تَنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْنُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ

البقرة ٢٦٦

(معنى الآية وبيان وجه أخذ هذه الانواع منها)

يقول الله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا أَيُّ أَخْرَجُوا الزكاة من

طبيبات ما كسبتموه سواء كان نقدا أو عروض تجارة أو ماشية وما
أخرجنا لكم من الأرض سواء كان حبا أو تمرا أو ركازا

وقد بينت السنة تفصيل ما يخرج من كل نوع فبينت أن ما يخرج من
النقد سواء كان ذهبا أو فضة ربع العشر ففي مائتي درهم خمسة دراهم
وفي عشرين دينارا نصف دينار وذلك لقوله عليه الصلاة والسلام لمعاد
حين بعته الى اليمن (فاذا بلغ الورق مائتي درهم نخذ منه خمسة دراهم)
وقوله عليه الصلاة والسلام (ليس في أقل من عشرين دينارا صدقة
وفي عشرين دينارا نصف دينار) وما زاد من كل منهما فبحسابه وبينت
أن ما يخرج في عروض التجارة اذا بلغت قيمتها من الذهب والفضة
نصابا ربع العشر أيضا والتقويم يكون بما اشتريت به اذا كان الثمن
من النقود لانه أقرب لمعرفة المالاية لان الظاهر أن تشتري بقيمتها
وبالغالب من النقود اذا كان الثمن من غير النقود

وبينت أن ما يخرج من المواشي ان كانت لبلا شاة في كل خمس الى
خمس وعشرين ففيها بنت مخاض وهي التي دخلت في السنة الثانية الى
ست وثلاثين ففيها بنت لبون وهي التي دخلت في السنة الثالثة الى
ست وأربعين ففيها حقة وهي التي دخلت في السنة الرابعة الى احدى
وستين ففيها جذعة وهي التي دخلت في السنة الخامسة الى ست وسبعين
ففيها بنتا لبون الى احدى وتسعين ففيها حقتان الى مائة وعشرين وعلى هذا
اتفقت الاقار واشتهرت كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمعت
الامة ثم تستأنف الفريضة بعد المائة والعشرين في كل خمس شاة أى
مع الحقتين الى خمس وعشرين بعد المائة والعشرين فيكون فيها بنت
مخاض مع الحقتين أى في مائة وخمس وأربعين حقتان وبنت مخاض ثم
اذا زادت خمسة بأن بلغت مائة وخمسين ففيها ثلاث حقات ثم تستأنف
الفريضة فيكون في كل خمس شاة الى مائة وخمسين فيكون فيها
ثلاث حقات وبنت مخاض الى مائة وست وثمانين ففيها ثلاث حقات

وبنت لبون الى ست وتسعين ففيها أربع حقاك الى مائتين ثم تستأنف
 الفريضة دائما كما استؤنفت في هذه الخمسين التي بعد المائة والخمسين
 وان كانت بقعرا ففي كل ثلاثين تببيع ذو سنة أو تبعية وفي كل أربعين
 مسنن ذوسنتين أو مسنة وذلك لما روى عن معاذ بن جبل أنه عليه الصلاة
 والسلام بعثه الى اليمن وأمره بأن يأخذ من كل ثلاثين بقرة تبيعا
 أو تبعية ومن كل أربعين مسنا أو مسنة وما زاد فبحسابه الى ستين
 ففيها تبيعان الى سبعين ففيها مسنة وتبيع الى ثمانين ففيها مسنتان
 وهكذا يتغير الفرض في كل عشر من تببيع الى مسنة والجاموس كالبقرة
 وان كانت غنما ففي كل أربعين شاة الى مائة واحد وعشرين ففيها شاتان
 الى مائتين وواحدة ففيها ثلاث شياه الى أربع مائة ففيها أربع شياه ثم
 في كل مائة شاة وبذلك اشتهرت كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وكتب أبي بكر وعمر وعليه انعقد الاجماع والمعرز كالضأن وليس فيها
 عدا هذه الاصناف الثلاثة من الحيوانات كالخيل والبغال والحمير زكاة
 وأما زكاة الزرع فقد قال الله تعالى حنا عليها وأمرها بها (وهو الذي
 أنشأ جنات معسروشات وغير معسروشات والنخل والزرع مختلفا أكله
 والزيتون والرمان متشابها وغير متشابهة كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه
 يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين) وبينت السنة أن كل زرع
 أخرجه من الارض أوسق بالسج أو بالمطرف ففيه العشر بشرط أن يقصد
 منه الاستغلال فان لم يقصد منه الاستغلال كالخطب والقصب والحشيش
 والسعف والصمغ عند من لم يقصد به الاستغلال وكل حب لا يصلح
 للزراعة كبذر البطيخ والقضاء فلا زكاة فيه لكونها غير مقصودة في نفسها
 وكذا لازكاة فيما هو تابع للارض كالنخل والاشجار لانه بمنزلة جزء
 الارض بدليل تبعيته لها في البيع عند عدم شرط - فان كان
 السقي بالدلاء ونحوها ففيه نصف العشر
 أما الركاز فقد بينت السنة أن فيه الخمس لقوله عليه الصلاة والسلام

(في الر كاز الخس قيل ومال ركاز يارسول الله قال الذهب الذي خلقه الله تعالى في الارض يوم خلقت)

بيان من تصرف لهم الزكاة

تصرف لثمانية وهم المذكورون في قوله تعالى

(انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم)

أى انما يستحق الزكاة من أصناف الخلق هؤلاء الثمانية وهم الفقراء الذين يملكون شيئاً قليلاً والمساكين وهم الذين لا يملكون شيئاً أصلاً والعاملون على الزكاة وهم الذين يبعثهم الامام لحبايتها وتحصيلها والمؤلفة قلوبهم على الاسلام لان في اعطائهم تقريرهم على الاسلام وترغيب نظرائهم وأتباعهم وقيل يسقط هذا الصنف من الاصناف الثمانية وذلك لما روى أن عيينة والافرع (وكانا من المؤلفة قلوبهم) جاّ بطلبان أرضاً من أبى بكر فمكتب بذلك خطاً فزقه عمر رضى الله عنه وقال هذا شيء كان يعطيكموه رسول الله صلى الله عليه وسلم تأليفكم فأما اليوم فقد أعز الله الاسلام وأعفى عنكم فان ثبتتم على الاسلام والا فيمننا وبينكم السيف فرجعوا الى أبى بكر فقالوا أنت الخليفة أم عمر بذات لنا الخط وزقه عمر فقال رضى الله تعالى عنه هو ان شاء ووافقه ولم ينكر عليه أحد من الصحابة ويكون ذلك من قبيل انتهاء الحكم بانتهاء علمه لامن قبيل التسخ لانه لانسخ بعد النبي عليه الصلاة والسلام والذي يظهر أن حكم الآية باق ولعل منع عمر لعيينة والافرع لانهما كانا غنيين لامؤلفين - والمكاتبون وهم الذين أشار لهم الله تعالى بقوله (وفي الرقاب) وذلك بأن يعاون المكاتبون بشئ منها على

أداء نجومهم فتنفك بذلك رقابهم - والغارمون وهم الذين عليهم دين فيعطون منها بشرط أن يكون هذا الدين استقرض في طاعة أو مباح فان استقرض في معصية كالخمر والاسراف فيما لا يعنى فلا يعطون منها شيأ مالم يتوبوا - والغزاة وهم المقصودون من قوله تعالى (وفي سبيل الله) فيصرف لهم من الزكاة ولو كانوا أغنياء اعانة لهم وتنشيطا على الغزو - وابن السبيل وهو المسافر الذي انتقطع عن ماله فيعطى منها ولكن بقدر الحاجة

ومن تأمل مليا في حكمة تخصيص هذه الاصناف الثمانية بصرف الزكاة اهم يظهر له جلها فضل الزكاة وما لها من الفوائد الجممة والمنافع العامة ألا ترى أنه باعانة الفقراء والمساكين منها يأمن الغنى على نفسه وماله من شر غائلة ما تلجئهم اليه الضرورة والفاقة ويحصل التآلف والتعاقد والتعاون بين الاغنياء والفقراء فتأمن السبيل وتنتشر المصالح ويحصل باعانة الجبهة الذين يحمونها قيامهم في جمعها بما يكفل لها الحفظ والنماء وباعانة المؤلفة قلوبهم منها عزة الاسلام وقوته وانتشاره بكثرة أتباعه والداخلين فيه وباعانة المكاتب فك رقبة مؤمنة من ذل الرق والاستعباد ذلك الامر الذي طالما جعلته الشريعة الغراء نصب عينها فلا ترى عند تحديدها كفارة القتل أو اليمين أو الافطار من الصوم أو غيرها الا وتدخل عتق الرقبة في ذلك التحديد - وباعانة من عليه الدين فك رقبة من ذل الرق والاستعباد المعنويين لان سلطة الدائن على المدين ولولم يطالبه نهاية الاستعباد - وباعانة المسافرين على بلوغ مقصدهم توصيلهم الى الغاية التي يقصدونها من سفرهم وربما كان عليها مبنى حياتهم وحياة أسرهم - وباعانة الغزاة حفظ البلد من الطارئ عليها وتقوية نفوسهم لتمام استعدادهم للدفاع التي عليها صيانة الانفس والاموال والاعراض فما أجل حكم الله تعالى وأدقها في تشريعه الاحكام

زكاة الفطر

هي نصف صاع من بر أو دقيق أو زبيب أو صاع من تمر أو شعير وهو
ثمانية أرطال وذلك لقوله عليه الصلاة والسلام في خطبة له (أدوا عن
كل حر وعبد صغير أو كبير نصف صاع من بر أو صاعا من تمر أو صاعا
من شعير) والربع المصري يكفي عن ثلاثة أنفس
ويخرجها من مالك نصابا من أي مال كان عن نفسه وأولاده الصغار
وعبيده للخدمة ولا يخرجها عن زوجته وأولاده البكار
وتصرف للأصناف الثمانية المتقدمة لأنها كبقية أنواع الزكاة

النوع الرابع

الحج

هو زيارة أمكنة مخصوصة في زمن مخصوص بأقوال وأفعال مخصوصة
وله من الأسرار والحنكم ما يعجز عن حصرها حكماء العرب والعجم فمنها
أن الله جلت قدرته بعث رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بينما كانت
العرب متفرقة القلوب متشعبة الأهواء متباينة المقاصد مختلفي الكلمة
لا تجمعهم جامعة ولا تردعهم رادعة ولما علم جل شأنه أنه لا تكمل سعادتهم
الدينية والأخروية ولا تكون لهم عيشة مرضية إلا بنبذ ما هم
عليه من التباغض والنحاسد والتخاذل والاعتصام بحبل التوافق والتوادر
والإخاء قرر فيما قرر من أسباب السعادة مبادئ الإخاء الإسلامي تحت
جامعة الدين فقال تعالى فيه (انما المؤمنون اخوة) وقال تعالى (واعتصموا
بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف
بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة اخوانا) وقال جل شأنه (ولا تنازعوا فتفشلوا
وتذهب ربكم) وجعل صلى الله عليه وسلم الحجاب بين المسلمين شرطا أوليا
من شرائط الاسلام فقال (لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا

حتى تحابوا) فوضحت لهم بذلك طرق السعادة فسلوكوها وتوصلوا الى نعيم الحياة فتمتعوا به وارتقوا الى أوج لم ينله غيرهم ووصلوا الى مجد لم يسبق اليه سواهم فدوخوا الممالك ونشروا الدين واللغة والمدنية وبسطوا نور العلم والتهديب والتربية كل ذلك في أقل من قرن ولا سبب لذلك سوى اعتصامهم بجامعة الدين وتمسكهم بحبله المنين - ولما لهذه الجامعة من الفوائد والمنافع التي ظهر أثرها في العائلات الصغيرة فضلا عن الممالك الكبيرة ترى الدين الاسلامي دائما يرمي بغرضه الى تحقيقها والسمي وراء تمكنها بين أفراد الأمة يرشد الى ذلك حثه على الاجتماع في مواطن كثيرة من القرآن الكريم وتقريره الاجتماع في أغلب العبادات كالاجتماع في أوقات الصلوات الخمس والجمعة والعيدين لما في ذلك من التعاون والتعااض

ولما كان هذا الاجتماع لا يفي بالغاية المطلوبة لان الفائدة فيه قاصرة على أهل المحلة والبلد أو البلد ومن جاوره كانت الحاجة ماسة لمشروعية ما به يكون اجتماع جميع المسلمين من سائر أقطار العالم في مكان واحد تقوم فيهم العلماء والخطباء والحكماء يعلمون الجاهل ويرشدون المسترشد ويوقفونهم على أحوال الأمم الشاسعة التي لا يتوصل الواحد منهم اليها مدى عمره ويطلعون بعضهم بعضا على ما به تكون حياتهم الملية والقومية من الصنائع والمعدات للذود وغيرها مما سبقهم فيه غيرهم ويطلع بعضهم على شؤون البعض الآخر المحتاجة للتعاون والتوازر ويتصالحون ويتواددون على اختلاف أجناسهم وتباين طبقاتهم فيرجع الواحد منهم الى بلده وحقيقته ملائى من أخبار وسير وفوائد ومنافع لا تكاد تحصى ووقوف على أحوال الامم الاخرى ليباريهم ويباريهم فيما تكون فيه سعادتة وسعادة قومه الحقيقية فشرع الله لهم الحجة لهذه الغاية

ويا حبذا لو أدرك ذلك الذين يذهبون من المسلمين الى أوروبا في كل سنة

أو الى المعارض التي تقام فيها ويصرفون في سبيل ذلك من الاموال الطائلة ما لو صرفوا جزءاً قليلاً منه في أداء هذه الفريضة لكان ذلك أدى الى عزتهم ومنعتهم وقوتهم على أنهم في أداء هذه الفريضة يرون معرضاً أكبر من معارض أوروبا لانه يجتمع فيه كل أصناف العالم من عرب وترك وفرنس وهنود ومصريين ومغاربة وسوريين وبربر وسودان وغير ذلك من أمم البشر كلهم على دين واحد وغرض واحد وكلما يجتمع في معارض أوروبا الاوروبي أو من على شاكلة وياليت أنهم يذهبون الى تلك المعارض والبلاد ليرجعوا بشيء مما سبقهم فيه أولئك الافوام من الصنائع والمعارف بل انما يذهبون ليقتضوا شهوة للنفس أولبانه للشيطان فاللهم أرشد المسلمين الى ما فيه صلاح حالهم واستقامة أحوالهم واستكمال شؤونهم

ولما في الحج من الفوائد والمنافع يشير الله تعالى بقوله (وأذن في الناس بالحج) بأقوله رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم فقد ذكر رجل شأنه أن في الحج منافع يشهد بها الحاج أقلها تسهيل وسائل التآلف والتوافق بين الممالك العظيمة ووجود الاتحاد والاتلاف بين الأمم الاسلامية الكريمة وما يترب على ذلك من الخير العميم لعموم المسلمين

وناهيك بما فيه من الأذكار والصلوات والتسبيحات فائها مد حضرة للذنوب كاذلة بنوال المرغوب

ومن حكم الحج وأسراره أن به كمال العبودية ونهاية الاسترقاق بما اشتمل عليه من الاعمال التي لا تأنس بها النفوس ولا تهتدى الى معانيها العقول بادئ بدء كرمي الجمار بالاجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار فان هذه الاعمال مع عدم اهتمام العقل الى الغرض المقصود منها بادئ بدء لا يكون في الاقدام عليها باعث الا الامر المجرد وفقد الامتثال للامر من حيث انه أمر واجب الاتباع فقط وذلك نهاية

التذلل والعبودية وهو ذلك الامر الذي يعده صاحب هذه الشريعة عليه السلام من أشرف أوصافه وأكمل نعوته ويقول مامعناه (انى عبد أجلس كما يجلس العبد وآكل كما يأكل العبد) ونهى عن الاطراء فى مدحه فقال مامعناه باختصار (لا تطرونى ولكن قولوا عبد الله ورسوله) وقد وصفه ربه بالعبودية فى أشرف مقام ذكره فيه فقال تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى) فكان له فى ذلك أكل المبرة وأوفر المسرة

ومن حكم الحج وأسراره المندرجة فى أعماله أن الطواف بالبيت عند قدوم الحجاج اليه انما هو تمثيل لصورة طواف قلوبهم برب هذا البيت والبيت انما هو مكان طاهر فى عالم الملك لتلك الحضرة التى لا تشاهد بالبصر - وأن استلام الحجر الاسود المسمى بعين الله انما هو بمنزلة مبايعة العبد ربه على أن لا يعصى له أمرا ولا نهيا فاذا صمم العزم على الوفاء بتلك البيعة استحق من الله الرضا والكرامة ومن غدر فى المبايعة استحق منه العقاب والحذلان والى ذلك الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم (الحجر الاسود بعين الله فى الارض يصابح بها عباده) وقوله صلى الله عليه وسلم (الجرمين الله فن مسحه فقد بايع الله)

وأن فى السعى بين الصفا والمروة فى فناء البيت غير ما ذكر الاشارة الى أن من يتردد على فناء الملك جائيا وذاها مرة بعد أخرى يظهر بذلك اخلاصه فى خدمته ويرجو ملاحظته بعين الرحمة كالذى دخل على الملك وخرج وهو لا يدري ما الذى يفعله الملك به من قبول أو رد فلا يزال يتردد فى فئائه مرة بعد أخرى رجاء أن يرحم فى الثانية ان لم يرحم فى الأولى وسيأتى أن الأصل فيه تردد هاجر زوج سيدنا ابراهيم عليه السلام بينهما فى طلب الماء ولولدها اسمعيل عليه السلام

وأن فى الوقوف بعرفة واجتماعهم فيه ألوف مؤلفة على اختلاف لغاتهم وتباين أجناسهم يقصد الكل غرضا واحدا وهو طلب المغفرة والرضوان

من الله عز وجل نزول الرحمة بهم فان في اجتماع المسلمين راغبين في الله راغبين راهبين منه مسلمين وجوههم اليه خاصية عجيبية في نزول البركات وتدلى الرحمت وخصوص هذا اليوم وهذا المكان متوارث عن الانبياء عليهم السلام والاخذ بما جرت به سنة السلف الصالح اصل أصيل في باب التوفيق وأن في رمي الحجار غير ما تقدم من اظهار الرق والعبودية والانتماض لمجرد الامتثال من غير حظ للنفس التشبه بسيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام حيث عرض له ابليس عليه لعنة الله في ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة أو يفتنه بمعصية فأمره الله عز وجل أن يرميه بالحجارة طرداه وقطع الامله

والسرفى نزول منى من أعمال الحج أنها كانت سوقا عظيمة من أسواق الجاهلية مثل عكاظ والمجنة وذى المجاز وغيرها وانما اصطلموا عليه لان الحج يجمع اقواما كثيرة من أقطار متباعدة ولا أحسن للتجارة ولا أروج لها من أن يكون موسمها عند هذا الاجتماع ولما جرت العادة بنزولها اقتضى ديدن العرب وجيتهم أن يجتمعوا كل حى في التفاخر والتسكاثر وذكر ماثر الآباء ليرى ذلك الاقاصى والادانى ويبعد ذكره في الاقطار وكان للاسلام حاجة الى اجتماع مثل هذا تظهر فيه شوكة المسلمين وعدتهم وعظمتهم ليظهر دين الله ويبعد صيته في سائر الاقطار فأبقاه النبي صلى الله عليه وسلم وحث عليه وندب اليه ونسخ التفاخر وذكر الآباء وأبدله بذكر الله وذلك قوله تعالى (فأذكروا الله كذا كر آباءكم أو أشد ذكرا)

وناهيك بما ابتلى به سيدنا ابراهيم عليه السلام في هذه الاماكن الطاهرة من أهله بذبح ولده وفائدة كبده وامتثال كل منهما ما أمر به وانعام الله عليهما بالفداء وابدال حزنهما بالهناء الى غير ذلك من الاعمال المرضية مما يدل على ماله من الطاعة وحسن الانقياد لمولاه فبمذكور أعماله ومحاكاتها تنبعث النفوس لشذكار بقیة أعماله وعباداته فتشتاق

للاقتداء به والتخلق باخلاقه في كل ما يرضى خالقه

وحسبك ما فيه من الفوائد والمنافع التي لا تسكاد توجد في غيره من سائر العبادات حيث يجتمع فيه أئمة الدين معظمين لشعائر الله التي يقول الله تعالى فيها (ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) متضرعين اليه راغبين فيه راجين منه الخير وتكفير الذنوب ولا شك أن ذلك أدعى الى تحييص ذنوبهم وتكفير خطاياهم ولذا يقول عليه الصلاة والسلام (ما رأى الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أحر ولا أحقر ولا أغبط منه في يوم عرفة الحديث) وذلك لما يراه ينهال عليهم من الرحمة ويحظون به من كرامة الله لهم برضوانه عليهم وتكفيره لذنوبهم - ولانه سفر شاسع وعمل شاق لا يتم الا بمجاهدة النفس وكبح زمامها عما تشتهيه من لذة الراحة فلا جرم كانت مباشرته خالصا لله تعالى مكفرا للذنوب وهاديا للخطايا

وبالحجة لانه لم يكن في الحج الا أنه عبادة جمعت بين الذكر والتسبيح والادعية والتذلل والخضوع وتتمام العبودية وكمال الاسترقاق لله وصرف أنفس الاشياء عند العبد وأنها لديه وهو المسال ابتغاء مرضاة الله تعالى في سبيل التحصيل عليها ومفارقة الاهل والاطوان وتكبد المشقات وتحمل المتاعب والمصاعب ابتغاء مرضاة الله تعالى وطلبها لمشوئته ورضوانه وانه يجتمع فيه المسلمون من أقطار الارض يتبادلون فيه أنواع المحبة والمودة ويتعاضدون ويتحابون ويساعد بعضهم بعضا ويعلم العالم منهم الجاهل - لكفى في وجوب اعتباره وكمال افتخاره وكان جديرا بأن يؤمه جميع المسلمين من سائر أقطار العالم من كل فج عميق رجالا وركبانا

(ولما اشتمل عليه الحج من الاسرار والحكم والفوائد والمنافع أمر الله به وبين فرضيته وشدد التنكير على تاركه وبين فضل البيت فقال)

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى
لِّلْعَالَمِينَ ^{٩٧} فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ
كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ
سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ

(ما ترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان)

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى أمور (الأول) ببيان مآل البيت
من النضائل والمزايا التي منها أنه أول بيت وضعه الله موضعا للطاعات
والعبادات ومقصدا للحج والعمرة ومكانا للطواف - ومباركا
بزيادة الحسرات ومضاعفة الحسنات لمن قصده أو أقام فيه - هدى
للعالمين يهتدون به الى وحدة دينهم وذلك الفضل العظيم والخير الجسيم بما
اشتمل عليه من الآيات البينات التي منها مقام ابراهيم أى الحجر الذى
كان يقوم عليه عند بنائه وكان فيه أثر قدميه عليه السلام واندرس من
كثرة المسح بالأيدي ومنها أن من دخله كان آمنا فلا يقتل فيه أحد
بدم ولا يقطع شجره ولا ينفر صيده وكذلك كان الامر فى الجاهلية
كان الرجل يقتل فيضع صوفة فى عنقه ويدخل الحرم فيلقاه ابن المقتول
ولا يكلمه ومنها اهلال من قصده من الجبابرة كما حصل لاصحاب القبل
وغيرهم وهذه الفضائل والمزايا التي للبيت هى التي أفادها الله تعالى
بقوله (ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات
بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا)

(الثانى) بيان فرضية الحج وأنه واجب على كل مسلم بالغ بشرط أن
يستطيع السبيل الموصلى اليه وقد فسر صلى الله عليه وسلم الاستطاعة
بالزاد والراحلة ويدخل فى الاستطاعة دخولا أوليا أن تكون الطريق

الى الحج مأمونة بحيث يأمن الحاج على نفسه وماله وأمواله كانت الطريق غير آمنة فلا يجب الحج وقد أفاد الله ذلك كله بقوله (والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا)

(الاخر الثالث) بيان جزاء تارك الحج وقد أفاد الله تعالى ذلك بقوله (ومن كفر فان الله غني عن العالمين) أي ومن ترك الحج فان الله غني عن العالمين لان الله جل شأنه لم يشرع لعباده هذه الشرائع الا لئلا ينفعهم ومصالحهم أما هو فهو غني لا تعود عليه طاعات عباده بأسرها بنفع - وعبر جل شأنه عن الترك بالكفر تأكيذا لوجوبه وتشديدا على تاركه وفيه من الدلالة على مقت تارك الحج مع الاستطاعة وخذلانه وبعده من الله سبحانه وتعالى ما يتعاطفه سامعه ويرجف به قلبه جعلنا الله ممن اتبع طاعته ولازم كتابه وسنته آمين

(وقال جل ثناؤه في الترخيص لمن حج في التجارة وبيان أعظم أركان الحج وهو الوقوف بعرفة والحج على النامية والتكبير عند المشعر الحرام وبيان ما يعمل بعد انقضاء أعمال الحج)

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ١٩٨ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ١٩٩ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ٢٠٠

البقرة ٢٩١

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ
حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ

((ما ترشد اليه هذه الآيات الكريمات من الاحكام))

ترشد هذه الآيات الى أمور (الأول) الترخيص لمن حج في التجارة ونحوها من الاعمال التي يتوصل الي بها الى الرزق وهذا هو المشار اليه بقوله تعالى (ليس عليكم جناح أن تنبغوا فضلا من ربكم) أي لا اثم عليكم في أن تنبغوا وتطلبوا في مواسم الحج رزقا ونفعا وهو الربح في التجارة مع سفركم لتأدية ما اقترضه عليكم من الحج وذلك من قبيل الرخصة لا غير وتركه أولى لأنه تعالى يقول (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) والاخلاص لا يتحقق الا اذا لم يكن حامل على الفعل سوى كونه عبادة (الأمر الثاني) الافاضة من عرفات الى المزدلفة والحج على ذكر الله بها عند المشعر الحرام أي مما يليه ويقرب منه فإنه أفضل والا فزدلفة كلها موقف الا وادي محسر والمشعر الحرام جبل بالمزدلفة يسمى جبل قُزَح وهو قوله تعالى (فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام) أي فاذا دفعتم أنفسكم من عرفات الى المزدلفة فهناك اذكروا الله عند المشعر الحرام بالتلبية والتكبير وصلاة المغرب مع العشاء جمعا فانها لم تصل بعرفات واستدل بالآية على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لا تكون الا بعده ولا يتم الحج الا به على قول بعض الأئمة ووقت الافاضة من عرفات بعد غروب الشمس فاذا غربت دفع منها وأخر صلاة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء بمزدلفة

ولما بين جل شأنه أحكام الحج ومناسكه أخذ ينهمهم على ما أنعم به عليهم من الهداية والبيان والارشاد الى مشاعر الحج فقال (واذكروه كما هذاكم وان كنتم من قبله لمن الضالين) أي واذكروه تعالى لهدايته اياكم وان

كنتم من قبل هذا الهدى لمن الضالين الجاهلين الذين لا يعرفون كيف
يذكرونه تعالى ويعبدونه

(الأمر الثالث) الحث على الافاضة من المزدلفة الى منى كما فعل سيدنا
ابراهيم عليه السلام والى ذاك الاشارة بقوله تعالى (ثم أفيضوا من
حيث أفاض الناس) أى ثم بعد وقوفكم بالمزدلفة أفيضوا منها الى
منى من حيث أفاض الناس والمراد بهم ابراهيم عليه السلام وقوله
تعالى (واستغفروا الله ان الله غفور رحيم) أى واستغفروا الله من
مخالفتكم فى الموقف ولجميع ذنوبكم ان الله غفور رحيم أى سائر ذنوب
عباده برحمته

(الأمر الرابع) ما يعمل الحاج بعد فراغه من أعمال الحج وهذا ما أفاده
الله تعالى بقوله (فاذا قضيت مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم
أو أشد ذكرا) وذلك لان العرب كانوا اذا فرغوا من حجهم وقفوا بمنى
وذكروا مفاخر آبائهم ومناقب أسلافهم بالمنظوم والمنثور من الكلام
الفصيح فأبدلهم الله مكان ذلك أن يذكروه جل شأنه بل يكون ذكره
أشد ولما أرشد جل ذكره عباده الى ذكره وكان الدعاء نوعا من أنواع
الذكر جعل من يدعوه قسمين أحدهما يطلب حظ الدنيا ولا يلتفت
لحظ الآخرة وهو المراد بقوله تعالى (فن الناس من يقول ربنا آتنا فى
الدنيا وماله فى الآخرة من خلاق) أى من نصيب والثانى يطالب
الأمرين جميعا وهو المراد بقوله تعالى (ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا
حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) وقد جمعت هذه الدعوة كل
خير فى الدنيا والآخرة وصرفت كل شر كما لا يخفى والله تعالى مؤت كلا
حسب مؤله والله ولى التوفيق

(وقال تبارك اسمه فى بيان الركن الثانى من أركان الحج

وهو السعى بين الصفا والمروة)

سورة
البقرة

آية
١٥٨

إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حُجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ
اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ

(ما تشير اليه هذه الآية الكريمة)

تشير هذه الآية الكريمة الى فرضية السعي بين الصفا والمروة لمن حج أو
اعتمر أى أراد فعل العمرة والحج والصفا والمروة جبلان بمكة معروفان
ووجه أخذ فرضية السعي بينهما من الآية أن الله تعالى جعلهما من
شعائره أى من أعلام مناسكه ومنتعبداته ولا يكونان كذلك الا اذا كان
السعي بينهما فرضا ولما ثبت من قوله عليه الصلاة والسلام (سعدوا فان
الله كتب عليكم السعي) وهو مذهب مالك والشافعي وأحمد وقال
أبو حنيفة انه واجب ينجز بالدم ولكل أدلة تذكر في كتب الفروع
والأصل فيه سعي هاجر زوج سيدنا ابراهيم عليه السلام وتردادهما بينهما
في طلب الماء لولدها اسمعيل عليه السلام لما نفذ مأوئهما وزادهما حين
تركهما ابراهيم عليه السلام هنالك وليس عندهما أحد من الناس فلما
خافت على ولدها الضيعة حين ذلك قامت تطالب الغوث من الله عز
وجل فلم تزل تتردد في هذه البقعة بين الصفا والمروة متدالة خائفة خائفة
وجلة مضطرة فقيرة الى الله تعالى حتى كشف الله كربتها وأنس غربتها
وفرج شدتها وأنبع لها زهزم بمنزلة زاد وماء ولم تزل كذلك الى اليوم
فالساعي بينهما ينبغي له أن يستحضر فقره وذله وحاجته الى الله في هداية
قلبه وصلاح حاله وغفران ذنوبه وأن يلجئ الى الله عز وجل في
تطهيره من النقائص والعيوب وأن يهديه الى الصراط المستقيم وأن
يثبته عليه الى مماته وأن يحوله من حاله الذي هو عليه من الذنوب

والمعاصي الى حال الكمال والغفران والسيئات والاستقامة كما فعل بهاجر
عليها السلام

وحيث كان الصفا والمروة من شعائر الله وأعلام دينه فلا اثم على من
أراد الحج أو العمرة أن يطوف بهما بان يسبح بينهما وقوله تعالى
(ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم) أى من فعل خيرا ومنه السعي
المذكور على سبيل أنه طاعة لله تعالى يتقرب بها اليه فان الله شاكر
له ومثيبه على القليل بالكثير عليم بقدر الجزاء فلا يخس أحدا ثوابه
ولا يظلم مثقال ذرة وان تلك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما
وقيل في معنى التطوع غير ذلك والله أعلم

(وقال جل شأنه في وجوب اتمام الحج والعمرة وبيان أنواع الدم الواجب
في النسك سواء كان ذلك بسبب منع العدو له من الوصول الى البيت أو
بسبب الحلق لمرض أو أذى في رأسه يضطره الى الحلق أو بسبب المتعة)

وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ
الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ
كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِذِيهِ مِنْ
صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى
الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ
أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ
لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ
وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

البقرة ١٩٥

(بيان معنى هذه الآية الكريمة وما اشتملت عليه من الأحكام)

يقول الله تعالى (وأقموا الحج والعمرة لله) أى ائتوا بهما تامين كاملين بمناكهما وشرائطهما لوجه الله تعالى من غير توان ولا نقصان يقع منكم فيهما فإن أحصرتم أى منعتم من اتمامهما بأن حال العدو بينكم وبين الوصول الى البيت فعليكم ما استيسر من الهدى من بيع أو بقر أو شاة كما حصل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يوم الخديبية حين حال المشركون بينهم وبين الوصول الى البيت فأمر الله لهم رخصة أن يذبحوا ما معهم من الهدى وأن يحلقوا رؤسهم وأن يتحللوا من احرامهم وهذا معنى قوله تعالى (فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى) وبعد أن أمر جل شأنه باتمام الحج والعمرة وبين حكم من منعه العدو من الوصول الى البيت أخذيين حكم من أمن من العدو ووصل الى البيت فقال (ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله) أى لا يصح لكم فى حالة الأمن والوصول الى البيت أن تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله ومكانه الذى يجب نحره فيه وهذا لمن لم يكن به مرض يضطره الى الخلق ومن لم يكن برأسه أذى بسبب ما فيه من القمل والصداع والجراح أما من كان به ذلك فيخلق وعليه فدية وهى أن يطعم ستة مساكين أو يهدى شاة أو يصوم ثلاثة أيام وتعيين الفدية بذلك هو ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن عجرة وهو محرم وقد رآه يتساقط قله على وجهه فقال أتؤذيك هوام رأسك قال نعم فأمره أن يخلق ويطعم ستة مساكين أو يهدى شاة أو يصوم ثلاثة أيام وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) أى فمن كان منكم مريضا مريضا يلجئه الى الخلق أو كان به أذى من رأسه وهو القمل والصداع والجراح ونحوها فعليه إذا خلق فدية من صيام أو صدقة أو نسك

وبعد أن بين الله تعالى نوعين من أنواع الدم الواجب وهما الدم الذي
وجب بسبب حصر العدو والدم الذي وجب بسبب الحلق أخذيين ثالثا
وهو الدم الذي وجب بسبب المتعة فقال (فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة
إلى الحج فما استيسر من الهدى) يعنى إذا أمنتم من العدو ووصلتم
إلى البيت فمن تمتع منكم فى أثناء ذلك بإحرامه بالعمرة واستباح مالا
يحصل للمحرم استباحته وبقي على هذا التمتع إلى الحج أى إلى أن
أحرم به فعليه أن يذبح فى تطير تمتعه هذا ما قدر عليه من الهدى وأقله
شاة (فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتكم تلك
عشرة كاملة) أى فمن لم يجد الهدى أما لعدم المال أو لعدم الحيوان
فعليه صيام ثلاثة أيام فى وقت الحج وهو أشهره ما بين الإحرامين أحرام
الحج وأحرام العمرة وسبعة إذا رجعتكم أى إلى أوطانكم وأهليكم تلك
أى الثلاثة والسبعة عشرة كاملة وإنما قال ذلك مع ضرورة علم ذلك
ليبدل على انقضاء العدد لئلا يتوهم متوهم أنه قد بقي منه شئ بعد
ذكر السبعة وقيل تأكيد كما تقول العرب رأيت بعينى وسمعت بأذنى
وكتبت بيدي وقال الله تعالى (ولا طائر يطير بجناحيه) ومعلوم
أنه لا يطير إلا بهما وقال (ولا تخطه بيمينك) ومعلوم أن الخط لا يكون إلا بها
ومعنى كاملة الأمر بكاملها وانعامها وقد بين الله أن هذا التمتع
خاص لا عام فقال (ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام)
أى ذلك التمتع لمن لم يكن أهله من أهل الحرم بأن كانوا منه على مسافة
لا تقصر فيها الصلاة لأن من كان كذلك بعد حاضرا لا مسافرا أى لا غيرهم
(واتقوا الله) أى فيما أمركم به ونهاكم عنه (واعلموا أن الله شديد
العقاب) أى لمن خالف أمره وتهاون بحقوقه وارتكب مناهيه
وقد بقي من أنواع الدم رابع وهو المذكور فى قوله تعالى فى سورة
المائدة (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) وسيأتى الكلام عليه

سورة	آية	
البقرة	١٩٦	(وقال جل ثناؤه في بيان أشهر الحج ومخطوراتها) أَحْجُ أَشْهُرَ مَعْلُومَاتٍ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزُدُّوا قَانَ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَأَتَّقُوا يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ
		(ما تفيد هذه الآية الكريمة)
		تفيد هذه الآية الكريمة أمرين (الاول) بيان وقت الحج وهو ما أفاده الله تعالى بقوله (الحج أشهر معلومات) أى وقت عمله أشهر معلومات وهى شوال وذو القعدة وعشر ذى الحجة وصح اطلاق الجمع على شهرين وبعض الثالث للتغليب كما تقول العرب رأيتك العام ورأيتك اليوم وانما وقع ذلك فى بعض العام واليوم ومن هذا التوقيت يؤخذ عدم جواز الاحرام بالحج قبل أشهر الحج فن أحرم به قبلها لم يجزئته كن دخيل فى صلاة قبل وقتها (الثانى) النهى عن الرفث والفسوق والجidal وهو ما أفاده الله تعالى بقوله (فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج) أى من ألزم نفسه وأوجب عليها الحج فى هذه الأشهر بالشروع فيه بالنية قصدا باطنا وبالاحرام فعلا ظاهرا وبالتلبية نطقا مسموعا - فليجتنب الرفث وهو الجماع كما قال تعالى (أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم) وكذا دواعيه من المباشرة والتقبيل ونحو ذلك وكذلك التكلم به بحضور النساء وكذا الفسوق وهو جميع المعاصى سواء كانت مما نهى عنه فى الأحرام من قتل الصيد وحلق الشعر وقلم

الاطفار وغيرها وكذا الجدال وهو المراء والخصومة بأن تمارى صاحبك حتى تغضبه وتخصيص النهى عن الفسوق والمراء بالحب مع أن النهى عنهما عام في جميع الاوقات والازمان لانهما في الحب أسمع وأقطع منهما في غيره ولذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه)

وبعد أن نهى جل شأنه عن اتيان القبيح قولاً وفعلًا حث على فعل الجيـل وأخبر أنه عالم به وسيجزي عليه أو فر الجزاء يوم القيامة فقال (وماتفعلا من خير يعلمه الله) وبعد النهى عن القبيح والحث على الجيـل أخذ في الامر باتخاذ الزاد فقال (وتزودوا) أى اتخذوا من الزاد ما يبلغكم لسفركم وذلك لان بعض العرب كانوا يـقـولون كيف نخرج بيت ربنا ولا يطعمنا فكانوا يحجون بالزاد ويقـولون نحن متوكلون على الله سبحانه ثم يقدمون فيسألون الناس ويكونون كالأعمى يمشي في الدار مع أهله ذلك وأمرهم بأخذ الزاد معهم ولما أمرهم بالزاد للسفر في الدنيا أرشدهم الى زاد الآخرة وهو استحباب التقوى اليها فقال (فان خير الزاد التقوى) أى ومنها أن لا يكون الحاج عالة على غيره وبعد أن عمم الامر بالتقوى لسائر العباد عمد الى تخصيص ذوى العقول والافهام منهم فقال (واتقون يا أولى الالباب) لانهم هم القابلون لاوامر الله الناهضون بتنفيذها

وقال جل ذكره في بيان بعض محظورات الحب وبيان كفارته مع زيادة التغليظ والتشديد على مرتكبيه بعد علمه أن الله تعالى نهى عنه.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بَشَيٍّ مِّنَ الصِّدْقِ تَنَالُهُ
أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَن
اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ عَذَابُ أَلِيمٍ ٩٨ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ
مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ
مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ
عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا
سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ

﴿ ما نفيد هاتان الآيتان الكرمتان ﴾

نفيد هاتان الآيتان الكرمتان حرمة الصيد في الحرم سواء كان
الصيد بالأيدي أو بالرمح وقد اختبر الله المؤمنين بذلك لتظهر طاعة المطيع
منهم من غيره وهذا ما أشار له الله تعالى بقوله (يا أيها الذين آمنوا
ليعلمونكم الله بشئ من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه
بالغيب) أي يا أيها الذين آمنوا والله ليعلمكم الله معاملة من يختبركم ليعرف
حالكم بشئ من مصيد البر لافرق في ذلك بين صغاره التي يمكن صيدها
بالأيدي لعدم قدورها على الفرار وبين كباره التي تطيق الفرار فلا يمكن
صيدها إلا بالرمح وذلك لتمييز من يخافه منكم بالغيب من لا يخافه
وبعد أن بين جل شأنه حرمة الصيد في الحرم وأن ذلك ابتلاء منه تعالى
بين أن من يجترئ على مخالفة أمر الله تعالى ويصطاد في الحرم له
عذاب أليم فقال (فن اعتمد بعد ذلك فله عذاب أليم) أي فن تجاوز
حد الله تعالى وتعرض للصيد في الحرم بعد ما بين الله أنه حرام فله
عذاب أليم لان التعرض للصيد في الحرم بعد اعلام الله وانذره مكابرة
محضّة وعدم مبالاة بتدبير الله تعالى وخروج عن طاعته وانخلاع عن

خوفه وخشيته بالسكية ومن كان كذلك فهو جدير بعقوبة الله تعالى وحلول عذابه الاليم به

وبعد هذا وذلك فقد نص جل شأنه على حرمة قتل الصيد في حال الاحرام ونهى عن تعاطيه فقال (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) لا فرق في ذلك بين مايؤكل وما لا يؤكل ولا يستثنى من ذلك الاما ثبت في الصحيحين من قوله صلى الله عليه وسلم (خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور) وألحق بعض العلماء بالكلب العقور الذئب والسبع والثمر والفهد لأنها أشد ضررا منه

ثم بين جل شأنه ما يلزم مرتكب القتل من الفدية فقال (ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثله ماقتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما) يعنى أن من قصد قتل الصيد وهو محرم وقتله فعليه مثله من الحيوان الانسى كالنعامة مثلا والغزالة وبقرة الوحش ففي الأولى بدنة وفي الثانية عنز وفي الثالثة بقرة انسية وهكذا لوجود المثلية في كل والمماثلة المعتبرة المماثلة في الخلقة لافى القيمة أما اذا لم يكن مثليا فجزاؤه قيمته وقد بينت السنة أن العمد ليس بشرط بل المخطئ والناسى كذلك لان قتل الصيد اتلاف والاتلاف مضمون في العمد والنسيان والخطا غير أن المتعمد ملوم والمخطئ غير ملوم ويقدر المثلية في المثل والقيمة في غيره عدلان من المسلمين وبعد حكمهما به يفعل به مايفعل بالهدى من الارسال الى مكة وايصاله الى الحرم ليمذبح هنالك ويتصدق به على مساكينه وان تعسر عليه وجود مثله أو قيمته فعليه أن يطعم مساكين مايساوى قيمة الجزاء لكل مسكين مد فان لم يجد فعليه عدل ذلك صياما أى قدره أى فعليه أن يصوم عن اطعام كل مسكين يوما وقد حكم الله عليه بذلك (ليذوق وبال أمره) أى ليدرك مشقة سوء عاقبته بما انتهكه من حرمان الله واجترأ

آية	سورة	على الصيد بعد ما نهى عنه وقوله تعالى (عفا الله عما سلف) يعني في جاهلييتكم من قتلتكم للصيد فلم يؤخذكم به (ومن عاد) أى منكم الى ما نهى عنه من قتل الصيد مرة ثانية (فميتهم الله منه) في الآخرة فيعذبه بذنبه (والله عزيز ذو انتقام) ممن عصاه وجاوز حدوده وخالف أمره
		(وقال تبارك اسمه في بيان فضل الحج بما اشقل عليه من الفوائد والمنافع وذكر الله تعالى واطعام الفقراء والمساكين وبيان طواف الزيادة وهو أحد أركان الحج وآخر أعماله)
الحج	٢٧	وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ^{٢٨} لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ ^{٢٩} ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ
		(ما تشير اليه هذه الآيات الكريمات) تشير الى بيان فضل الحج وعظم مكانته عند الله تعالى وشدة رعايته له وعنايته به حيث أمر نبيه ابراهيم عليه السلام بعد فراغه من بناء البيت أن ينادى في الناس ويدعوهم الى حجه ووعد به بأنه ان دعاهم اليه أتوه مشاة وركبانا من سائر بقاع الارض وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل

فج عميق) أى ناد يا ابراهيم فى الناس داعيهم الى الحج الى هذا البيت الذى أمرناك ببنائه يأتوك رجالا أى ماشين على أرجلهم وراكبين على كل بعير ضامر مهزول بما انتابه من وعشاء السفر من كل فج عميق أى طريق بعيد

ولما أمر جل شأنه نبيه ابراهيم عليه السلام أن يدعو الناس الى حج البيت أشار الى أن ذلك ليس بالعبث وانما هو لأمرين الاول ليشهدوا فيه منافع لهم والثانى أن يذكروا الله فى أيام النحر فقال فى الامر الاول (ليشهدوا منافع لهم) أى ليحضروا منافع لهم وهى أعم من أن تكون دنيوية أو أخروية فالأخروية هى ما فيه من الاذكار والصلوات والتسبيحات ورضوان الله تعالى ورفعة شأن الاسلام باجتماع أهله من سائر النواحي والاقطار فى بقعة واحدة ليظهر دين الله فوق الاديان كلها وتظهر عزة المسلمين وعسائتهم وشوكتهم وقوتهم ومنعتهم الى غير ذلك والدينية هى ما فيه من التعارف والتآلف والتوافق بين الممالك العظيمة والاختلاط والارتباط بين الأمم الاسلامية الكبيرة وما يصيبون فيه من لحوم البدن والذبايح والتجارات الى غير ذلك من المنافع والفوائد التى سبقت الإشارة الى بعض منها فى الكلام على الحج

وقال فى الامر الثانى (ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير) أى وليذكروا اسم الله على هداياهم وضيحاياهم التى يذبحونها فى أيام معلومات وهى أيام النحر اياً كانوا منها ويطعموا البائس الذى به البؤس من شدة الفقر

ثم أمر جل شأنه بالحج بعد الاتيان بمناسك الحج وأعماله وخروجهم من الاحرام أن يزيلوا ما عليهم من الاوساخ والادرن ويوفوا بما نذروه من أعمال البر والخير ان كانوا نذروا شيئاً ثم بعد ذلك كله يطوفون بالبيت طواف الافاضة وهو طواف الزيارة الذى هو ركن من أركان الحج وبه تمام التحلل ويكون هذا الطواف يوم النحر فقال (ثم ليقتضوا تقفهم)

أى يزبوا وسخّهم (وايموفوا نذورهم وايطوفوا بالبيت العتيق) والله ورسوله أعلم
وهذا آخر القسم الثانى من هذا السفر الجليل ولله الحمد والمنة
وبالله القسم الثالث فى الآداب ومكارم الاخلاق

القسم الثالث

فى

الاخلاق

ومكارم الاخلاق

اعلم أن من النفوس ما هو مستعد بفطرته الى الكمالات وبلوغ أعلى
الدرجات ومثل هذه يكفى فى استصلاح شأنها وتقويم ما اعوج منها
وزوال ما بها من الاعتلال ووقوفها عند حد الاعتدال تهذيبها وتكميلها
بما يثبت فيها من الاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة - ومنها ما هو
مستعد بفطرته للردائل الدنية والاخلاق البهيمية ومثل هذه مع
نبوها عن التهذيب وعدم قبولها للكمالات لا يكفى فى استصلاحها مجرد
الترغيب والترهيب وبث الاخلاق الفاضلة فيها لعدم قبولها ذلك -
لذلك شرع الشارع الحكيم وهو الله جل شأنه الاحكام الشرعية
حسب استعداد تلك النفوس بفعل منها ما به ترتقى النفوس وتمتدح
الاخلاق وتكمل العقول وذلك مثل الصلاة والصوم والزكاة والحج
وسائر العبادات كما سبق لك بيانه والاخلاق الفاضلة مثل الصدق والامانة
والوفاء بالعهد وانجاز الوعد والشجاعة والصبر والاذعان للحق والحلم
والتواضع والمروءة وغير ذلك من الفضائل ومنها ما به يقصد حفظ الهيئة
الاجتماعية وحسن نظامها كالحدود والزواجر والعقوبات وذلك فى المعاصى
التي جمعت وجسوها من المفاسد بأن كانت فسادا فى الارض وكان لها
داعية فى النفوس لانزال تهيج فيها وقلمها يمكن الاقلاع عنها لتمكنها فى

النفوس وكثرة وقوعها فيما بين الناس فمثل هذه المعاصي لا يكفي في زجر النفوس عنها وتباعدتها منها مجرد التهيب بعذاب الآخرة والترغيب بثوابها والحث على الصفات الحميدة والاخلاق الجميلة بل لابد من ملامة شديدة وإيلاام شديد يكون من ورائه ردع تلك النفوس عما تريده وزجرها عما تشتهي (كالزنا) فان النفوس لها ميل شديد اليه ورغبة عظيمة فيه مع ما فيه من المفساد والمضار التي يجترها ازدحام كثيرين على واحدة ذلك الامر الذي ربما أفضى الى حصول مقاتلات ومحاربات بين الناس وبعضهم واختلاف الانساب والتعدى على حقوق الغير والانتهاك لحرمته وفي ذلك من المفساد ما لا يحصى (وكالسرقة) فان كثيرا من الناس لا يجد ما يكفيه من الكسب فيعمد الى السرقة ويكون حينذاك عرضة لان يقتل أو يقتل (وكقطع الطريق) فانه لا يستطيع المظلوم المنع عن نفسه وماله (وكشرب الخمر) فان لها شرها وفيها زوال للعقل الذي هو افضل نعمة على الانسان وبه صلاح معاده ومعاشه (وكالقذف) فان المقذوف يتأذى أذى شديدا ولا يقدر على دفع القاذف بالقتل ونحوه لانه ان قتل يقتل به وان ضرب يضرب به

فتل هذه الامور الخمسة مع شغف النفوس بها وضرورتها عليها وكثرة ضررها رأى الشارع الحكيم أنه لا يكفي في زجر النفوس عنها الا الايلاام الشديد والعذاب الاليم فشرع لكل منها عذابا حسب اختلافها في المفسدة قوة وضعفا والغرض الذي نتوخاه الآن ونرجى اليه هو الامر الاول من هذين الامرين وهو ما به تنهذب النفوس وتشكمل العقول من الآداب الفاضلة والاخلاق السامية

ولما كان افضل الآداب آداب القرآن التي أدب الله بها نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وجعل لنا فيه الأسوة الحسنة وفيها العبرة المستحسنة كان ما نتوخى بيانه من الآداب هو ما في هذا الكتاب الكريم وما تجمل به من الآداب هذا السيد العظيم

تمهيد

اعلم أن ماسند كره من الآداب الشرعية والاخلاق الفاضلة الزكية هو الذى يجب الأخذ به وبه يبالغ الانسان كماله ويصل به الى ما فيه سعادته فى الدنيا والآخرة سواء وافقه عليه الناس أو لم يوافقوه ولا ينبغي أن يمنع عن المحافظة على تلك الآداب الشرعية استهزاء الناس به وعيهم له أو كون أحدهم على خلاف ما يتحلى به فانه اذا تأمل فى أحوال كل من خالف هذه الأصول الأدبية والآداب الشرعية يجدهم أشقياء تعماء وانهم بشقائهم واختلال أعمالهم وسوء تصرفهم سبب فى شقاء غيرهم أيضا - فعلى الانسان الذى يطبع على محبة الله ويحتمد فى اسعاد نفسه وغيره ورضا ربه أن يوفق بين أعماله وبين هذه الآداب الشريفة وان عارضه فى ذلك من حوله من العالم واليك هذه الآداب مبتدأة بأشرفها وهو

الادب مع الله عز وجل

هو نوعان (الاول) ما يستعمله ذوو الذوق السليم والقلب الحكيم فى مخاطباتهم مع الله عز وجل وعند نسبتهم الاشياء اليه فن ذلك قول الله تعالى حكاية عن سيدنا ابراهيم عليه السلام (الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقئنى واذا مرضت فهو يشفين) فتراه نسب الخلق والهداية والاطعام والسقيا اليه تعالى ونسب المرض الى نفسه فى قوله واذا مرضت فهو يشفين وكان مقتضى السياق أن يقول واذا مرضنى فينسب المرض الى الله تعالى كما نسب اليه غيره من الافعال مع اعتقاده بأن الكل منه وفى العدول عن ذلك من الادب ما لا يخفى ومن ذلك أيضا قوله تعالى حكاية عن مؤمنى الجن عند مبعث الرسول

صلى الله عليه وسلم ومنعهم من استراق السمع (وانا لاندري أشراريد
 بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رشدا) فتراهم عند اسناد الشربوا
 الفعل للجهول ولم يعينوا المرید له مع اعتقادهم بأن المرید له هو الله
 تعالى وعند اسناد الخير صرحوا بمریده فقالوا أم أراد بهم ربهم رشدا
 وفي ذلك أيضا من الادب مالا يخفى ومثل هذا النوع من الآداب كثير
 في القرآن فعليك بتتبعه فيه ان أردت استقصاءه والاستكمال منه
 (النوع الثاني) امثال أوامره جل شأنه واجتناب نواهيه ومراقبته
 في كل عمل من أعماله بل وفي سائر حرركاته وسكناته فان كان هذا العمل
 عمل طاعة كانت المراقبة باستحضار ذاته العلية وتمثيل عظمته تعالى
 بقلبه وانبعاث الخشية والخشوع من جميع جوارحه واطمئنان نفسه
 بالمشول بين يديه واستخلاص قلبه من جميع الشواغل الدنيوية وملاحظة
 أنه يراه في جميع حرركاته وسكناته وهو معنى الاحسان الذي ذكره
 صلى الله عليه وسلم في قوله (الاحسان أن تعبد الله كأنك
 تراه فان لم تكن تراه فانه يراك)

وان كان هذا العمل عمل معصية راقب أن عليه رقيبا مهيبا قريبا يعلم
 ما توسوس به نفسه ويخفيه صدره ويبصر ديب النمل في الليلة الظلماء
 ويسمع الهمس وما توسوس به النفوس في البيوت المغلقة الابواب فعند
 ذلك يخشع قلبه وتستكين جوارحه ويتمثل الخوف في قلبه فيجتنب
 القبيح بعد العزم عليه ويحجم عن المنكر بعد الوصول اليه وبذلك تتم له
 السعادة الحقيقية دنيوية وأخروية

وبجمع المراقبة بقسميها كلمة (التقوى) فانها اسم جامع لجميع أنواع البر
 وكافل لصاحبه كل خير ومبعد عنه كل شر ولذا أمر الله جل شأنه في
 القرآن الكريم بالحث عليها مبينا ما يترتب عليها من حميد المآب وجزيل
 الثواب ورفيع الدرجات وعظيم الخيرات في الجنات

سورة	آية	فقال
الحشر	١٨	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لَعَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمْ الْعَاسِقُونَ
		(ما ترشد اليه هاتان الآيتان الكریمتان)
		ترشد هاتان الآيتان الكریمتان الى ثلاثة أمور (الاول) الحث على التقوى وهي امتثال ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه وهو قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) (الثاني) الحث على العمل الصالح ومحاسبة الانسان نفسه قبل أن يحاسب والنظر فيما أدخره من الأعمال الصالحة ليوم مهاده وعرضه على ربه ومناقشته الحساب فيطالبها أولا بتصحيح الجواب عن جميع ما تسأل به طول نهاره وهكذا عن نظره بل عن خواطره وأفكاره وقيامه وقعوده وأكله وشربه ونومه حتى عن سكوته أنه لم سكت وعن سكونه لم سكن فاذا وجدها مع ذلك اقترفت ذنبا أوارتكبت تقصيرا في حق الله تعالى وجب عليه أن يعاقبها وعقوبتها إما أن تكون بأنه اذا أكل لقمة شهية بشهوة نفس عاقبها بالجوع واذا نظر بعينه الى محرم عاقبها بمنع النظر وهكذا يعاقب كل طرف من أطراف بدنه بمنعه عن شهواته واما أن يكون بتوبيخها الشديد أو باللوم عليها اللوم الصارم بأن يقول لها يا نفس أي شئ جرأتك على معصية الله ان كانت جرأتك على معصية الله لا اعتقادك أنه لا يراك فأعظم كفرتك وأشد جهالك وان كان مع

عليك باطلاعه عليك فما أشد وقاحتك وأقل حياءك يانفس لو واجهك
عبد من عبيدك بل أخ من اخوانك بما تكرهينه كيف يكون غضبك عليه
ومقتك له لاجرم أنك تعاقبينه أشد العقاب وتخافين أنك لو تجاوزت
عنه لجر ذلك الى مالا تحمد عاقبته فكيف مع ذلك تتعرضين لمقت الله
تعالى وغضبه وشديد عقابه فان كنت مغترة بكرم الله تعالى وفضله
واستغناؤه عن طاعتك وعبادتك فما بالك لا تعولين على كرم الله في مهمات
دنياك فاذا قصدك عدو فلم تستعطين الخيل في دفعه ولا تسكينه الى
كرم الله تعالى واذا أرهقت حاجة الى شهوة من شهوات الدنيا مما
لا ينقضى الا بالدينار والدرهم فما بالك تنزعين الروح في طلبها وتحصيلها
فلم لا تعولين على كرم الله تعالى حتى يدلك على كسز أو يستخرلك عبدا
من عبيده فيحمل اليك حاجتك من غير سعي منك ولا طلب أفتحسين
أن الله كريم في الآخرة دون الدنيا وهكذا من مثل هذه التوبيخات فان
حاسب نفسه وعاقبها بمثل هذه العقوبات عند وجود تفصيل منها تمت
له أسباب السعادة وكانت له الحسنى وزيادة أما اذا أهملها سهل عليه
مقارفة المعاصي وأنست بها نفسه وعسر عليه فطامها وكان ذلك سبب
هلاكه والى هذه المحاسبة بهذه الكيفية يشير الله تعالى بقوله (ولننظر
نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خير بما تعملون) أى حاسبوا
أنفسكم قبل أن تحاسبوا وانظروا ماذا ادخرتم لها من الاعمال الصالحة
يوم عرضكم على ربكم واعلموا أن الله تعالى عالم بجميع أحوالكم
وأعمالكم لا تخفى عليه منكم خافية فيجازيكم عليها ان خيرا فخير
وان شرا فشر

(الثالث) الحث على مداومة ذكر الله تعالى وهو قوله تعالى (ولا تكونوا
كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون) أى يا أيها
الذين آمنوا لا تنسوا ذكر الله تعالى فينسيكم العمل الصالح الذي ينفعكم
في معادكم فان الجزاء من جنس العمل ولهذا قال تعالى (أولئك هم

(الفاسفون) أى الخارجون عن طاعة الله تعالى الخاسرون يوم القيامة كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تلهيكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون)

(وقال جل شأنه فى الحث على التقوى وبين ما يترتب عليها من الفوز العظيم والتوفيق لصالح الأعمال وتكفير الذنوب والخطايا)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۚ
يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا

(معنى هاتين الآيتين الكريمتين والغرض المقصود منهما)

المقصود منهما حث المؤمنين على تقوى الله تعالى وأن يعبدوه عبادة من كانه يراه وأن يقولوا قولا سديدا أى مستقيما لا اعوجاج فيه ولا انحراف ووعدهم أنهم ان فعلوا ذلك أثابهم عليه أجرا عظيما ومنحهم من كرمه فضلا جزيلا وخيرا عيما وذلك بأن يصلح لهم أعمالهم أى يوفقهم للأعمال الصالحة وأن يغفر لهم الذنوب الماضية وما يقع منهم فى المستقبل بلهمهم التوبة منه

وبعد أن حث جل شأنه على التقوى وبين ما يترتب عليها من التوفيق لصالح الأعمال وتكفير الذنوب قال (ومن بطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) أى طفر بالخير طفرا عظيما سواء فى الدنيا أو فى الآخرة

(وقال جل وعز يحث على التقوى ويشير إلى أنها أعظم الحصون وأنفع الوقايات لصاحبها يوم زلزلة الساعة)

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ

يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ
كُلُّ ذَاتِ حَلٍ جَلَّهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ
بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ

(معنى هاتين الآيتين الكريمتين وما تشيران اليه)

يقول الله تعالى آمرا عباده بتقواه وخبراهم بما يستقبلونه من هول
يوم القيامة وزلازلها وأحوالها (يا أيها الناس اتقوا ربكم الآية) أى
يا أيها الناس احذروا عقاب ربكم بفعل ما أمركم به من الواجبات وترك
مأنها كم عنه من المحرمات لانكم ان فعلتم ذلك أمنتم من الفزع يوم
زلزلة الساعة أى اضطرابها الاضطراب الشديد فيحصل للنفس
فيه من الرعب والفزع ما لا يقدر قدره وهذا الذى أشار له الله
تعالى بقوله (ان زلزلة الساعة شئ عظيم) أى أمر عظيم وخطب جسيم
وبعد أن بين جل شأنه فظاعة هذا اليوم وعظم هوله أخذ يبين أحواله
وما يحصل فيه من نتائج تلك الأحوال فقال (يوم ترونها تذهل كل
مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى
وما هم بسكارى) أى وقت رؤيتكم لها تذهل كل مرضعة عن رضيعها
وتدهش عنه لهول ما ترى وتضع كل صاحبة حمل حملها قبل تمامه
لشدة الهول أيضا وترى الناس سكارى أى تظنهم كذلك لشدة ما همهم
من الامر الذى قد صاروا فيه فتراهم قد دهشت عقولهم وغابت أذهانهم
فمن رآهم ظن أنهم سكارى وما هم بسكارى فى الواقع ونفس الامر
ولما نفى سبحانه عنهم السكر أوضح السبب الذى من أجله شابهوا
السكارى فقال (ولكن عذاب الله شديد) أى فبسبب هذه الشدة
والهول العظيم طاشت عقولهم واضطربت أفهامهم وصاروا كالسكارى

سورة	آية	بجامع فقد التميز وصحة الادراك في كل والله ورسوله أعلم
		﴿ وقال تبارك اسمه في بيان أن التقوى تكون سببا في تكفير السيئات وغفران الذنوب وتنوير البصائر حتى يمكن صاحبها أن يفرق بين الحق والباطل ﴾
الانفال	٢٩	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ
		﴿ ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة ﴾ ترشد هذه الآية الكريمة الى أن اتقاء مخالفة أوامر الله تعالى واجتناب مناهيه سبب في رضا الله تعالى وجلب رضوانه ولا جرم أن من رضى الله عنهم رزقهم من ثبات القلوب وتنوير البصائر وحسن الهداية ما يفرقون به بين الحق والباطل عند الالتباس وكفر عنهم ذنوبهم بأن يحوها عنهم بالكيفية فلا يؤاخذهم عليها وغفرها بأن يسترها من الخلق وناهيك عن رزق رضوان الله تعالى ومنح المزيد من كرامته فانه يفوز بالسعادة الابدية ويعطى الفضل الجزيل الجسيم لانه جل شأنه صاحب الفضل العظيم
		﴿ وقال جل ثناؤه يأمر بالتقوى ويحث على طلب التقرب اليه بأنواع الطاعات مبيها ما يترتب على ذلك من الفلاح والسعادة ﴾
المائدة	٣٨	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

((ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة))

ترشد هذه الآية الكريمة الى الوجوه المستجمعة لانواع الأدب مع الله تعالى وهي ثلاثة الاول اجتناب محارمه تعالى وترك مناهيه وهذا هو المراد من قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) الثاني طلب التقرب اليه بجميع أنواع البر والخير والطاعات والعبادات وترك المعاصي وهذا هو المراد من قوله تعالى (وابتغوا اليه الوسيلة) الثالث مجاهدة النفس في سبيله تعالى وهو شرائعه التي شرعها وسنها لعباده وذلك بأن يروضها على فعل الخيرات وعمل الطاعات ويكبح زمامها عن الشهوات والمنهيات وقد وعد جل شأنه من تأدب معه بهذه الآداب فاجتناب محارمه وترك مناهيه وطلب التقرب اليه بالطاعات والعبادات وجاهد نفسه بكفها عن كل ما تشتهيه ومنعها عما تنبغيه بالفلاح والسعادة العظيمة الخالدة المستمرة وذلك بقوله (اعلمكم تفلكون)

((وقال جل ذكره في بيان أن طاعته تعالى وطاعة رسوله ومراقبته والخشية منه سبب الفلاح والفوز بالسعادة الابدية))

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ

((ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة))

ترشد الى أن طاعة الله تعالى ورسوله والخشية من الله تعالى والخوف منه فيما مضى من الذنوب واتقاءه بعدم وقوعها في المستقبل سبب الفوز والسعادة الابدية والامن من كل شر في الدنيا والآخرة لان من أطاع الله ورسوله واتبع ما أمرا به واجتنب ما نهى عنه وخشى الله تعالى وخاف عقابه وندم على ما فعله من الذنوب وراقب جانبه حتى لا يقع منه ذنب في

المستقبل أحبه الله كما قال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله) ومن أحبه الله منحه الفضل الجزيل والخير الجليل
وأعطاه من الرضوان والكرامة والخير العميم في دار النعيم جعلها الله
من لازم طاعته ومنح رضوانه وكرامته آمين

ومن تفحص الآيات القرآنية الآمرة بالتقوى والحلظة على امتثال أوامر
الله تعالى واجتناب محارمه مما فيه أكل الآداب وجدها كثيرة لا تكاد
نحصى فاكفينا منها هنا بالنزول القليل ليقاس الغائب على الشاهد ولان
ما ذكر فيه كفاية للمسترشد وإفادة للمستفيد والله ولي الرشد والتسيد

الادب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

اعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم من يجب احترامه وتبجيله
وتوقيره لانه صلى الله عليه وسلم هو السبب في هداية الخلق وارشادهم
الى سعادتهم الدنيوية والاخرية ورفعهم من حضيض الشقاوة الى أوج
السعادة واخراجهم من ظلمة الكفر الى نور الايمان مع مقاساة المشقات
والتساعب في ذلك وليس من العدل والمروءة أن يقابل صلى الله عليه
وسلم تجاه ذلك بغير كمال التبجيل وتعام الاحترام والتعظيم والادب معه
بكل وسائله سواء كان بالفعل أو بالقول

ولما كان علو مقامه صلى الله عليه وسلم وجايل مقداره بالمكانة التي
قلما يمكن لاحد أن يقوم بما يجب لها من الآداب بنفسه سن الله
سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين من الآداب ما به يعرفون كيف
يعاملونه صلى الله عليه وسلم ويتأدبون معه سواء كان ذلك من جهة
عدم فعل ما يكرهه بين يديه أو الاستعلاء عليه في كلام أو مشي
أو دخول بيته بغير اذنه أو غير ذلك أو من جهة طاعته وأزوم متابعتة
والنزول عنده بحكمه والرضا بقضائه أو غير ذلك

ومن ذلك يتنوع الادب معه صلى الله عليه وسلم الى نوعين

النوع الاول

(هو ما أفاده الله تعالى بقوله)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ^١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ
بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ
لَا تَشْعُرُونَ^٢ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ
اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ
مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ

(ما تشتمل عليه هذه الآيات التكريعات من صنوف الآداب
معه صلى الله عليه وسلم)

تشتمل هذه الآيات على صنوف الآداب التي أدب الله بها عباده المؤمنين
فيما يعاملون به نبيه صلى الله عليه وسلم من الاجلال والتعظيم والتبجيل
والتكريم سواء كانت هذه الآداب فعلية أو قولية
والى الاولى أشار الله تعالى بقوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ
اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) أى لا تسرعوا فى شئ من الاشياء
بين يديه أى قبله بل كونوا تبعاً له فى كل الامور ومن ذلك عدم الاسراع
فى الجواب عن مسألة جرت بين يديه وعدم الحكم الانبعا لسنقه صلى الله

عليه وسلم دون الرأى وهكذا من كل شئ ينافى احترامه صلى الله عليه وسلم وتعظيمه

وبعد أن نهى جل شأنه عن التقدم بين يدى الله ورسوله بشئ ينافى الأدب في حقه صلى الله عليه وسلم أمر بالتقوى ومراقبة جانب الله تعالى في كل شئ ومن ذلك الترك للتقدم المنهى عنه فيما تقدم معلال ذلك بأنه سبحانه سميع لاقوالنا علیم بنياتنا لا تخفى عليه من ذلك خافية فقال (واتقوا الله ان الله سميع علیم) أى ومن كان كذلك فن حقه أن يتقى ويراقب

والى الثانية وهى الآداب القولية اشار الله تعالى بقوله (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبی ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) أى لا ترفعوا أصواتكم عند محادثتكم له صلى الله عليه وسلم ومكالتكم معه الى حد يكون فوق ما يبلغه صوته صلى الله عليه وسلم لان ذلك يدل على قلة الاحتشام وترك الاحترام له صلى الله عليه وسلم لأن خفض الصوت وعدم رفعه من لوازم التعظيم والتوقير عادة وليس المراد ما يقصده الشخص من ذلك على سبيل الاستخفاف فانه كفر والعياذ بالله وانما المراد أن يكون الصوت في نفسه غير مناسب لما يقع في مواقف من يجب تعظيمه وتوقيره ولا تجهروا له بالقول كما يجهر أحدكم لاختيه اذا كلمه لان ذلك انما يكون بين الاكفاء الذين ليس لبعضهم على بعض منزلة توجب احترامه وتوقيره مع ما فيه من الجفاء في مخاطبته صلى الله عليه وسلم وعدم الادب معه ثم علل سبحانه ما ذكره بقوله (أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) أى انما نهيناكم عن رفع الصوت عنده والجهر له بالقول كما يجهر أحدكم لاختيه اذا كلمه خشية أن يغضب من ذلك فيغضب الله تعالى لغضبه فيحبط عمل من أغضبه وهو لا يشعر ولا يدري كما جاء في الصحيح (ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقى لها بالايكذب له

بها الجنة وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالايهوى
بها في النار أبعد ما بين السماء والأرض)

ثم نذب الله تعالى الى خفض الصوت وحث عليه ورغب فيه فقال (ان
الذين يفضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم
للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم) أى ان الذين يخفضون أصواتهم عند
رسول الله اجلالا له وتعظيمها أولئك الذين أخلص الله قلوبهم للتقوى
وجعلها لها أهلا ومحلا وكان جزاؤهم لذلك مغفرة وأجر عظيم جعلنا
الله منهم عنه وكرمه آمين

(وقال جل ثناؤه في تعليم عباده المؤمنين كيف يتأدبون مع رسوله صلى
الله عليه وسلم لاسيما اذا وجدوا معه في المجتمعات العمومية)

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا
مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ
يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا
اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ
وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

النور ٦٢

(ما تشير إليه هذه الآية الكريمة)

تشير هذه الآية الكريمة الى ما أرشد الله اليه عباده المؤمنين من
الآداب نحو الرسول عليه الصلاة والسلام في حال ما اذا كانوا مجتمعين
معه على أمر مهم يجب اجتماعهم في شأنه كالجمعة والجماعة والعيد والجهاد
والتشاور في أمر وغير ذلك من الامور الداعية الى الاجتماع لغرض من
الاغراض وذلك بانهم لا يتفرقون عنه صلى الله عليه وسلم ولا ينصرفون

عاجتهموا له لعروض عذر لهم حتى يستأذنوه في الذهاب فيأذن لهم به فان هم خالفوا ذلك وتسللوا من عنده خفية واحدا بعد واحد كان ذلك علامة على نفاقهم وعدم ثبات ايمانهم لأن الخروج من مجلسه صلى الله عليه وسلم بغير اذنه من أمارات عدم الاكتران به وعدم مكانته في قلوبهم وعدم رغبتهم فيما جاء به واجتمعوا لاجله وذلك من أعظم الجنايات وأكبرها ولذا جعل الله جل شأنه استئذانه صلى الله عليه وسلم عند ارادة الانصراف من مجلسه من علامات كمال الايمان في قوله (ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) أى ومن لم يستأذن عند ارادة الانصراف فليس بكامل الايمان

ومن الآية الكريمة يؤخذ أدب المرؤس مع رئيسه وأدب المريد مع أستاذه وأدب المتعلم مع معلمه وأدب المصلين مع امامهم وأدب الرعية مع راعيهم فان مراعاة الادب معهم واعتبار حرمتهم من الواجبات فلا يبرمون أمرا دونهم ولا يرسمون لهم خطة الا تتبعوها ولا يأمرؤنهم بأمر الا يادروا بتنفيذه ولا ينصرفون من مجلسهم الا بعد استئذانهم وبالجملة يفعلون كل ما فيه تجميلهم وتعظيمهم واحترامهم ويتركون كل ما فيه تحقيرهم واهانتهم

وبعد أن بين جل شأنه كيف يعاملونه صلى الله عليه وسلم ويتأدبون معه عند ارادة الانصراف من مجلسه أمره عليه الصلاة والسلام أن يأخذهم باليمين ويعاملهم بالرفق ويصانعهم بكل ما فيه رضا نفوسهم وجلب محبتهم له مما يكون داعية الألفة والتوادد فاذا استأذنه أحد منهم أن يخرج من المجلس لعروض عذر له أذن له ان شاء ومنعه ان شاء حسبما تقتضيه المصلحة التي يراها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا معنى قوله تعالى له صلى الله عليه وسلم (فاذا استأذوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم) أى فاذا طلبوا منك الاذن في أن يخرجوا من مجلس الاجتماع فأنت مخير بين أن تأذن لهم

أولا تأذن وفي هذا التفويض له صلى الله عليه وسلم من رفع شأنه وعلو منزلته عند الله تعالى مالا يخفى ولما كان الاستئذان وان كان لعذر مسوغ لا يخلو من شائبة تقديم أمر الدنيا على أمر الآخرة وهو اغتنام مجلسه صلى الله عليه وسلم أمره أن يستغفروا لهم معللا ذلك بقوله (ان الله غفور رحيم) أى كثر المغفرة لفرطات عباده والرحمة بالناسير عليهم بالغ فيهما الى الغاية التى ليس وراءها غاية

وفي الآية الكريمة من المبالغة في الحفاوة به صلى الله عليه وسلم مالا يخفى حيث جعل سبحانه الاستئذان للذهاب عنه ذنبا محتاجا للاستغفار فضلا عن الذهاب بدون اذن ورتب الاذن منه على الاستئذان لبعض شأنهم لاعلى الاستئذان مطلقا ولا على الاستئذان لأى أمر مهما كان أو غير مهم ومع ذلك فقد علق الاذن على المشيئة وليس ذلك بالغريب فلرسول الله صلى الله عليه وسلم عند ربه مكانة دونها كل مكانة والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم

(وقال تعالى فى النهى عن الدخول فى بيوته صلى الله عليه وسلم بغير اذنه وبدون دعوته والمكث فيها بعد الاطعام وتكليم أزواجه صلى الله عليه وسلم بغير حجاب وتزوجهن بعد وفاته صلى الله عليه وسلم)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاطِرٍ إِنَّا هُوَ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ مَحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ

ذَلِكَ أَطْهَرُ لِقَالِ بَعْضِكُمْ وَقِيلَ لِبَعْضٍ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا
رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ
ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا

(مانفيدة هذه الآية الكريمة وما تشتمل عليه من صنوف الآداب
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم)

تفيد هذه الآية الكريمة وجوب احترامه صلى الله عليه وسلم وتوقيره
وتعظيمه وتبجيله بما اشتملت عليه من الأحكام والآداب الشرعية التي أدب
الله بها عباده المؤمنين التي يجب عليهم رعايتها بالنسبة لمقامه صلى الله
عليه وسلم وتشتمل على أربعة آداب

(الاول) عدم دخول بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بإذنه
فإنها مظنة عدم التحفظ على ما يجب التحفظ عليه في غيرها ففي الدخول
فيها بغير إذن منه صلى الله عليه وسلم اطلاع على عورات منازل وعدم
رعاية حقوق أزواجه صلى الله عليه وسلم والتجهم عليهن في بيوتهن
وربما كانت احداهن مكشوفة بعض الاعضاء وذلك مما تأباه النفوس
الأنسية ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره ذلك ويتأذى منه
كثيرا ويمكن أن يكره أن ينهاتهم عنه من شدة حيائه كما قال تعالى (إن
ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق) وما زالوا
كذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يكره منهم ذلك حتى أنزل الله (يا أيها
الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لَكُمْ إلى طعام غيرناظرين
إنه ولكن إذا دعيتُم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث)
فصاروا لا يدخلون بعد ذلك إلا بإذنه وبدعوته أي يأيها الذين آمنوا
لا تدخلوا بيوت النبي إلا بإذن منه ومدعوقين إلى طعام حالة كونكم

سورة	آية
	غير منتظرين ومترقبين إنا أي نُضججه واستواءه فان ترقب ذلك لا يقع الا من سفلة الناس وأدنيائهم
	وفي الآية دليل على حرمة التطفل وهو أن يتربص الشخص وليمة أو يتجسس وقت أكل فلان من الناس ويتوجه اليه في حينه فان ذلك مع ما فيه من خسة النفس ودناءتها وسوء تربيته صاحبها واتصافه بالشره والجشع لا بد وأن يلحق صاحبها الذل والهوان لانه ربما طرده صاحب المنزل وألحق به من الهوان والتقصير والتوبيخ ما لا يرضى به الا أخس الناس نفسا وأسقطهم هروءة وأحطهم منزلة (الادب الثاني) أنه اذا دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى طعام فعليهم أن يبادروا الى اجابته ويدخلوا عليه ولكن بعد الاذن لهم به لان مجرد الدعوة لا يكون اذنا كافيا في الدخول وعليهم بعد ذلك اذا قضوا غرضهم من الاكل والشرب أن لا يشقوا بمكثهم بعد الاكل يتحدثون ويتسامرون فان ذلك مع ما فيه من التضيق على أهل بيته وعدم تفرغهم لأعمالهم فيه أنه ربما كان صلى الله عليه وسلم مضطرا الى الخروج الى مهم ويخشى اذا مكث معهم أن تفوت منفعة وتضيع فائدته واذا خرج وتركهم في المنزل يخشى أن يكون في ذلك خطأ من قدرهم واهانة لهم وأمرهم بالخروج بلطف فالواجب عليهم لذلك أن يكفوه مؤنة ذلك كله ولا يكفوه فوق طاقتهم وهذا ما لم يكن مكثهم بعد الاكل لهم آخر يدعو الى ذلك فانه لا بأس به حينئذ وهذا الذي أفاده الله تعالى بقوله (ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طهت فانتشروا ولا مستأنسين لحديث) أي لا يسوغ لكم الدخول بغير دعوة ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا دخلتم وأكلتم فمفرقوا ولا تأنس ببعضكم لبعض لاجل حديث يحذره ثم بين جل شأنه علة النهي عن المكث بعد الاكل بقوله (ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق)

(الآدب الثالث) عدم النظرة الى أزواجه صلى الله عليه وسلم فاذا اضطر الى سؤالهن عن حاجة يريد تناولها منهن فلا ينظر اليهن ولا يسألهن الا من وراء حجاب وستر فان ذلك أظهر لقلوبه وقلوبهن من الريبة وخواطر السوء التي تعرض للرجال في أمر النساء والنساء في أمر الرجال وأبعد للتممة وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (واذا سألتوهن متاعا فاسألهن من وراء حجاب ذلكم أظهر لقلوبكم وقلوبهن) وفي ذلك أدب لكل مؤمن وتحذير له من أن يثق بنفسه في الخلوة مع من لا تحل له والمكاملة من غير حجاب لمن فحرم عليه فان مجانبته ذلك أحسن بحاله وأحسن لنفسه وأتم لعصمته

(الآدب الرابع) عدم زواج أزواجه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته أو فراقه لانهن أمهات المؤمنين ولا يحل للأولاد زواج الأمهات وهذا الذي أفاده الله تعالى بقوله (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) وقد أشار الله تعالى الى التغليظ في ذلك وتشديد النكير على من ارتكبه بقوله (ان ذلكم كان عند الله عظيما) أي ان نكاح أزواجه صلى الله عليه وسلم من بعده كان عند الله ذنبا عظيما وجزما هائلا كبيرا وهذا من أعلام تعظيم الله لرسوله وإيجاب حرمة حيا وميتا واعلامه بذلك مما يطيب نفسه ويسر قلبه ثم اعلم أن هذه الآداب وان كانت بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة العمل والاتباع الا أنه لا بأس أن تكون كذلك بالنسبة لنا لان الله عز وجل ما ذكر ذلك في القرآن الكريم مع علمه بأن هذه أمور قد فات وقتها الا ليرشدنا كيف يعامل بعضنا بعضا ويتأدب بعضنا في حق بعض وكذا سائر القصص الموجودة في القرآن فانما تذكر على سبيل الاعتبار والارشاد الى ما كان عليه الامم الدائرة وما كان يفعله الله سبحانه معهم عند ما كانوا بطيعون أو يعصون أو غير ذلك والله ولي

النوع الثاني

﴿ متابعته صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به عن ربه والنزول عند حكمه والرضا بقضائه ومن ذلك قول الله تعالى ﴾

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا

٣٦

ب. ك.

﴿ ما تفيد هذه الآية الكريمة ﴾

تفيد هذه الآية الكريمة بيان ما أرشد الله إليه عباده المؤمنين من الأدب وحسن المعاملة مع رسوله صلى الله عليه وسلم فإذا حكم على أحدهم بشئ فليس له أن يختار من أمره شيئاً بل يجب عليه أن يجعل رأيه تبعاً لرأيه عليه الصلاة والسلام واختياره تبعاً لاختياره حتى يكون بذلك مؤمناً حقيقة كما قال تبارك وتعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) وقال عليه الصلاة والسلام (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) وذلك لأن من لم ينزل على حكمه صلى الله عليه وسلم ولم يرض بقضائه أما لكونه يرى أن هذا الحكم منه صلى الله عليه وسلم وقع في غير محله فهو ظلم وجور فهو يمنع عن قبوله لذلك وهذا نهاية الضلال والخسران وأما لأنه يرى أن حكمه عليه السلام وقع في محله ولكن لا يقبله عنادا وكبرا أو لأنه لا يوافق هواه وعلى كل فهو كفر والعياذ بالله ولذا شدد الله سبحانه على من لم يرض بحكمه صلى الله عليه وسلم واختار غير ما اختاره بقوله (ومن يعص الله ورسوله

سورة	آية	
		فقد ضل ضلالا مبينا) أى ومن يعص الله ورسوله فى أمر من الأمور ومن ذلك عدم الرضا بقضائه وحكمه صلى الله عليه وسلم فقد ضل عن طريق الحق ضلالا ظاهرا واضحا لا يخفى فان كان العصيان عصيان رد وامتناع عن القبول فهو ضلال كفر وان كان عصيان فعل مع قبول الأمر واعتقاد الوجوب فهو ضلال خطأ وفسق وعلى كل حال فهو من الضلال وقلة الأدب معه صلى الله عليه وسلم بحالة لا يسع لمؤمن ولا مؤمنة أن يتلبس بها و يكون عليها
		(وقال جل وعز فى بيان أن من الأدب معه صلى الله عليه وسلم حسن متابعتة والتأسى به فى أقواله وأفعاله وأحواله)
٢١	لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا	
		(ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة)
		ترشد هذه الآية الكريمة الى لزوم الأدب معه صلى الله عليه وسلم بوجوب متابعتة والتأسى به فى أقواله وأفعاله الاما علم أنه من خصوصياته صلى الله عليه وسلم كمنكاح مافوق أربع نسوة وعدم زواج أزواجه بعده وغير ذلك من خصوصياته ولذا أمر الله تبارك وتعالى الناس بالتأسى به صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب فى صبره ومصابرته ومصابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه فقال للذين تضجروا وتزلزلوا واضطربوا فى أمرهم (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) أى اقتدوا به صلى الله عليه وسلم اقتداء حسنا وهو أن تنصروا دين الله وتوازرؤا رسوله ولا تتخفوا عن نصرته وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو صلى الله عليه وسلم حيث كسرت رباعيته وجرح وشج وجهه وجاعت بطنه وأوذى بضروب الأذى فصبر وواساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا أنتم كذلك مثل فعله واستنوا بسنته

ولما كانت متابعتها صلى الله عليه وسلم والاقتداء به في مثل هذه الأمور
العظام والمواطن الصعبة التي لا يتحمل عبثها الا من تيقن بثواب الله
ورحمته ورسخ ايمانه وكل يقينه فلازم طاعته بكثرة ذكره قال الله تعالى
(ان كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) أى هذه الأسوة
الحسنة للذين يرجون ثواب الله ولقاءه ورحمته في اليوم الآخر والذين
يذكرون الله كثيرا والآية وان كان سببها خاصا كما علمت الا أن العبرة بهموم
اللفظ فالتأسي به صلى الله عليه وسلم ومتابعتها في كل ما جاء به حسنة في كل حال

وقال تعالى في الارشاد الى وجوب متابعتها صلى الله عليه وسلم في كل
ما أمر به ونهى عنه وأن من خالف ذلك فله العقاب الشديد والعذاب الاليم

وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

الحشر ٧

(ما تفيد هذه الآية الكريمة)

تفيد وجوب متابعتها صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به بفعل كل ما أمر
به وترك كل ما نهى عنه وذلك لانه تعالى يقول (وما آتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا) أى مهما أمركم به من الطاعات وفعل الخيرات
فافعلوه ومهما نهاكم عنه من الخبائث والمنكرات فاجتنبوه لانه لا
أمر الا بخير ولا ينهى الا عن شر على أنه انما يأمر بأمر ربه وينهى بنهى ربه
فعدم متابعتها صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به أو بعضه مخالفة لأمر
الله ونهييه ولا يجزأ على مخالفة الله ورسوله الا قليل الادب فاقد الحياء
ولما أمر بجل شأنه بالاثمار بأمره صلى الله عليه وسلم والانتهاء
بنهييه أمر بتقواه وخوف من شدة عقوبته فقال (واتقوا الله ان الله
شديد العقاب) أى اتقوه بامتنال أوامره وترك زواجه فانه شديد العقاب
لمن عصاه وخالف أمره وأباه وارتكب ما عنه زجره ونهاه
هذا والآيات القرآنية الدالة على وجوب متابعتها صلى الله عليه وسلم

ففيما أمر به ومجانبة ما نهى عنه كثيرة لا تكاد تحصى ولذا اقتصرنا على هذا النزر القليل منها في هذا الباب ليكون نموذجاً للاستزاد والمسترشد المستفيد والله ولي التوفيق ومنه الرشد والفتح والاصابة

أدب المرء في نفسه

اعلم أن أدب المرء في نفسه أن يكون في نفسه على أحسن صفات الكمال وأجل الخلال فلا يصدر منه ما يوجب الذم واللوم ولا يقع منه ما يخل بالمروءة أو يقلل من قيمته أو يحط من قدره فلا تلقاه الا محمود الخصال ولا تراه الا شريف السمائل جميل الخلال ان نطق صادق وان وعد وفي وحقيق وان اؤتمن لم يخن وان تمكن من فعل محرم عفى وكف وان رأى منكراً غيره وان تكلم غض من صوته وان مشى لم يختل في مشيته وان رأى كبراً وقره وان مر بلغو من القول أو الفعل تجنبه ان لم يقدر على دفعه وهكذا من كل خصلة جيدة وصفة جميلة وقد بين الله صنوف هذه الآداب على أكل وجه وأحسن حالة وإنى ذا كر لك طرفاً منها بمعونة الله تعالى وحسن توفيقه

قال الله تعالى في بيان آداب غض البصر وحفظ الفرج وعدم التبرج بالزيينات وعدم فعل أي شيء من دواعي الشهوة أو إهانة الفطنة سواء كان ذلك للرجال أو النساء.

قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ٣١ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ

أَوْ آبَاءُ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءُ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانُ هُنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَاءُ هُنَّ أَوْ مَمْلُوكَاتُ أَيْمَانُ هُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطُّفُلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبَنَّ بَارِجُ لَهْمُنَّ لِيُعْلَمَ مَا يَخْفَيْنَ مِنْ نَجَسَاتٍ هُنَّ أَوْ تَوْبُوْنَ إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

(ما ترشد اليه هاتان الايتان الكرمتان)

ترشد هاتان الايتان الكرمتان الى بيان أكل الآداب التي يجب على كل من الرجال والنساء أن يتخلفوا بها ويتحاشوا بحسبها وهي بالنسبة الى الرجال أن يفضوا أبصارهم عن النظر الى ما لا يحل النظر اليه من أجنبية غير محرم لهم وأن يحفظوا فروجهم من التعدي على عرض الغير وأن يمتنعوا أنفسهم من النظر اليها وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون) أي قل يا محمد للمؤمنين يغضوا أبصارهم ويمنعوها النظر الى ما لا يحل النظر اليه لان العين مبدأ الزنا والنظر يزرع في القلب الشهوة التي هي مجلبة لساير الدنایا ومهلكة لصاحبها بما تجر اليه من أعظم المصائب وأكبر المعاييب ولذا كان حفظ العين من الامور المهمة الدالة على جلالة قدر صاحبها ونزاهة نفسه وبعد همته وصلاح شيمته وقد حذر صلى الله عليه وسلم عن الاخذ في أسبابه ونهى عن دواعيه سدا لبابه فقال (اياكم والجلوس على الطرقات قالوا يا رسول الله لا بد لنا من مجالسنا نقعد فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان أبيتم الا المجالس فأعطوا الطريق حقها قالوا وما حق الطريق

يارسول الله قال غرض البصر وكف الاذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر) هذا ومن اتفق وقوع بصره على محرم من غير قصد فعليه أن يصرف بصره عنه سريعا بتحويل وجهه الى جهة أخرى أو اطباق عينيه أو اطرافه الى الارض أو يستترهما بأى ساتر مما يحول دون نظره فان ذلك أدعى لهمة وأحفظ لشهوة

ولما كان النظر داعية الى فساد القلب وغضه باعثا من بواعث حفظ الفرج أمر الله بحفظ الفروج كما أمر بحفظ الابصار فقال (ويحفظوا فروجهم) وحفظ الفرج تارة يكون بمنعه من الزنا كما قال تعالى (والذين هم لفروجهم حافظون) وتارة يكون بحفظه من النظر اليه كما جاء في الحديث (احفظ عورتك الا من زوجتك وماملكك عينك) ثم بعد أن أمر جل شأنه بغض البصر وحفظ الفرج أخذ يبين الحكمة التي من أجلها أمر بذلك متوعدا من يخالف أمره ويتعدى حدوده فقال (ذلك أذكى لهم ان الله خبير بما يصنعون) أى ما ذكر من الغض والحفظ أظهر لهم من دنس الرينة وأطيب من التلبس بهذه الدنيئة وعليهم بعد علمهم بذلك وأن فائدته ترجع اليهم أن يراقبوا الله فيما به أمر ويتركوا ما عنه نهى وزجر لانه جل شأنه خبير بما يصنعونه فيجازيهم عليه

وأما هذه الآداب بالنسبة للنساء فهي أن يخفضن أبصارهن ويغضن النظر الى غير أزواجهن ويحفظن فروجهن من الزنا ومن رؤية أحد لها ولا يظهرن شيئا من زينتهن للاجانب الا ما ظهر منها ولم يمكن اخفاؤه كالرداء والثياب الظاهرة لهن وأن يلقين على صدورهن وفجورهن مقانع ليسترنها عن أعين الناظرين فلا يرون منها شيئا ولا يبدن زينتهن الا لأزواجهن أو آبائهن أو أبناءهن أو أبناء أزواجهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى نسائهن المختصات بهن لخدمة أو محبة بشرط أن يكن مسلمات لان غيرهن من الكوافر لا يخرجن من وصفهن للرجال وذلك يجر الى المفسدة أو ما ملكك

أيمانهم من الاماء أما الذكور فلا يجوز ابداء الزينة لهم لانهم خول
وليسوا أزواجا والشهوة متحققة فيهم والاجراء والاتباع الذين ليسوا
بأكفاه ولا حاجة لهم الى النساء لانقطاع شهوتهم أو الاطفال الذين
لا يعرفون ما العورة ولا يعيرون بينها وبين غيرها - فهؤلاء لا بأس من
اظهار الزينة لهم * أما وجهه جواز اظهار زينتهن لأبائهن وآباء أزواجهن
وأبناء أزواجهن وأخوانهن وبنى اخوانهم وبنى أخواتهم فلانهم محرم
لهن يجوز للمرأة أن تظهر عليهم زينتها ولكن من غير تبرج بل بالحشمة
والوقار لئلا توقع الفتنة من جهاتهم ولما في الطباع من النفرة عن
مماسة القرائب وتحتاج المرأة الى صحبتهم في السفر للنزول والركوب
وغير ذلك * وأما وجه الجواز بالنسبة لساكني المختصات بهن المسلمات
وما ملكت أيمانهم من الاماء والاجراء والاتباع الذين لا حاجة لهم الى
النساء والاطفال الذين لا يعرفون ما العورة فلعدم الضرر من جهتهم اذا
أبدى زينتهن لهم

وقد شدد الشارع الحكيم في عدم ابداء الزينة للنساء لما يعلم ما يترتب
على ذلك من المضرة والمفسدة حتى نهى المرأة أن تضرب برجلها الارض
ليعلم ما خفي من زينتها فقال (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين
من زينتهن) ومثل ذلك ما لو كان شيء من زينتها مستورا فتمركت
بمركبة لتظهر ما خفي أو تمشي وتطيب عند خروجها من بيتها
فيشم الرجال طيبها فانه يدخل تحت هذا النهي أيضا وكذا ما يلبسه
أكثر مسترفات النساء في زماننا فوق ثيابهن ويتغطين به اذا خرجن من
بيوتهم وهو غطاء من حرير أسود ذو ألوان مختلفة وأشكال متنوعة
فيه من التنيات في الوسط وفي الاسفل وأنواع الزينة ما يهر العيون
ويأخذ بالآباف ضعاف العقول وأرى أن تمكن أزواجهن ونحوهم من
الخروج بذلك ومشيهن به بين الاجانب من قلة الغيرة وقدعت البلوى
بذلك ومثله ما عت به البلوى أيضا من عدم احتجاب أكثر النساء

سورة	آية	
		من اخوان أزواجهن وعدم مبالاة أزواجهن بذلك وكثيرا ما بأسروهن به فان ذلك مما لم يأذن به الله ورسوله وأمثال ذلك كثير ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ولما كانت أوامر الله تعالى ونواهيه في كل باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد ولا يخالو من تقصير يقع منه وصى الله المؤمنين بالثوبة فقال (وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) أي افعلا ما أمركم به من الصفات الجليلة والاخلاق الجليلة واتركوا ما أنهاكم عنه من الاخلاق والصفات الرذيلة فان الفلاح كل الفلاح في فعل ما أمر الله به ورسوله وترك ما نهاه عنه
		(وقال تبارك اسمه يعلمنا من الآداب أحسنها ومن الاخلاق أجملها وأكملها كما ذلك عن لقمان عليه السلام يوصي ابنه)
لقمان	١٧	يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ^{١٨} وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ^{١٩} وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ
		(ما تشتمل عليه هذه الآيات الكريمات من الوصايا النافعة والحكم والآداب والثمار اليانعة)
		تشتمل هذه الآيات على أهم مكارم الاخلاق وأعظم صفات الكمال على الإطلاق ولا غرو فقد وصى بها أب حكيم قد ذكره الله بأحسن الذكر وآتاه الحكمة والاصابة في الرأي والفكر لابن هو أشفق الناس عليه وأحبههم اليه فهو جدير بأن يمنحه أفضل ما يعرف وذلك من اقام الصلاة والالتيان بها مستوفية الشروط والاركان في أوقاتها

المعينة لها من غير ابداء ملل ولا ضجر ولا تقاعد ولا تسكسل مع تمثيل
 عظمة الله تعالى في قلبه ومراقبته جل شأنه في كل قول وفعل منها
 حتى يلزم الادب قلبه وتتبعه في ذلك سائر جوارحه فانه ان أتى بها
 كذلك لازم الادب قلبه ونهته عن فعل الفحشاء والمنكر وذلك غاية الادب
 ونهاية مكارم الاخلاق - والاهم بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك من لقمان
 عليه السلام لابنه من باب تذليل النفس وتهذيبها واقبالها على الطاعات
 ونبذها للمنكرات بلطف وهذا شأن المعلم الحكيم فان من يأمر بالمعروف
 وينهى عن المنكر تستنكف نفسه وتكره أن يراه الناس حيث نهامهم
 فلا يصدر منه ما يوجب الازم واللوم ولا ما يكون سببا في عدم سماع كلامه
 وبلوغ هرامه فيفعل الملبح ويجتنب القبيح فضلا عما يترتب على الامر
 بالمعروف والنهي عن المنكر من ارشاد الخلق الى ما فيه صلاح حالهم
 واستقامة أحوالهم وانتظام شؤونهم وتقويم ما عوج من أخلاقهم
 ولما علم لقمان عليه السلام بما أتاح الله له من الحكمة أن الامر
 بالمعروف والنهي عن المنكر لا بد أن يقابل من المأمورين والمنهين من
 الناس بأذى كثير لانه انما يأمرهم بمفارقة ما عليه أهوائهم وألفته نفوسهم
 وتعلقت به رغائبهم ومفارقة ذلك أصعب شئ على النفس أمر ابنه
 مع ذلك بالصبر على أذاهم وتحمل الآلام والمشقات التي تحصل له في
 أثناء ذلك وبين له أن الصبر على ذلك من عزم الامور فقال له (واصبر
 على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور)
 ولما كان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب أن يكون متصفا
 بأحسن صفات الكمال من الأدب والتواضع والحلم وعدم الكبر على الخلق
 وعدم استحقارهم والاستخفاف بهم حتى يكون ذلك سببا في قبول أمره
 ومجانبة نهيه أمر لقمان عليه السلام ابنه بما يجمع هذه الخصال فقال
 (ولا تصغر خدك للناس) أي لا تعرض عنهم بوجهك اذا كلمهم أو كلموك
 احتقارا لهم واستكبارا عليهم بل ألسن جانبك لهم وتواضع لصغيرهم

وكبيرهم واجلب محبتهم اليك بحسن صنيعةك معهم ولطف معاملتك لهم فانهم بذلك ينتظرون لك أمرا فيتبعونه أو نهيا فيجتنبونه وبعد أن بين له عليه السلام كيف يصانع الناس ويعاملهم ويعاشرهم أخذ يبين ما يجب أن يكون هو عليه في نفسه من الاخلاق الفاضلة والصفات السكاملة فقال (ولا تمس في الارض مراحا ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الجير) أى اذا مشيت في الأرض فلا يكن مشيك خيلاء فان الله يبغيض من هذه حالته واذا مشيت فليكن مشيك لا بالبطىء المتثبط ولا بالسريرع المفرط فان كلا الأمرين مذموم لان الاول مع ما فيه من مشية المتكبرين وفتور الهمة وضعف العزيمة والتشبه بالعجائز المقعدات فيه ضياع لفرص كثيرة ومنافع كبيرة والثانى مع ما فيه من أمارات الطيش والخفة وعدم الثبات فيه تحميل الاعضاء فوق طاقتها واضعافها بعمل مجهودات لا تتحملها قواها العضلية فيهدم بذلك أساس قوته ويجر بالفساد على بنيمته واذا تكلمت فاخفض صوتك ولا ترفعه زيادة عن الحاجة فان الجهر باكثر من الحاجة مما يضر بالسامع ويؤذيه ولان صوته بذلك يكون منكرا يشبه صوت الجير الذى هو أقطع الاصوات وأقبحها وأنكرها كما قال جل شأنه (ان أنكر الاصوات لصوت الجير) والله أعلم

وقال تعالى في بيان ما أرشدنا اليه من الاخلاق الفاضلة والصفات السكاملة من عدم السخرية بالناس وترك اللمز والتنازع بالالقاب وسوء الظن بالناس والتجسس والغيبة.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْبِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا

بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ
لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا
تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ
لَحْمَ أَخِيهِ مِمَّا فَاكَّرَهُهُوَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ

(ما ترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان)

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى ما علمنا الله من الصفات الحسنة
والاخلاق المستحسنة وهي أن لا يسخر أحد من أحد ويستخف به ويستحقره
وأن لا يعيب أحد على أحد بشئ يكرهه وأن لا يدعو أحد أخاه بلقب
يكرهه وأن لا يسيء ظنه بأحد من اخوانه المؤمنين وأن لا يبحث ويفتش
عن عورات المسلمين ومعائبهم ويستكشف عما ستروه وأن لا يذكر أحد
أخاه بما يكرهه في غيبته فان ذلك كله مما نهى الله عنه ورغب في التباعد منه
فنهى عن السخرية بالناس والاستخفاف بهم بقوله (يا أيها الذين آمنوا
لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى
أن يكن خيرا منهن) أى لا يصح أن يستهزئ أحد من أحد ولا يستخف
به ويحقره سواء كان من الرجال أو النساء لانه ربما كان المسخور به عند الله
خيرا من الساخر فلا ينبغي أن يجترئ أحد على السخرية بغيره والاستخفاف
به بمجرد أنه رآه رث الهيئة أو فقيرا أو ذا عاهة في بدنه أو غير ليق في
محدثه أو غير ذلك فاعله أخا صاميرا وأنتى قلبا ممن هو على ضد صفته
فيظلم نفسه بتحقيق من وقره الله تعالى والسخرية انما تحرم اذا كانت في
حق من يتأذى بها أما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح بالسخرية به
كما يفعله السفلة من الناس كانت السخرية في حقه من جلة المزح وليس
محرم وانما المحرم استصغار يتأذى به المستهزا به لما فيه من التحقير

والتهاون وذلك تارة يكون بالضحك على كلامه اذا تخبط فيه ولم ينتظم أو على أفعاله اذا كانت مشوشة كالضحك على صنعته أو على صورته وخلقه اذا كان قصيرا أو ناقصا لعيب من العيوب فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية المنهى عنها وقد تكون السخرية بالمحاكاة في الفعل والقول وقد تكون بالإشارة والالعاء

ونهى أن يعيب أحد غيره بقوله (ولا تلمزوا أنفسكم) أى لا يعيب بعضكم بعضا بقول أو فعل أو إشارة لان المؤمنين كنفوس واحدة ففى عاب المؤمن المؤمن فكانما عاب نفسه وهذا أدب كبير أدب الله به عباده المؤمنين ليكون سببا فى ألقتهم واتحادهم وارتباط قلوبهم بعظيم المودة ووثيق المحبة ونهى أن يدعو أحد أخاه بقلب يكرهه بقوله (ولا تنازروا بالألقاب) أى لا يدعو أحد أخاه بقلب يكرهه لان ذلك يزرع فى القلوب الضغينة ويمكن فيها الحفيظة وهو مما جاء الشرع الشريف بزواله ولذاسمى جل شأنه التنازير بالألقاب الذى هو داعية الحقد والبغض فسقا فى قوله (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون)

ونهى عن كثير من سوء الظن بأحد من المؤمنين بقوله (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم) أى يا أيها الذين آمنوا اتبعوا عدوا عن كثير من الظن وهو مجرد التهمة التى لا سبب لها كأن تهم غيرك بشئ من الفواحش ولم يظهر عليه ما يقتضى ذلك لان بعض ذلك يكون اثما محضا فليجتنب الكثير منه احتياطا ويشترط فى حرمة هذا أن يكون المظنون به ممن شوهد منهم النستر والصلاح والامانة أمان يتعاطى الرب والمجاهرة بالخبائث والمنكرات كالدخل والخروج الى حانات الخمر والمخمة الغواني الفاجرات فلا يحرم سوء الظن به فى نحو ما يظهر منه فقط

ونهى عن البحث والتفتيش عن عيوب المسلمين وعوراتهم بقوله (ولا تجسسوا) أى لا تبحثوا عن عورات المسلمين ولا تستكشفوا عما ستره فان فى ذلك فضيحة لهم وتعزضا لما لا يعنى ولا يفيد وهب أن ذلك

الباحث اطلع على جميع عورات أخيه ومعايبه فأى فائدة تعود عليه من ذلك سوى أنه كالذي لا يتبع الا القاذورات والمواضع الفاسدة من الجسد وغيره ونهى عن أن يذكر أحد أخاه بما يكره في غيبته بقوله (ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) أى لا يذكر بعضكم بعضا بما يكره في غيبته سواء كان ذلك باللسان أو بالفعل ومنه الاشارة والكتابة وغيرهما مما يفهم نقصانه فان علة النهى عن الغيبة الاثداء بتفهم الغير نقصان المغتاب وهو موجود حيث أفهم الغير ما يكرهه المغتاب بأى وجهه كان من طرق الافهام وسواء كان ذكر ذلك الشئ الذى يكرهه بنقص في بدنه أو نسبه أو خلقه أو في فعله أو في قوله أو في دينه أو في دنياه حتى في ثوبه وداره وماله وولده وزوجته وعملوكه وخادمه وغير ذلك من كل ما يتعلق به فذلك كله مما كرهه الله تعالى وحرمه ونهى عنه حتى جعل المغتاب كأنه يأكل لحم أخيه ميتا ذلك الامر المستبشع طبعاً وعقلاً وشريعاً ومحل حرمة الغيبة اذا لم يكن المغتاب مجاهرًا بالمعاصي متمسكاً لايبالي بما يفعل فان الغيبة في مثله جائزة وذلك لان الذى يعلن بالفجور والفسوق ولا يستحي من عصيان الخالق ولا يستتر عن المخلوق فيما يأتي من الكبائر ويظهر من المناكر قد كشف ستاره وأبدى عواره فخرج من حدد الظن الى حدد اليقين فقتل هذا ليس مقصوداً من النهى ففي الحديث (من ألقى بجلباب الحياء فلا غيبة له) والله أعلم

وبعد أن أمر جل شأنه بترك هذه المنهيات حث على التقوى فقال (واتقوا الله) ثم علم الامر بالتقوى بقوله (ان الله تواب رحيم) أى كثير التوبة لمن اتقاه واجتنب ما نهى عنه وتاب مما فرط منه

(وقال جل جلالته في النهى عن الجهر بالسوء من القول)

لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ

اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا

(ما يؤخذ من هذه الآية الكريمة من الآداب والفضائل)

يؤخذ من هذه الآية الكريمة النهي عن البذاءة باللسان والجهر بالسوء من القول سواء كان ذلك القول السيئ شتمًا أو سبًا أو لعنًا أو مراءًا أو خصومة أو ذمًا في حق الغير أو غير ذلك مما يدل على حقارة قدر صاحبه ودناءة نفسه وقلة حياته وسوء تربيته وعدم قدرته على أن يكبح زمام نفسه عما تسوقه له من القباح والمنكرات وتهيج به له القوة الغضبية التي منشؤها الزهو والعجب والكبر والمزاح والهزل والمماراة والمضادة والغدر وغيرها من الاخلاق الرديئة المذمومة شرعًا وعقلًا

ولما كان الجهر بالسيئ من القول بهذه المكانة من القبح عبر الله جل شأنه عن النهي عنه بما يفيد شدة قبحه وزيادة نكره وبشاعة أمره فقال (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول) ولم يقل لا تجهروا بالسوء من القول أي وحيث كان غير محبوب لله جل وعز وغير مرضى له فهو أولى الأشياء المنكرة بالاجتناب وأحقها بالترك والابتعاد

ثم استثنى جل شأنه من عدم محبته للجهر بالسوء من القول وبغضه وكراهته له جهر من ظلم بأن يدعو على ظلمه أو ينظلم منه أو يذكره بما فيه من سوء فإن ذلك غير مبغض عنده تعالى وذلك لأنه إنما يستغيث لبغاث ويستجير لجنبه ويذكره بسوء لعله يرد عليه ظلامته ولأن المظلوم مصدر وهو لا بد أن ينفث وهذا ما لا بد منه من طريق الفطرة فرخص الشارع له ذلك - وفي ذلك دلالة على قبح الظلم والنظام وعدم نظر الله له وعدم اعتبار حرمة واحتقاره له جل شأنه حتى رضى عن مذمته والجهر بالسوء من القول في حقه

ثم أخذ جل شأنه يتوعد من يجهر بالسوء من القول فقال (وكان الله سميعًا عليماً) أي سمعاً لما تقولونه من القول السيئ علمياً به فيجازيكم عليه

﴿وقال تبارك اسمه في النهى عن تتبع الانسان ما ليس له به علم وعن التكبر والتجبر والتجتر في المشية لان ذلك مما يبغضه الله تعالى ويكرهه﴾

وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ
كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ٣٧ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ
سَرَّحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ٣٨
كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا

﴿ما ترشد اليه هذه الآيات الكريمة﴾

ترشد هذه الآيات الى أدبين من الآداب الشرعية وخلقين عظيمين من الاخلاق الطاهرة الزكية (الاول) أن لا يتتبع الانسان ما لا يعلمه فلا يقول رأيت والحال أنه لم يرو ولا سمعت والحال أنه لم يسمع ولا علمت والحال أنه لم يعلم وهكذا لان الله سبحانه وتعالى سألته عن ذلك كله من أين جاءه العلم بما رآه وسمعه وعلمه فانه جعل شأنه خلق الاعضاء للانسان وجعل لكل عضو منها وظيفة قائما بها وعمل خاصا به يسئل عنه دون غيره فيسئل السمع عما سمعه والبصر عما رآه والقلب عما علمه فان كان الجواب طبق ماناها الله هذه الاعضاء به وخلقها لأجله وكلفها به من الاعمال أثاب صاحبها حيث استعملها في ذلك وان كان الجواب غير مطابق عاقب صاحبها جزاء تقصيره وعدم استعماله هذه الاعضاء فيما خلقت لأجله ومعنى سؤال هذه الاعضاء ومجاوبتها أن الله سبحانه ينطقها عند سؤالها فتخبر عما فعلته وفعله صاحبها وهذا الذى أشار الله تعالى له بقوله (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)

(الادب الثانى) عدم التجبر والتجتر والتمايل في المشية فان ذلك يبغضه الله ورسوله لانه نتيجة اعجاب المرء بنفسه وهو أخيب سرائر القلوب

وأعظم كباثر الذنوب ودليل جهل المرء بقدر نفسه وعماه عن عيب نفسه حيث رأى قبيحه حسنا وخطأه صوابا فأوجب لنفسه حقا لم تستوجبه ورأى لها فضلا لم تستأهله ولو أنه تبصر في عيوب نفسه قليلا ونأمل فيما هو عليه من المثالب والمعائب لاستنكف مما عليه نفسه من الزهو والعجب الذي حملها على هذه المشية التي يبغضها الله ورسوله كما قال مطرف بن عبيد الله للمهلب بن أبي صفرة عند ما نظر إليه وعليه حلة يسحبها ويمشي الخيلاء يا أبا عبد الله ما هذه المشية التي يبغضها الله ورسوله فقال له المهلب أما تعرفني قال أعرفك أولك نطفة مسذرة (أي فاسدة) وآخرك جيفة قذرة وحشوك فيما بين ذلك بول وعذرة فعلام الإنسان ينكبر وقد عرف مبدأه ومنتهاه (وقد روى) عن عمر رضي الله عنه أنه سعد المنبر وجد الله وأثنى على رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس لقد رأيتني أرى على حالات لي من بني مخزوم يقبضن لي القبض من التمر والزبيب فقال له عبيد الرحمن بن عوف والله يا أمير المؤمنين ما زدت على أن قصرت بنفسك فقال له ويحك يا ابن عوف خلوت بنفسى فخذتني وقالت أنت أمير المؤمنين فمن ذا أفضل منك فأردت أن أعرفها قدرها فقل هؤلاء هم الذين جل خطرهم وعظم قدرهم في الدنيا ومع ذلك لم يجعلوا لأنفسهم حظا في الاستعظام والاعجاب ولذا يقول الله تعالى توبينا للمعجب بنفسه المتجتر في مشيته (انك ان تحرق الارض وان تبلغ الجبال طولا) أي ان تنقب الارض حتى تبلغ آخرها بمشيك متكبيرا ولن تبلغ الجبال طولا بتمالك ونفرك واعجابك بنفسك بل قد يجازي فاعل ذلك بنقيض قصده كما أخبر جل شأنه عن قارون أنه خرج على قومه في زينته ففسد الله به وبيداره الارض ثم بين جل شأنه أن هذا الذي ذكر من الاعجاب والتجتر في المشي وتبمع الانسان ما ليس له به علم وغيره مما تقدم ذكره ونهى الله عنه هو قبيح مكروه عند الله تعالى يجب اجتنابه والتباعد منه بقوله (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها)

وقال عزمن قائل بين لنا أوصاف المؤمنين وما هم عليه من الآداب
الفاضلة والاخلاق الكاملة وحسن معاملتهم مع الله والخلق ليكون لنا
بهم الأسوة الحسنة والقُدوة المستحسنة

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا
خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا^{٦٤} وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ
سُجَّدًا وَقِيَامًا^{٦٥} وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا
عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا^{٦٦} إِنَّهَا سَاءَتْ
مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا^{٦٧} وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ
يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا^{٦٨} وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ
اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا
بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا^{٦٩} يُضَاعَفُ
لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا^{٧٠} الْأَمِنْ
تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ
سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا^{٧١} وَمَنْ تَابَ
وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا^{٧٢} وَالَّذِينَ لَا
يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا^{٧٣} وَالَّذِينَ
إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعَجَمَانًا^{٧٤}
وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا
قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لِمَتَّقِينَ إِمَامًا^{٧٥} أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ

بِمَا صَبَرُوا وَيُلْقُونَ فِيهَا تَحْمِيَةً وَسَلَامًا ۖ فِيهَا
حَسَنَاتٌ مُمْتَقِرَةٌ وَمُقَامًا

(ما ترشد اليه هذه الآيات الذكر عيات من الآداب ومكارم الأخلاق)

ترشد هذه الآيات الذكر عيات الى بيان أوصاف المؤمنين وأحوالهم
الدنيوية والاخرية وما هم عليه من الاخلاق الزكية والصفات المرضية
وحسن معاملتهم مع الله والخلق وما أعدّه الله لهم من النعيم المقيم في
الآخرة جزاء اتصافهم بهذه الاوصاف - فن هذه الصفات المرضية والاخلاق
الزكية أن يكونوا في مشيتهم على أحسن ما يكون من السكينة والوقار
وهذا الذي أفاده الله تعالى بقوله (وعباد الرحمن الذين يمشون على
الارض هونا) أي بسكينة وتؤدة ووقار

ومنها أن يصانعو الناس ويحاملوهم ويحسنوا المعاملة معهم فإذا سفه عليهم
أحد منهم أو خاطبهم بما لا يليق قابلوه باللطف وعاملوه بالجميل وتبرؤا منه
ومن مما كانه لما يسفه به وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (وإذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما) أي سلامة وبراعة منكم وتركا لكم ولما تسفهون
به حتى بذلك يسلون من الوقوع في الانم مثل أولئك الجاهلين

ومنها أن يحسنوا المعاملة مع الله جل ذكره بدوام ذكره وطاعته وعبادته
وشدة مراقبته فيبستواله تعالى ساجدين قائمين ذاكرين داعين يقولون ربنا
اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما أي ملازما دائما لان بيئاتهم
كذلك مما يوجب تنزل الرحمة والرضوان بهم لان الليل أجمع للفكر وأهدأ للبال
وأسكن للخاطر وأبعد للذهن من احاطة الشواغل به فكل ذلك من أمارات
القبول واجابة الدعاء وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (والذين يبيتون لربهم
سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان
غراما انها ساءت مستقرًا ومقامًا) أي انها بثست المنزل منظرا وبئس المقيلا

مقاما ومنها أن يدبروا أمر معاشهم فيحافظوا على أموالهم ولا يصرفوها الا في وجوه البر والخير وقد بين الله جل شأنه الكيفية التي يتصرفون بها في أموالهم فقال (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) أى لا يكونون مبذرين في انفاقهم فيصرفون فوق الحاجة ولا بخلاء فيمنعون أنفسهم وأهلهم وأصحاب الحقوق في هذه الاموال من التمتع بها مع ادخارهم لها من غير منفعة ولا فائدة تعود عليهم منها وهذا منه جل شأنه من أكبر الحكم والتدبيرات الالهية التي من الله على عباده المؤمنين بارشادهم لها فانه ما قامت لأى أمة بل ولا أى عائلة ولا أى شخص فائدة الا بهذا التدبير الالهى وليس أعدل من العيان شاهد فكلم رأينا من شخص أورده الاسراف والتبذير المهالك وضيق عليه أصعب المسالك وكم رأينا من شخص شحج حرم نفسه ومنعها التمتع بماله وكان لاحظ له منه سوى ادخاره ثم تركه للغير يتمتع به ويحبنى به من الآثام والذنوب ما معظمه راجع اليه وحرمة عائلته عليه وكم رأينا من مقتصد ساد قومه فهنت عيشته وطابت معيشته وصفت له حياته فعاش مرضيا ومات مرضيا عنه

ومنها أن يخلصوا في الايمان لله تعالى وحده فلا يشركوا معه غيرهم في العبادة وأن يأتمروا بأوامره وينتهوا بنواهيه فلا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق أى بسبب يسوغه وهو ثلاثة أشياء زنا بعد احسان وكفر بعد ايمان وقتل نفس بغير نفس ولا يتعدون على أعراض غيرهم وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون)

ثم أشار جل شأنه الى بيان جزاء من لم يأتمر بأوامره ولم يقف عند حدوده ونواهيه فقال (ومن يفعل ذلك يلق أثاما) أى عقابا (يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا) أى ذليلا حقيرا جزاء مخالفته لأمر الله تعالى وارتكابه مانهى عنه ثم استثنى من هؤلاء من تاب الى الله تعالى

ورجع عما كان يفعل وندم على ما حصل منه فان هؤلآء يتوب الله عليهم
ويعفو عنهم ما كانوا عماوه من المعاصي ويثبت لهم مكانها طاعات وهذا
التبديل في الدنيا فببذل الله لهم ايمانا مكان الشره واخلاصا مكان
الشك واحصانا مكان الشجور وهذا معنى قوله تعالى (الا من تاب وآمن
وعمل صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما
ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب الى الله متابا)

ومنها أن لا يحضروا مواضع اللهو واللعب واذا مروا بالاتفاق من غير قصد
في محل تعمل فيه الاعمال السافله مما ينبغي أن تلغى وتطرح أعرضوا عنه
ولم يلتفتوا اليه ونزهوا أنفسهم عن الوقوف فيه وهذا ما أفاده الله تعالى
بقوله (والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما) أى لا
يحضرون الزور واللهو واذا مروا باللغو مروا مكرمين أنفسهم عن
الوقوف عليه والخوض فيه

ومنها أنهم اذا وعظوا بآيات الله تعالى وذكروا بما فيها من المواعظ
والحكم اتق منهم ذلك الوعظ صدرا رحبا وأذنا تسمع وقلبا يتدبر ويفهم
وجوارح تنقاد وتعمل وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (والذين اذا ذكروا
بآيات ربهم لم يختروا عليها صما وعميانا) أى لم يسقطوا ولم ينعوا عليها
صما عن فهمها عميانا عن التدبر فيها

ومنها أن لا يقصدوا بقضاء شهوتهم مجرد التلذذ بل يقصدون أن
يخرج من صلبهم ذكور يطيعون الله سبحانه وتعالى ويعبدونه حق
عبادته ويدعون الله بذلك لهه يحيب دعاءهم كما يدعونه بأن يرشدوا عباده
ويهدوهم الى ما فيه خيرهم وصلاحهم وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله
(والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا
للقئين اماما) أى أئمة يقتدى بنافى الخير وهداة مهتدين دعاة الى الخير
ولما ذكر جل شأنه من أوصاف عباده المؤمنين ما ذكر من الصفات
الجميلة والاقوال والافعال الجليلة بين بعد ذلك جزاءهم على اتصافهم بهذه

الاصناف وتخلقهم بهذه الاخلاق فقال (أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما) أى أولئك المنصنون بهذه الاصناف يجزون الغرفة أى الجنة بسبب ما صبروا على مشاق التكليفات والطاعات ورفض الاهواء والذات ويلقون فيها أى فى الجنة تحية وسلاما أى يتدرون فيها بالتحية والاكرام ويلقون التوقير والاحترام من الملائكة الذين يدخلون عليهم من كل باب ويقولون لهم سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار خالدين فيها لا يموتون ولا يزولون حسنت مستقرا ومقاما أى حسنت منظرا وطابت مقبلا ومنزلا والله أعلم

آداب المعاملة والمعاشرة مع صنوف الخلق

هى أن يعامهم برفق ولين ويخفض جناحه للكبير منهم والصغير ولا يخاطب أحدا بغلظة ولا يتكبر ولا يتعظم على أحد منهم بل يستجلب محبتهم بمكارم أخلاقه وحسن معاملته ولطف صنيعه ولا يكثر المراء والمصومة معهم وأن يتدبر من يعرف ومن لا يعرف بالتحية وإذا حياه غيره بتحية ردها بعينها أو بأحسن منها وأن يلقي غيره بالبشاشة والبشر وطيب الكلام وحسن الاخلاق والادب وأن لا يسفه عليهم ولا يؤذيهم بقول أو فعل وأن يعفو عن مذنبهم ويصفح عن تأثيهم ويتودد اليهم بكل وسائل أنواع التودد وأن لا يعد أحدا منهم بوعده الا وينبى به وأن يكرم حديث أخيه بالانصات اليه وحسن الاقبال عليه وأن يقوم لمن فوقه ويوسع له فى المكان ويجلس بين يديه بغاية الادب والسكون والوقار وأن لا يتخط ولا يتماعب بحضرة من هو أكبر منه سنا أو فضلا وان اضطر الى ذلك حوّل وجهه وامتنحط فى منديل أو وضع على فمه منديلا وأن لا يضع رجلا على رجل بحضرة من هو أكبر منه من قريب أو أجنبي الى غير ذلك من الاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة

وقد جاء القرآن الكريم مبيّنا لهذه الآداب على أحسن وجه وأكمل

سورة	آية	
		مرشدا الى ما يجب التخلق به ويلزم استعماله في معاملة الخلق من كل ما يجب رضاهم ومحبتهم لبعضهم فتتحد كلمتهم وتتألف جامعتهم ويسعون لانفسهم فيما يجب لهم الخير ويدفع عنهم الشر والضرر
		﴿فن ذلك ما حث الله سبحانه عليه من مقابلة الاساءة بالاحسان والذنب بالغفران والغضب بالحلم والغيظ بالكظم مع بيان الثمرة المترتبة على ذلك وفضل من اتصف بهذه الاخلاق الحميدة فقال﴾
فصلت	٣٣	وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ
		﴿ما ترشد اليه هاتان الايتان الكريمتان﴾
		ترشد هاتان الايتان الكريمتان الى بيان ما أمر الله به عباده المؤمنين من حسن المعاملة مع صنوف الخلق الصغير منهم والكبير فان أغضبهم أحد صبروا وان جهل عليهم حلوا وان أساء اليهم عفووا عنه وان أذنب في حقهم ذنبا غفروه وأغفوا عما حصل منه من الهفوات وتجاوزوا عما صدر منه من الغلطات فان فعلوا ذلك صار العدو لهم صديقا والبعيد عنهم قريبا والمبغض لهم حبيبا وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) أي ان الحسنة والسيئة متفاوتتان في ذاتهما فخذ بالحسنة التي هي أحسن من أختها وادفع بها السيئة التي تعرض عليك من بعض أعدائك كما لو أساء اليك رجل اساءة فالحسنة أن تعفو عنه والتي هي أحسن أن تحسن اليه مكان اساءته اليك مثل أن يذمك فتمدحه أو يشتمك فتعطيه جائزة فانك ان فعلت ذلك وأحسننت اليه من حيث أساء اليك قاده احسانك الى مصافاتك ومحبتك والحنو عليك حتى يصير

كأنه ولي حليم أى قريب اليك من الشفقة عليك ثم أشار بجل شأنه بعد أن وصى عباده المؤمنين بحسن المعاملة ومقابلة الاساءة بالاحسان وبين الثمرة المترتبة على ذلك أخذ يدح من عمل بهذه الوصية وحافظ على هذه المزية فقال (وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) أى وما يقبل هذه الوصية ولا يعمل بها الا من اتصف بالصبر وثبات القلب وقوة العزيمة لانها من الامور الشاقة على النفس التي لا يحتملها الا من كانت هذه حالته والاذونصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة

﴿ وقال تعال اسماءه يعلم نبيه صلى الله عليه وسلم محاسن الآداب ومكارم الاخلاق وحسن المعاملة مع صنوف الخلق سواء المطيع منهم والعاصي ﴾

وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٢١٦ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ

الشعرا ٢١٥

﴿ ما ترشد اليه هاتان الآيتان الكریمتان ﴾

ترشد هاتان الآيتان الكریمتان الى بيان ما أرشد الله اليه نبيه عليه الصلاة والسلام من كيفية معاملته لمن اتبعه من المؤمنين ومن عصاه منهم فقد أمره أن يلين جانبه ويتواضع للمؤمنين لان ذلك أدعى الى اجتماع كلمتهم عليه ومحبتهم له وقيامهم بكل ما يرضيه وبذلهم النفس والنفس في سبيل تنفيذ رغائبه وسعيهم في اعلاء كلمته وانصرته على أعدائه - وهذا منه جل شأنه له عليه الصلاة والسلام من التدبيرات الالهية والسياسات الشرعية التي يجب على كل من قام بالدعوة ليرشد الناس ويهديهم الى ما فيه صلاح حالهم ديناً وأخراً ويقوم ما عوج من أخلاقهم أن يكون متخلقا بها ومتحملا بحلالها كما أمره أن يجعل المعاملة ويحسن الصنيع مع من خالفه ولم يتبعه لما في ذلك من محبتهم له وعدم نفورهم منه وربما كان ذلك سببا في رجوعهم عن معصيته ومخالفته الى طاعته وامثال

أمره وذلك بأن يلفظ بهم ويحنو عليهم فلا يعاقبهم ولا يردعهم ولا ينهرهم ولا يقسو عليهم في المعاملة وإن كان ما عملوه من المخالفة والعصيان يستحقون عليه أكثر من ذلك بل غاية ما يقابلهم به أن يتبرأ من عملهم ويقول لهم اني بريء مما تعملون وهذا نهاية مكارم الاخلاق وحسن المعاملة ولا غرو فهي من رب الارباب مالك الارض والسموات العالم بمصالح البشرز مانا ومكانا لنبيه وحبيبه وصفيه وخليفه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والآية الكريمة وإن كان المأمور فيها بخفض الجناح واستعمال اللين واللفظ وحسن المعاملة والمجاملة هو خصوص رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن الأمر يسرى لأئمة وأتباعه بطريق التبعية لأن كل أمر له أمر لأئمة مالم يرد نص مخصص وعليه فيجب على كل منا أن يعامل جميع الناس بالرفق واللين والتواضع ويستجلب محبتهم اليه بمكارم أخلاقه وحسن معاملته ولطف صنيعه سواء المحسن منهم والمسيئ فان ذلك أدعى لمعاونتهم له وقت الحاجة واناثتهم له وقت الشدة ونصرته وقت الحرج والضيق والله ولي التوفيق

وقال جل ذكره فيما يجب أن يستعمله الانسان مع خصمه من حسن المعاملة والملاطفة واللين حتى يكون ذلك سببا في قبول قوله واجابة طلبه مخاطبا بذلك موسى وأخاه هرون عليهما السلام عند ما أمرهما أن يذهبا الى فرعون ليدعوا الى عبادة الله تعالى

اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تتيا في ذكرى^٣
اذهباً الى فرعون انه طغى^٤ فقلوا له قولا لينا
لعله يتذكر أو يخشى

(معنى هذه الآيات الكريمات وما يستفاد منها من الفضائل والكمالات)

يقول الله تعالى لنبيه موسى عليه السلام اذهب أنت وأخوك هرون الى

سورة	آية
فرعون وادعواه الى عبادتي وتوحيدى واخلاصى ومعهكم آياتى ومعجزاتى وحججى وبراهينى متمسكين بها فى اجراء أحكام الرسالة واكمال أمر الدعوة وعليكم مع ذلك عند مواجهةكم له ومتابلتكم اياه أن لاتنميا ولا تقصرا فى ذكرى واستحضار أننى وليكم وناصركم مع الدعوة الى توحيدى ليكون ذلك عوناً لكم عليه وقوة وساطاناً كاسراً له كما قال نبينا عليه الصلاة والسلام عن ربه (ان عبدى كل عبدى الذى يذكركنى وهو مناجز قرنه) أى يذكركرأننى وليه والاخذ بيده وبعد أن أمر جل شأنه موسى عليه السلام أن يذهب الى فرعون ويصحب أخاه هرون معه حسب طلبه أخذ يأمرهما بالذهاب الى فرعون ويرشدهما الى ما يقولان له لعله يكون سبباً فى اذعانه لهما وقبوله ما جاآ به فقال (اذهبا الى فرعون انه طغى) أى تمرد وعنا وتجبر على الله وعصاه وتجاوز الحد فى الكفر والتمرد بادعائه الربوبية (فقولاه قولاً ليناً) لاختشونة فيه فان التخشين فى القول من أعظم أسباب النفور وعدم الامتثال بخلاف تليين القول فانه أسرع الى الاجابة وأدعى الى كسر سورة عناد العتاة وتليين قسوة الطغاة وقد فعلا عليهما الصلاة والسلام ما أمر به فقد قال له (انا رسولا ربك فأرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم) وقال له موسى عليه السلام (هل لك الى أن تزكى وأهديك الى ربك فتخشى) فان هذا غاية فى اللين والرفق لانه دعاء فى صورة العرض والمشورة وقد ذكر جل شأنه العلة الباعثة على دعوته باللين وحسن الملاطفة فقال (لعله يتذكر أو يخشى) أى لعله يتأمل فيبذل النصفة من نفسه والاذعان للحق فيعود ذلك الى الايمان أو يخشى أن يكون الأمر كما نصفان فيجره منكاره الى الهلكة وذلك يدعوه الى الايمان أيضاً فهذا ما أمر الله به نبيه موسى عليه السلام وأخاه هرون من حسن المعاملة مع فرعون واللين له فى القول والتلطف به وهما صفوة الله من خلقه اذ ذلك هو أحط الناس وأخسهم قدراً عند الله تعالى فكيف بمعاملة غيره من المؤمنين	

سورة	آية	
		بعضهم مع بعض فانهم أولى باستعمال الملاطفة واللين مع بعضهم والله أعلم (وقال جل ذكره يعلم نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم كيف يدعو الناس الى دينه حتى يهتدوا بهديه ويسلكوا سبيله وكيف يعامل الكفار اذا جادلوه مما هو غاية في الادب وحسن الاخلاق)
النحل	١٢٥	ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ
		(ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة)
		ترشد هذه الآية الكريمة الى بيان ما أرشد الله اليه نبيه صلى الله عليه وسلم من كيفية دعوته الخلق الى توحيد الله تعالى واتصافه بصفات السكال وتنزهه عن صفات النقصان والى ما فيه صلاح حالهم واستقامة أحوالهم واستكمال شؤونهم وتقويم أخلاقهم وتهذيب نفوسهم بما يسنه لهم من الاحكام والشرائع فقد أمره جل شأنه أن يدعو الناس الى ذلك بأمرين الاول الحكمة وهى الدليل والمقالة المحكمة المبرهنة الثانى الموعظة الحسنة وهى ما يؤثر فى النفس لعلها بصدق القائل ونصحه فيما يقول واحتوائها على معارف الانفس ومألوف القلوب وهذه الدعوة بهذين الامرين لمن لم يحتاج منهم الى مناظرة وجدال أما من احتاج منهم الى ذلك لشدة عناده ومكابرته وأمره أن يستعمل معه الطريق التى هى أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف وإيثار الوجه الايسر والمقدمات التى هى أشهر فان ذلك أنفع فى تسكين شره وكسر سورة عناده وأدعى الى ادعائه وقبوله وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (وجادلهم بالتي هى أحسن) وهو أمر منه عليه الصلاة

والسلام بلين الجانب وحسن المعاملة كما أمر موسى وهرون عليهما السلام عندما أمرهما بالذهاب الى فرعون وذلك في قوله (فقلوا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى)

ولما حدث جل شأنه على الدعوة بالطرق المذكورة بين أن الرشد والهداية ليسا الى النبي صلى الله عليه وسلم وانما ذلك الى الله تعالى وحده وهو أعلم عن ضل عن سبيله وطريقته وشريعته وهو أعلم بالمهتدين اليها فقال (ان ربك هو أعلم عن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) أى قد علم الله الشقى منهم والسعيد وكتب ذلك عنده وفرغ منه فادعهم الى الله ولا تذهب نفسك على من لم يهتد منهم حسرات فإنه ليس عليك هداهم انما أنت نذير عليهم البلاغ وعلينا الحساب (انك لاتهدى من أحبيت ولكن الله يهدي من يشاء)

﴿وقال جل ثناؤه يعلمنا حسن المعاملة مع بعضنا ويرشدنا الى أهم أسباب المودة والمحبة من التحية وحسن الرد﴾

وَإِذَا حِمَيْتُمْ بِحِمِّيةٍ فَخَيَّيْوْا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوْهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا

﴿معنى الآية الكريمة وما اشتملت عليه من الإِدب وحسن المعاملة﴾

يقول الله تعالى ارشادا لعباده المؤمنين وعلما لامة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (واذا حيمتكم بتحيمية فخييوا بأحسن منها أو ردوها) أى اذا سلم عليكم المسلم فردوا عليه بأفضل مما سلم عليكم فان قال لكم السلام عليكم فقولوا له وعليكم السلام ورحمة الله وان قال السلام عليكم ورحمة الله فقولوا له وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته وليس فى السلام زيادة على ذلك أو ردوا عليه بمثل ما سلم عليكم واقتصروا على مثل

النساء ٨٥

اللفظ الذي جاء به - وانما اختار الشرع لفظ السلام على لفظ حياله
الله مثلا لانه أتم وأكمل وأحسن وقوله (ان الله كان على كل شئ
حسيبا) أى يحاسبكم على كل شئ من أعمالكم ويدخل فى ذلك ما أمروا
به من رد التحية والله أعلم - ومن تأمل قلبا فيما يترتب على
البداءة بالتحية وحسن الرد من التواضع والتحابب علم حكمة مشروعية هذه
الآداب ومكارم الاخلاق وما يرجى اليه غرض الشارع الحكيم منها

﴿وقال تعالى يعلمنا كيف نعامل الله تعالى ونعامل خلقه بتأدية ما لهم
من الحقوق مع بيان ما أعدّه الله لمن أحسن هذه المعاملة من النعيم المقيم
وما أعدّه لمن لم يحسنها من الهوان والعذاب الاليم﴾

الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ^{٢٣} وَالَّذِينَ
يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ
سُوءَ الْحِسَابِ^{٢٤} وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ^{٢٥}
جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ
وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ^{٢٦}
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ^{٢٧} وَالَّذِينَ
يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ
اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ
الْعَذَابُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ

(ما ترشد اليه هذه الآيات الكريمة)

ترشد هذه الآيات الكريمة الى بيان ما أعدده الله تعالى لمن أحسن من عباده المؤمنين المعاملة معه جمل شأنه ومع عباده من الثواب الجزيل والنعيم الدائم المقيم وقد بين جل شأنه أن حسن المعاملة يكون بأشياء (الاول) الوفاء بالعهد وهو بالنسبة لله عز وجل امتثال أوامره واجتناب نواهيه وبالنسبة للخلق أن لا يعد أحدهم وعدا الاوفى به وأنجزه ولا يكون كالمنافق اذا عاهد غدر واذا خاصم فجر واذا حدث كذب واذا أوتى خان (الثاني) صلة ما أمر الله به أن يوصل ونهى أن يقطع وهي بالنسبة لله عز وجل دوام مراقبته وتمثل عظمته في قلبه حتى يكون ذلك زاجرا له عن معصيته ومخالفة أمره والايمان بالكتب والرسول فانه جل شأنه أمر بوصول ذلك وعدم قطعه وبالنسبة للخلق ثلاثة أنواع وصل قرابة المؤمنين الثابتة بالايمان والداخلة في عموم قوله تعالى (انما المؤمنون اخوة) ويكون بالاحسان اليهم على قدر الطاقة والوسع ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم وجلب الخير اليهم ودفع الضرر عنهم وافشاء السلام وعبادة المرضى ومنه مراعاة حق الاصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر الى غير ذلك - ووصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون بالشفقة بهم وتعهدهم فيما يحتاجون اليه واحترامهم وتقديرهم والتودد اليهم كما قال تعالى (قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى) فان في صلتهم صلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي غاية ما يسعى المرء جهده لنواله - ووصل قرابته من الرحم ويكون بأن يطعمهم من جوع ويؤمنهم من خوف أو يقضى عنهم ديناً أو يفرج عنهم غماً أو يقضى لهم ما يحتاجون اليه ان كانوا فقراء ويعاملهم بالتودد ويتعهدهم بالزيارة ويبدأهم بالسلام ان كانوا أغنياء (الثالث) الخشية من الله تعالى ومراقبته جمل شأنه في جميع الاعمال والحركات والسكنات وجميع الاحوال والخوف من سوء الحساب

في الدار الآخرة فان دوام المراقبة والخشية والخوف من سوء الحساب يوم الحساب مما يوطن قلب العبد على طاعة الله تعالى وامتنال أوامره واجتناب نواهيه وما أحسن تلك المعاملة

(الرابع) الصبر عن المحارم والتعفف عن المآثم وترك جميع الموبقات ونبذ سائر المنكرات واحتمال المشاق في أسيرة الله ودينه ولا غرض لهم من ذلك سوى طلب مرضاة الله تعالى وجزيل ثوابه

(الخامس) إقامة الصلاة بحدودها ومواقبتها وركوعها وسجودها وخشوعها على الوجه الشرعي المرضي فان ذلك من حسن المعاملة بمكانة دونها كل مكانة (السادس) الانفاق من فضل الله تعالى على من يجب لهم الانفاق من زوجات وقربات وأجانب من فقراء ومساكين في السر والجله

(السابع) درء السيئة بالحسنة أي دفعها بها فاذا آذاهم أحد قابضه بالجميل صبرا واحتمالا وصفحا وعفوا وان أساء إليهم عفوا عنه وان حصل منه هفوة أغضوا عما حصل منه من الهفوات وتجاوزوا عما فرط منه من الغاطات فهذه الاشياء التي ذكرها الله غاية في حسن المعاملة معه ومع عباده ثم بين ما يترتب عليها من الثواب الجزيل والسعادة الابدية بقوله (أولئك لهم عقبى الدار) ثم فسر ذلك بقوله جنات عدن أي جنات إقامة يخلدون فيها هم ومن هو صالح لدخول الجنة من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ليكون في الجمع بينهم وبين من يحبون من أهلهم وقرباتهم قرّة عين لهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من أبواب الجنة يسلمون عليهم ويهنئونهم بما حصل لهم من التقريب والانععام والاقامة في دار السلام في جوار الصديقين والأنبياء والرسل المكرام جزاء حسن معاملتهم مع الله ومع خلقه

وبعد أن بين سبحانه حال السعداء وما أعدّه لهم من النعيم المقيم أتبع ذلك ببيان أحوال الأشقياء وما أعدّه لهم من العذاب الشديد والعقاب الاليم وهم الذين لم يحسنوا المعاملة مع الله تعالى ومع عباده فقال

(والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار)
جعلنا الله ممن وفى بعهدده ووصل ما أمر بصلاته وخشى عقابه وترك محارمه ابتغاء مرضاته وأقام صلاته وأنفق من فضله وأحسن معاملته آمين

(وقال تبارك وتعالى يعلم نبيه صلى الله عليه وسلم لطف المعاملة وحسن الصانعة مع اليتامى الأذلاء والفقراء الضعفاء ولنا فيه صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة والقُدوة المستحسنة)

فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۖ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۖ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ

(ما يؤخذ من هذه الآيات الكريمات)

يؤخذ منها وجوب حسن المعاملة ولطف المجاملة مع هذين الصنفين من الناس وهما اليتيم الذي مات أبوه وهو صغير والسائل الذي ألبأته الحاجة والفاقة إلى ذل السؤال والتكفف على الناس فحسن المعاملة مع اليتيم أن لا يقهره ولا يفضضه ولا يأخذ منه حثا هو له وأن يكون له كالأب الرحيم للأب البار فيسعى في غناء ماله إن كان له مال وفي تعليمه وتربيته ويحسن كفالته فلا يذله ولا ينهره ولا يهينه ولا يفعل به أى أمر يكدر خاطره أو يحصل له منه ضرر

وانما وصى جل شأنه باليتيم هنا وفي مواضع كثيرة من القرآن الكريم وحث على ذلك ورغب في حسن كفالته ولطف معاملته لأن اليتيم الذى مات أبوه وكان المنكفل بحسن تربيته وتعليمه ونجاحه وفلاحه والسعى وراء كل ما يكون فيه سعادته في الدنيا والآخرة والقائم بتدبير حاله المعاشية والنظر في كل ما يجلب له الخير ويدفع عنه الشر والضير إذا لم

يجد من يقوم له بما كان يقوم له به أبوه ولم يحث جل شأنه على الوصاية وحسن العناية به لاشك ينشأ على الاخلاق الفاسدة والطباع الرذيلة لان النفس بطبيعتها ميالة الى الشرور مطبوعة على الفجور فاذا لم تجد وازعا يكبح زمامها وبحول دون تنفيذ كل رغباتها لاسيما في الصغر تحكمت فيها الشهوات وتمكنت فيها الرذائل والمنكرات فتنشأ صاحبها على ذلك فاسد الاخلاق مرذول الطباع منقادا لأهوائه اليهيمية عبدا لشهواته الدنية وبذلك يكون كلا على الهيئة الاجتماعية بل وعلى نفسه وعائلته فاعمل هذا والله أعلم سر عناية الرب جل شأنه بالوصاية على اليتيم والترغيب في حسن كفالاته

وحسن المعاملة مع السائل يكون اما باجابة مسأله والنصح والاخلاص له في الجواب مع عدم التكبر والتجبر والفحش في القول واظهار الفضل عليه ان كان سائلا عن علم - وامام اعطائه سؤله أو رده برحمة ولين وتعطف وتلطف ان كان محتاجا ويسأل مابه يستد رفقته ويزيل عوزة ولا يصح أن يقابل السائل الذي هذه حالته بالفظاظة والغلظة والكبر من المسؤول فان في ذلك من قلة المروءة وخساسة الطبع مالا يخفى في - على أنه لا يحسن بمعاقل أن يتقلب في نعمة ولا يرى من الشكر على هذه النعمة التي جعلته مسؤولا وغيره سائلا وعزيزا وغيره ذليلا يشكف الناس ويسألهم هذا يمنعه وهذا يمنعه أن يمنح أخاه المؤمن وهو يسأله مما يمنحه الله من العلم أو المال مع أنه لا ينقصه شيأ فان لم يمنحه مسأله من العلم أو المال مع عدم تأنيبه في ماليته فذلك من زمانة في مروءته وخساسة في طبعه والله أسأل أن يرشدنا الى العمل بالكتاب والسنة والتخاطب بأخلاقه انه سميع الدعاء كثير العطاء

﴿ وقال جل ذكره يحث على حسن المعاملة مع الناس بالعفو عن مذنبهم والصفح عن تائبهم ﴾

وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي
الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا
وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

((ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة))

ترشد هذه الآية الكريمة الى وجوب صلة الرحم والاقرباء مهما اقترفوا
من الذنب ولا يكن مافعلوه سببا في أن يأتلى أولو الفضل والسعة
أى يحلفوا أن ينعوهم ما كانوا يحسنون به عليهم ولا يكن دينهم معهم
العفو عن ذنبهم الذى أذنبوه وجناباتهم التى اقترفوها والصفح عن تائبهم
بالاغضاء عنه والانغماض عن جنابته فان ذلك سبب لعفو الله تعالى
ومغفرته كما قال تعالى مرغبا في الصنف والعفو هانا عليهم ما (وليعفوا
وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم)
هذا والآيات القرآنية الدالة على محاسن الآداب ومكارم الاخلاق كثيرة
لاتسكاد قسبى وقد اقتصرنا منها على هذا النزر اليسير ليقاس على الشاهد
الغائب والله ولى التوفيق ومنه الرشدا والسداد

الادب فى الزيارة

اعلم أن الانسان خلق مدنيا بالطبع لا يمكن أن يعيش منفردا بل لابدله
من مخالطة أبناء جنسه والمساكنة معهم والتودد لهم ولذا كان جل هم
الشريعة الغراء السعى وراء كل مافيه تقوية هذه الجامعة وتعزيد هذه
الرابطة فقررت فيما قررت من أسباب السعادة مبادئ الاخاء الاسلامى
تحت جامعة الدين فقال تعالى (انما المؤمنون اخوة) وقال جل شأنه
(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وقال جل ثناؤه فى سياق الامتنان
على عبده وتعداد النعم عليهم (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء

فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا) وقال صلى الله عليه وسلم (المؤمن
آلف مألوف ولاخير فيمن لا يألف ولا يؤلف وخير الناس أنفعهم للناس)
وقال صلوات الله وتسليماته عليه (مثل المؤمنين في تراجهم وتواددهم وتواصلهم
كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحصى والسهر)
وبثت فيما شرعته من العبادات كل الوسائل التي بها تزداد هذه الرابطة
وتقوى هذه الجامعة فشرعت الحج والجمعة والجماعات والعيدين الى غير
ذلك مما به تقوى روابط الاجتماع الذي هو من مقتضيات الفطرة
الاصيلة والخلقة الجبلية

ولما كانت الزيارة وتودد الناس الى بعضهم لتبادل المنافع الجمومية فيما
بينهم التي هي من ضروريات معاشهم والافادة والاستفادة من
أقوى أسباب المحبة وأمتن روابط المودة وأقوى العوامل في التئام شمل
الاحياء ودوام المودة بين المحبين والاصدقاء كان من المستحسن بيان مالها
من الآداب والشروط حتى تأتي بالفائدة المقصودة اذ كثيرا ما تكون
الزيارة سببا في تفرق الاصدقاء ونفد الصلوة بين المتصاحبين اذ افقد شرط
من شروطها أو اختل أدب من آدابها كان يدخل الزائر في بيت المزارع من
غير اذنه أو يدخل باذنه ولكن يشخص ببصره نحو نوافذ البيت وأبوابه
لعله يرى من أهله ما يقضى به شهوة عينيه فيكون ذلك سببا في حصول
النفرة والشقاق بينه وبين صاحب البيت الى غير ذلك مما يخالف الآداب
ويرى بصاحبه في مهواة العذاب لذلك جاء القرآن الكريم وهو المعلم
الاول والمرشد الاكبر ببيان آداب الزيارة وما يجب أن يكون عليه صاحبها
من الآداب والكلمات

((فن ذلك عدم الدخول في بيت أحد الا بعد الاستئذان منه بالدخول
مالم يكن بيتا غير مسكون فيه متاع له فله أن يدخله بدون استئذان
وقد بين الله ذلك بقوله))

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى
تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ^{٢٩} فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى
يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى
لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ^{٣٠} لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ
تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
مَا تَبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ

(ما ترشد اليه هذه الآيات الكريمة)

ترشد هذه الآيات الى بيان ما أدب الله به عباده المؤمنين اذا زار
أحدهم الآخرين جل شأنه أنه لا يصح لأى شخص أن يدخل في
بيت غير بيته الا بعد أن يسلم على أهله ويستأذن منهم في الدخول فيقول
السلام عليكم ءأدخل فان لم يجد أحدا في البيت أو وجد وقال له ارجع
فارجع من غير معاودة استئذان مرة أخرى وعليه بعد ذلك أن ينصرف
ولا ينتظر طرفة عين فان ذلك خير له وأفضل لما فيه من سلامة الصدر
والبعد عن الريبة والفرار من المنكر وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا
عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) فان لم تجدوا فيها أحدا فلا
تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم
والله بما تعملون عليم) وهذا اذا كانت البيوت معدة لسكنى أناس
مخصوصين أما اذا كانت معدة ليدخل فيها كل من له حاجة تقصده منها كالفنادق
التي في الطرق يأوى اليها المسافرين للمبيت فيها وغيرهم وبيوت التجار

وحوائثهم التي في الاسواق فانها معدة لان يدخلها كل واحد يريد
الشراء فقل هذه لآباس من الدخول فيها بغير استئذان وهذا ما أفاده
الله تعالى بقوله (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها
متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون)

وانما نهى جمل شأنه عن الدخول في بيوت الغير بغير استئذان من
صاحبها لانه لا يخفى أن لكل انسان في بيته تصرفات وأعمالا وأحوالا
لا يجب أن يطلع عليها أخص الناس به وأحبهم لديه وأعظمهم محبة
وأقواهم رابطة ومودته وأقربهم قرابة منه بل ولأبوه ولأخوه ولأبنوه
إذا كانوا متباعدين عنه ومنفصلين في المعيشة منه فإذا دخل بغير
استئذان كان ذلك داعية الاطلاع على ما لا يجب الاطلاع عليه فيكون
ذلك سبب الفقرة وداعية الريبة وربما طلق زوجته بسبب ذلك وخرب
بيته فتعطلت مصالحه الداخلية وفسد حاله ولحق به أعظم الضرر
- ولان من في البيت من النساء إذا من دخول أحد عليهن ربما كشفن ما لا
يجب كشفه لقريب فضلا عن غريب فإذا دخل بغير استئذان كان ذلك
داعية الاطلاع على عوراتهن وهو ما تأباه المروءة - ولان في الدخول
بغير استئذان تصرفا في ملك الغير وهو ممنوع فلهذا كله نهى الشريعة
الغراء عن الدخول في بيوت الغير بغير اذن من صاحبها - وعليه اذا
استأذن وقيل له من أنت أن لا يقتصر في الجواب على قوله أنا لان
ذلك نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي الصحيحين وغيرهما
عن جابر بن عبد الله قال (استأذنت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال
من هذا فقلت أنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أنا أنا كأنه كره ذلك)
وليعلم صاحب البيت من هو حتى يرى اذا كان له رغبة في دخوله أو
مقابله أولا يرى ذلك ولا يكون ذلك مع عدم التصريح باسمه ولان الاقتصار
على قوله أنا لم يحصل به المقصود من التعريف مع عدم التصريح
بالاستئذان المأمور به في الآية والله أعلم

﴿ وقال تبارك اسمه في بيان أنه اذا دخل أحد في أى بيت له أو لغيره فعليه أن يسلم على أهل ذلك البيت ﴾

فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ

﴿ ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة ﴾

ترشد هذه الآية الكريمة الى بيان ما أدبنا الله به من الآداب الشرعية والاخلاق الطاهرة الزكية من أنه اذا دخل أحدنا بيته أو بيت غيره سلم على أهل ذلك المنزل الموجودين فيه غير أنه اذا دخل بيت غيره أصحب السلام بالاستئذان كافي الآية المتقدمة سواء كانت هذه البيوت مسكونة أو غير مسكونة فان كانت مسكونة سلم على أهلها واستأذن عليهم ان كانت للغير فان كانت له فلا حاجة للاستئذان وان كانت غير مسكونة سلم على نفسه بأن يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وفي حكمها المساجد وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة) أى فإذا دخلتم أى بيت سواء كان لكم أو لغيركم كما يقتضيه العموم فى الآية فسلموا على أنفسكم أى على أهل الذين هم بمنزلة أنفسكم أو على أنفسكم حقيقة ان لم تكن مسكونة تحية من عند الله أى ثابتة بأمره تعالى مشروعة من لدنه عز وجل مباركة أى كثيرة البركة والخير داعئهما طيبة لان بها تطيب نفس المستمع وفي وصف التحية بأنها من عند الله وأنها مباركة وأنها طيبة ترغيب فيها وحث على فعلها حسب أمره جل شأنه والله أعلم

﴿ وقال جل وعز في وجوب استئذان المالك والخدم والاطفال الذين

سورة	آية	لم يبلغوا الحلم عند ارادة الدخول على مخدومهم أو آبائهم في ثلاثة أوقات من الليل والنهار ووجوب استئذان الاطفال اذا بلغوا الحلم في جميع الاوقات)
النور	٥٨	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ تَأْذِنُكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدُهَا طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٥٩ وَأَذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
		(ما ترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان)
		ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى بيان ما أمر الله به المؤمنين والمؤمنات من وجوب استئذان خدمهم وما ملكت أيمانهم من العبيد والاماء وأطفالهم الذين لم يبلغوا الحلم عند ارادة الدخول عليهم في ثلاثة أوقات الوقت (الاول) من قبل صلاة الفجر لان الناس حين ذاك يكونون نياما وربما نام الرجل أو المرأة على حالة لا يجب أن يطلع عليه أحد فيها فإذا دخل أحد من ذكر أو أنثى بغير استئذان في هذا الوقت كان ذلك داعية الاطلاع على ما لا ينبغي الاطلاع عليه وقد عمت البلوى بهموم هذا الامر فلا تكاد ترى خادما يجلب عن مخدومه أو مخدومته في أى وقت من الاوقات وخصوصا في العائلات السكينة بدعوى عدم الاكتراف بهم وهو امر الحق من أكبر

سورة	آية
	المخطورات وأقطع المنكرات لانه كثيرا ما كان سببا في حصول مفساد بأبائها أولو النفوس الآبية والاخلاق الطاهرة الزكية (الثاني) وقت القبولة عندما يتجرد الانسان من ثيابه من شدة حر الظهيرة وذلك عند انقضاء النهار فان الدخول في هذا الوقت مجلبة للفساد وداعية الاطلاع على ما لا يحل الاطلاع عليه لانه ربما كان أهل البيت بحالة يكره أن يراهم عليها أحد من الناس أياما كانت حالته (الثالث) الوقت بعد صلاة العشاء لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والخلوة بالاهل والالتحاف بثياب النوم - فهذه هي الاوقات الثلاثة التي حذر الشارع دخول الخدم والاطفال على مخدوميههم وآبائهم الاباذن وأشار جل شأنه الى علة الحظر وسبب المنع بقوله (ثلاث عورات امكم) أي هذه الافاق الثلاثة هي التي تكون فيها العورة وبعد أن بين جل شأنه أوقات الحظر والمنع من الدخول الاباذن أخذ بين أوقات الاباحة التي يحل للخدم والاطفال أن يدخلوا على مخدوميههم وآبائهم فيها بغير استئذان فقال (ليس عليكم ولا عليهم جناح بعد هن طوافون عليكم بعضكم على بعض) أي اذا دخلوا في أي وقت غير هذه الافاق الثلاثة فلا جناح عليكم ولا اثم في تمكينكم اياهم من الدخول عليكم ولا عليهم أيضا اذا رأوا شيئا لانه كان عن اذن ولا نهم طوافون عليكم في الخدمة وقضاء حوائجكم الضرورية ولوازمكم المنزلية وبغفر في الطوافين بحكم الضرورة مالا يغتفر في غيرهم ثم أخذ جل شأنه يبين حكم الصبي اذا بلغ بعد بيان حكمه وهو صبي فقال (واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم) يعني أن الاطفال منكم الذين كانوا لا يستأذنون الا في العورات الثلاث فقط اذا بلغوا الحلم وجب عليهم أن يستأذنوا في جميع الافاق عند ارادة الدخول على آبائهم أو أمهاتهم كما استأذن الذين من قبلهم وهم الذين قبل لهم لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلوا على

أهلها والمراد بهم الاحرار الكبار الذين أمروا بالاستئذان من غير استثناء
وقوله جل شأنه (كذلك يبين الله لكم آياته) أى الدالة على ما فيه نفعكم
وصلاحكم (والله عليم) بأمور خلقه فيما بين من الاحكام (حكيم)
فيمادبر وشرع من مصالح العباد فشرع لكم ما فيه صلاحكم معاشا ومعادا

الادب فى المجالسة

هو أن يوسع جلسته اذا أقبل عليه ولا يضيق عليه وأن يجلس بين يديه
بغاية الادب والسكينة والوقار اذا كان أكبر منه سنا أو علما وخصوصا
اذا كان أباه أو شيخه وأن يرحب به ويقبل عليه اذا حدثه ولا يمد
رجليه بين يدي جلسته ولا يضع رجلا على أخرى بحضرة من هو أكبر منه
ان كان ذلك بغضبه ولا يبصق ولا يمتخط الا فى منديل مواريا وجهه عن
جلسته واذا تنأب فلا يصحب التثاؤب بصوت بل يضع يده على فمه فان مخالفة
ذلك مما يستقذره الناس

(والى أكمل هذه الآداب وأجلها وأحسن هذه الاخلاق وأفضلها
أشار الله تعالى بقوله)

المجادلة

١١

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَقَسَّعُوا فِي الْمَجَالِسِ
فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا
يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

(ما تفيد هذه الآية الكريمة)

تفيد هذه الآية الكريمة بيان ما أدب الله به عباده المؤمنين وأمرهم

به من حسن المعاملة والمجاملة ورعاية الادب في حق بعضهم فن ذلك اذا كان جماعة في مجلس وقدم عليهم آخر أو جماعة أخرى وفي المكان ضيق فعلى الجالسين أن يوسعوا للقادمين مسرعين في ذلك سواء كان المجلس مجلس ذكر أو تعليم أو صلاة جماعة أو جمعة أو غير ذلك من مجالس الخير لان ذلك يكون سببا للتوادر والتوافق والتحابب ونبتد التباغض والتحاسد وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا) وقد وعد جل شأنه من تأدب بهذا الادب الكامل وتخلق بهذا الخلق الفاضل أن يجازيه من جنس عمله فيوسع عليه في رزقه وصدره وقبره وفي منزله وفي الجنة وهو ما أفاده الله تعالى بقوله (فافسحوا يفسح الله لكم) هذا ما أمر الله به من التوسعة في المجلس وأما القيام منه للقادم فقد جوزه بعض العلماء اذا كان لعظيم لقوله عليه الصلاة والسلام (قوموا الى سيدكم) ومنهم من منعه لقوله عليه الصلاة والسلام (من أحب أن يتمل له الناس فيما فليتبوء مقعده من النار) ومنهم من فصل فقال يجوز عند القدوم من سفر ولما كنتم في محل ولايته كما دل عليه قصة سعد بن معاذ فانه لما استقدمه النبي صلى الله عليه وسلم حاك في بني قريظة فراه مقبلا قال للمسلمين من قومه وقبيلته (قوموا الى سيدكم) وذلك ليكون أنفذ لحكمه وأدعى لتوقيره وتمثل عظمته في قلوبهم وفي غير ذلك لا يجوز فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم لا يقومون للنبي صلى الله عليه وسلم اذا قدم عليهم ولم يكن أحد أحب اليهم ولا أمكن هيبته في قلوبهم منه وذلك لما كانوا يعلمون من كراهته لذلك أما القادم نفسه فليس له أن يقيم أحدا من مجلسه ليجلس مكانه فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ولكن تفسحوا وتوسعوا) ولما كان الغرض من التوسعة في المجلس للقادم غرس بذر المودة والمحبة في قلوب المؤمنين بعضهم مع بعض ولا يكون ذلك الا حيث كانت التوسعة

مصحوبة بشئ من الخفاوة والاحتفال بأمره والاعتناء بشأنه ومن ذلك أن ينهض مسرعا في التوسعة حيث جل شأنه على النهوض بسرعة للتوسعة في المجلس للقادم فقال (واذا قيل انشروا فانشروا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) أى واذا قيل لكم انهمضوا للتوسعة في المجلس للقادمين عليكم فانهمضوا وأسرعوا ولا تتشبثوا فانكم ان فعلتم ذلك يرفع الله الذين آمنوا منكم في الدنيا والآخرة درجات عظيمة جزاء امتثالهم لأمر الله تعالى في قيامهم من مجالسهم وتوسعهم لآخوانهم ويرفع الذين أوتوا العلم منهم خاصة درجات أعظم وأرفع لانهم انما يفعلون ما يؤمرون به عن بينة وقوة يقين

وانما خص جل شأنه أولى العلم مع دخولهم في علوم الذين آمنوا لانه لما علم جل شأنه أن أهل العلم بمكانة بها يستوجبون عند أنفسهم وعند الناس ارتفاع مجالسهم خصهم بالذكور عند الجزاء ليسهل عليهم ترك ما لهم من الرفعة في المجلس تواضعا لله عز وجل وفي الآية مما يدل على فضل العلم والعلماء على غيرهم مالا يخفى

وان لم تفعلوه بان كرهتم أن تتأدبوا بأداب الله واستعظمت أن توسعوا مجالسكم للقادمين عليكم حسبما أمركم ربكم فان الله بما تعملون خبير لا يخفى عليه خافية من أعمالكم من خير أو شر فيجازيكم بالخير خيرا وبالشر شررا والله يتولى هدايا أجمعين

الأدب في المحادثة

اعلم أن أعصى الاعضاء على الانسان اللسان فانه لا تعب في طلاقه ولا مؤنة في تحريكه ولذا ترى أغلب الخلق قد تساهل في الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من مصايده وحبائله فأوردتهم المهالك وجرحهم الى المصائب وما كب الناس في النار على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم فاللسان خطره عظيم ولا نجاة من خطره الا بالجامه بلجام الشرع

ووقوف صاحبه به عند الحدود والآداب التي أدبه بها الشرع وعلمه
 إياها في محادثاته ومخاطباته فلا يطلقه الا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة
 ويكفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله وآجله وذلك بان يعقله الاعن
 حق يوضحه أو باطل يدحضه أو حكمة ينشرها أو نعمة يذكرها ولا
 يتكلم به الا بقدر الحاجة والضرورة وأن يقتصر في التكلم به على
 ما يقيم حجته ويبلغ حاجته وأن لا يغالب أحدا على كلامه واذا سئل
 غيره فلا يجيب عنه واذا حدث بحديث فلا ينزعه ولا يقتحم عليه
 فيه ولا يريه أنه عالم به وأن يكلم كل انسان بما يليق به فلا يخاطب
 السوقه بكلام الملوكة ولا الملوكة بكلام السوقه وأن لا يتكلم الا اذا
 دعا داع الى الكلام فان مالا داعي له هذيان وأن يجتنب في محادثته
 ثلاثة أشياء وهي أعظم الأشياء خطرا على الانسان وأبغضها لله وأقبحها
 عند الناس وهي الكذب والغيبة والنميمة وأن لا يتجاوز في مدح
 ولا يسرف في ذم لان السلامة من الكذب في المدح والذم متعذرة
 وأن لا يتكلم الا فيما يعنيه وأن يضع الكلام في موضعه لان لكل مقام
 مقالا وأن يجتنب في حديثه كل ما يكدر مخاطبه وأن لا يرفع صوته
 فوق صوت من هو أكبر منه فان ذلك كله مما ندب اليه الشرع وسلمه
 سليم الطبع فان لاحظ المتكلم في حديثه هذه الاعتبارات السابقة
 وألزم نفسه رعايتها في كل أحواله كان ممن كملت سعادته وتحققت
 نجاته وعظم قدره وكثر نفعه وانتشر ذكره وكل عقلة فان عقل
 المرء مخبوء تحت لسانه بمصدق قوله عليه الصلاة والسلام
 (لسان العاقل من وراء قلبه فاذا أراد الكلام رجع الى قلبه فاذا كان
 له تكلم وان كان عليه أمسك وقلب الجاهل من وراء لسانه يتكلم بكل
 ما يعرض له)

وقد أرشدنا الله سبحانه وتعالى الى السبيل التي نسلكتها لتتوصل منها
 الى معرفة هذه الآداب اللسانية فأمر بغض الصوت عند التكلم وبأن

سورة	آية	
		نقول للناس حسنا وأمرنا بالأعراض عن يتكلمون بمنكر حتى يخوضوا في حديث غيره ونهى عن الغيبة والنميمة والكذب وعن التكلم فيما لا يعنى ولا يفيد من القول الى غير ذلك مما أمر به ونهى عنه ﴿ فن ذلك ما أمر به جل شأنه من الملائقة في القول والمجاملة في الحديث ومجانبة الخشونة فيه لما يترتب على ذلك من اضرار الصدور وقول الاحقاد وغرس العداوة والبغضاء وهو قوله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴾
الاسرا	٥٣	وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿ ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة ﴾ ترشد هذه الآية الكريمة الى ما علمنا الله اياه من حسن الادب في المحادثة والمخاطبة فقد أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباده المؤمنين أن يقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم ومحادثاتهم الكلمة الطيبة والمراد الكلام الحسن الذي لا خشونة فيه فانهم ان لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم وألقى بينهم العداوة والبغضاء لانه العدو اللد للانسان يتربص به الدوائر ويتربص له الفرص في حصول الشحناء بين بعض أفراده فالعاقل كل العاقل من لم يجعل للشيطان حظا من قلبه حتى يملكه من غرضه وينيله أمنيته ويحقق له رغبته والا كان قد أسلم نفسه لعدوه يفعل فيها كيف يشاء وهو لعمري فعل غير حكيم ﴿ وقال تعالى في النهي عن التكلم فيما لا يعنى والسؤال عما لا يعود على السائل منه أدنى فائدة بل ربما ساءه وأضر به ﴾
المائدة	١٠٤	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدِّلَكُمْ

تَسْأَلُكُمْ وَأَنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنْزِلُ الْقُرْآنُ تَبْدَلَكُمْ
عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ

(ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة)

ترشد هذه الآية الكريمة الى بيان تأديب الله تعالى عباده المؤمنين وتعليمهم الادب معه ومع رسوله صلى الله عليه وسلم وقت التشريع حيث نهاهم عن أن يسألوا عن تحريم مالم يحرم أو إيجاب مالم يجب من التكليف التي تشتهى نفوسهم الوقوف عليها ولم ترد على لسان الشارع صلى الله عليه وسلم مع أنهم لو سألوا عنها كان سؤالهم ناشئا عن استعداد فيهم لقبولها فتضرب عليهم موافاة لاستعدادهم ثم يضعفون بعد ذلك عن القيام بها فيحل بهم غضب الله وهذا ما يفيد قوله تعالى (وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكم) فأدب المرء بالنسبة لله سبحانه وتعالى هو أن يسكت عما تركه الله ذكره لانه جل شأنه هو العالم بالمصالح والمحيط علمه بكل شئ ولو علم أن في ذكر هذه الاشياء خيرا كثيرا لذكرها وقد أفاد الله ذلك بقوله (عفا الله عنها والله غفور حلیم) أى عفا عن هذه الاشياء بعدم ذكرها فليس لکم أن تسألوا عنها بل استكنوا عنها كما ترك هو سبحانه ذكرها فهو جليل شأنه غفور حلیم لا يعاجل من عصاه بالعقوبة لكثرة مغفرته وسعة حلمه والله أعلم

(وقال جل ثناؤه في الحديث على التمسك مع الناس بالحق واللين والرفق ومجانبة الفظاظ في القول والغلظة في الحديث آخذوا العهود والمواثيق من بني اسرائيل على ذلك)

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ

وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا

(ما تفيد هذه الآية الكريمة)

تفيد هذه الآية الكريمة بيان ما أمر الله به نبي إسرائيل وأوجب عليهم أن يؤدوه من الحقوق والآداب نحوه جل شأنه ونحو عبادته وأخذ عليهم العهود والمواثيق بذلك فأعظم هذه الحقوق وأولاها بالرعاية أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً لأنه هو الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الاوقات والحالات فهو المستحق أن يوحده ولا يشركوا به شيئاً من مخلوقاته - ثم يليه حق الوالدين وهو برهما وحسن معاشرتهما والتواضع لهما والرحمة بهما والنزول عند أمرهما فيما لا يخالف أمر الله تعالى ويوصل اليهما ما يحتاجان اليه ولا يؤذيهم ما وإن كانا كافرين وبالجملة يفعل كل ما يرضيهما ولا يؤذيهم - ولعناية الله تعالى ببر الوالدين وأداء ما يجب لهما من الحقوق قرن ذلك بأعظم الأشياء لديه وهو عبادته وحده لا شريك له وذلك في غير هذا الموضع من القرآن كثير فنه قوله تعالى (أن اشكروا لوالديك الى المصير) وقوله (وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احساناً) الى غير ذلك من الآيات

ثم من بعده حق اليتامى وهم الذين مات آباؤهم وهم صغار وحققهم أن يتولى تربيتهم ويحسن تأديبهم ويكفل مصالحهم ويسعى في صالحهم وبالجملة يجلب لهم كل خير ويدفع عنهم كل شر وضير

ثم من بعده حق المساكين وهم الذين لا يجدون ما يقوم بكفائتهم وحققهم أن يقوم بمساعدتهم بما تتم به كفائتهم وتزول به ضرورتهم ويكفيهم مؤنة ذل السؤال ولا يلجئهم الى تكفف الناس ثم بعد أن أمرهم جل شأنه بالاحسان بالفعل على الوالدين والافريقين واليتامى والمساكين وأخذ عليهم العهود والمواثيق بذلك أمرهم بالاحسان بالقول مع

سورة	آية	سائر الناس ليجمع بين طرفي الاحسان الفعلي والقولي فقال (وقولوا للناس حسنا) أي كلموهم كلاما طيبا عند محادثتكم لهم ومخاطبتكم ايهم ولينوا لهم جانبا وليكن حديثكم معهم هينا ليناسا وسطا ليس بالغليظ المرتفع فيمع ولا بالمنخفض بحيث يكلف المستمع طلب اعادته ويدخل في ذلك كل حسن من القول سواء كان أمرا معروفا أو نهيا عن منكر
لقمان	١٩	(وقال جل ذكره في الحث على خفض الصوت عند المحادثة لان في رفعه تشويشا على المستمع وأذى له) وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة)
١٢	١٢	ترشد هذه الآية الكريمة الى ما أوصى به لقمان عليه السلام ابنه من الوصايا النافعة وحسنه عليه من الادب في المحادثة وأمره به من التلطف في القول واللين فيه وعدم تكلف رفع الصوت به فان الجهر بالصوت بأكثر من الحاجة يؤذي السامع ويضر به ولذا بلغ من القباحة والشناعة والبشاعة والكراهة أن يشبه رافعهو بالخير وهو بصوت الخير ولا جرم أن في تشبيه الرافعين أصواتهم بالخير وتجميل أصواتهم بالنهي تنبيها على أن رفع الصوت غاية في الكراهة ونهاية في القباحة (وقال تبارك اسمه في النهي عن الغيبة) وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (ما تفيد هذه الآية الكريمة) تفيد هذه الآية الكريمة حرمة الغيبة وبشاعتها وأنها من أخبث الاقوال

وأصعب الاحوال وأسوء الاخلاق ولذا ترى الله جلّت قدرته شبهها بأكل
لحم الانسان وذلك هو الامر القبيح الذي تنفر منه الطباع وتجه الاسماع ولم
يقف جل شأنه عند هذا الحد من التشبيه والتشنيع بل جعل هذا الانسان
الذي شبهت الغيبة بأكل لحم ميتا وذلك أعظم فظاعة وأقبح شناعة وسماعة
أشدّ وخزا في النفوس من الوخز باللسر فضلا عن فعله لهذا قال جل
شأنه (ولا يغتب بعضكم بعضا أيحِب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا
فكرهتموه) أي وحيث كرهتم أكل لحم الانسان وهو ميت فاكرهوا الغيبة
لان عقوبتها أشدّ وقد حدّ الغيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند
ما سئل عنها فقال (هي ذكرك أخاك بما يكره قبل أفرايت ان كان في أخى
ما أقول فقال صلى الله عليه وسلم ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم
يكن فيه ما تقول فقد بهته) وقال عليه الصلاة والسلام (يا معشر من آمن
بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه
من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته)
وقال عمر رضي الله تعالى عنه (اذا فسد الزمان فحفظوا من الناس
بسوء الظن) فمن الحق على كل مسلم أن لا يقيم عذر مغتاب
وان قال حقا ولا يساعده وان قصد بغيبته صدقا فان ذلك من
سوء الادب وقلة الحفيظة وعدم المروءة لان المغتاب الصادق
قد أظهر قبيحا كان مستورا وهتك ستره كان مسدولا وفضح سرا كان
مكتوما وأحل أمرا محرما فإرعى ذمة ولا حفظ حرمة وفي منشور الحكم
الليث اذ اغتاب عاب واذا حضر اعتاب

وبالجملة فلو لم يكن في الغيبة من المذاق والقبايح الا ما شبهها الله به من أكل
لحم الانسان الميت لكان في ذمها وقبحها وبعد أن نهى الله جل شأنه
عن الغيبة ومثلها بأقبح مثال وأشنع عقاب بالامر بالتقوى والترغيب في
التوبة فقال (واتقوا الله ان الله تواب رحيم) أي اتقوه فيما أمركم به
ونهاكم عنه وراقبوه في ذلك واخشوه وتوبوا اليه مما فسرط منكم

فانه تواب على من تاب اليه رحيم لمن رجع اليه والتوبة من الغيبة تكون
بإقلاعه عنها والعزم على أن لا يعود اليها وأن يشفى على من اغتابه في
المجالس التي كان يذمه فيها حتى يذهب ما كان في قلبه من الحقد والضعفنة
والبغض ونحوه والله أعلم

﴿ وقال جل شأنه في النهي عن النميمة ونقل الحديث من قوم الى آخرين
على وجه السعاية والافساد فيما بينهم ﴾

وَلَا تُطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ۖ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بَنِيمٍ ۚ مَنَاعٍ
لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ

ن ١٠

﴿ ما يؤخذ من هذه الآيات الكريمات ﴾

يؤخذ من هذه الآيات حرمة صحبة من لا اخلاق لهم من الناس ومجانبة
المجالسة والمحادثة معهم وعدم طاعتهم في كل ما يقولون وهم الذين بينهم الله
تعالى في قوله (ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنيم مناع للخير معتد
أثيم) فهذه سبعة أوصاف كلها مثالب ومعائب نهى الله تعالى نبيه صلى
الله عليه وسلم عن طاعة المتصفين بها وهو تعليم لنا وإرشاد لما يجب أن
نتخلق به من الاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة ونتركه من الاخلاق
الفاصلة والصفات الكاسدة

ووجه النهي والله أعلم أن الحلاف وهو كثير الخلف سواء في الحق أو في
الباطل قلما يتحرى الصدق في أيمانه فهو عرضة على الدوام للكذب
والخطا فيها فضلا عما له من الجراعة على الله تعالى وعلى أسمائه ومثل
هذا يجب مجانبته وتحريم مخالطته ولذا جعله جيل شأنه فاتحة المثالب
ومقدمة المعائب

وأن طاعة المهين وهو حقير الرأي والتدبير ربحا أوردته المهالك وجرن

به الى أخبت المسالك لانه يريد أن ينفخ فيضمر فطاعة مثل هذا لانتيجة لها سوى الضرر

وأن الهماز وهو العياب الطعان لا تؤمن غوائله فهو اليوم له وفي غده عليه فضلا عن أنه بطاعته يعد شر يكاله في هذه المنقصة وهذه الرذيلة لانه لا يعيب غيره ولا يطعن عليه الا لزمانة في مروعته وخسة في أصله ولؤم في طبعه وأن المشاء بالنيم وهو النقال للحديث من قوم الى آخرين لينفسد بينهم لاهم له الا الاتقاع بين الناس والافساد بينهم والقاء بذور الشقاق والخصومات فيما بينهم وايغار الصدور وتوليد الشرور ومثل هذا تجب محابته ونحرم طاعته وتعاقب محاسنته لان صحبته غرر وطاعته ضرر ومحاسنته خطر فكثيرا ما هلك وأهلك وأراق الدماء وسفك وماجد أعياسك

وأن المناع للخير وهو البخل الممسك يمنع أحوج ما يكون اليه صاحبه ومثل هذا لاخير في صحبته وطاعته

وأن المعتدى وهو المتجاوز الحد في الظلم لا يؤمن شره ولا يؤمل خيره فهو أولى بالاجتناب وأحرى بنذ طاعته سدا للباب

وأن الانيم وهو كثير الائم والمعصية لم يبال بالمجاهرة بمعصية خالفه ولم يخش من جلاله وعظمته فلا يبال أن يجاهر صاحبه بأذيتيه وينابذه بعداوته ومثل هذا يجب نذ طاعته وتجنب مخاطبته والله يسر كلامه عليهم

(وقال جل ثناؤه في النهي عن الكذب في القول وقت المحادثة)

قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ

(ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة)

ترشد هذه الآية الكريمة الى قبح الكذب وذم فاعله وذلك بما أخبر الله تعالى به عن الكذابين من عدم الفلاح والنجاح وكفى بأى صفة ذما أن تكون نتيجتها عدم الفلاح والنجاح

والآيات القرآنية الواردة في ذم الكذب والكذابين وماله من العذاب
الاليم والعقاب الشديد في الآخرة كثيرة لانكاد تحصى وفيما ذكر ما يغني
عن الاطالة والله ولي التوفيق

الادب في الاكل والشرب

اعلم أن من أهم الامور وآكدها الاعتناء بتربية النشء أي الاطفال
الصغار وتعويدهم على التخلق بالكمالات في حال نشأتهم لان الصبي عند
ما يولد يكون ساذجا خاليا عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما نقش له
ومائل الى كل ما يميل به اليه فان عود على الخير وعمله نشأ عليه وسعد
في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه ابواه وكل معلم له ومؤدب وان عود
على الشر وأهمل اهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه
والمتولى أمره وقد قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم
نارا) واذا كان الاب يصونه عن نار الدنيا فلا أن يصونه عن نار الآخرة أولى
- وصيائته بان يؤدبه ويهذب ويعلمه مكارم الاخلاق ومحاسن الصفات
وحيث ان أول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغي أن يؤدبه فيه
مثل أن لا يكثر من الطعام ولا يسرف فيه فان الله سبحانه وتعالى يبغض
من يفعل ذلك وأن يقبح عنده كثرة الاكل بان يشبهه كل من يكثر الاكل
بالبهائم ويذم بين يديه كل من يكثر الاكل من أمثاله وأن لا يطمعه الا
حلالا طيبا طاهرا من ربا أو غصب أو سرقة ويبين له الحلال منه وطرق
تحصيله والحرام منه ويباعده عنه ويبين له المواضع التي أباح الله له الاكل
منها من بيوت أفار به كآبمه وأمه وأخيه وأخته وعمه وعمته وخاله وخالته
أو صديقه ويبين له آداب الاكل منفردا أو مع غيره قبل الاكل وبعده
وقد بين الله جل شأنه هذه الآداب على أحسن وجه وأكمل

(قال تبارك اسمه في النهي عن كثرة الاكل والشرب والاسراف فيهما
وبغضه لذلك)

وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ

(ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة)

ترشد هذه الآية الكريمة الى ما علمنا الله اياه من الطب وأرشدنا اليه من الحكمة وهدانا اليه مما تصح به أيداننا وتقوى به أجسامنا وتطيب به معيشتنا وتمهنا به حياتنا من عدم الافراط في الاكل والشرب والاسراف فيهما لان كثرة الاكل والشرب تفسد المعدة وتطفى نارها وتضعف الجسم وتكثر الارباح في البطن وتصفر اللون وتضييق النفس وبذلك يضعف الفكر ويخمد الذهن وينحط الادراك واذا حجب القلب عن الادراك ومنع الذهن عن الحركة في المعقولات خسر صاحبه بابا كبيرا من العبادات لان غاية المقصود من العبادات انما هو الفكر الموصل الى المعرفة والاستبصار بحقائق الحق وكثرة الاكل كما علمت مانعة منه ولهذا قال لقمان لابنه يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخسرت الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة

ولكثرة الاكل غير ذلك من المضار منها انها تهيج الشهوات التي هي منشأ جميع المعاصي فلا يكاد الانسان يملك نفسه ويكبح زمامها ويقودها الى ما فيه صلاحها

فلهذه المضار نهى الشارع الحكيم عن الافراط في الاكل والشرب والاسراف فيهما وقد بينت السنة حد السرف المنهى عنه فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان من السرف ان تأكل كل ما اشتبهت) كما بينت القدر اللازم والمقدار الواجب استعماله منهما فقد قال صلى الله عليه وسلم (ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان فاعلا لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) هذا وبعد أن نهى جل شأنه عن الاسراف في الاكل والشرب أخذ يتوعد ويهدد

من خالف أمر الله فأُسرف فيهما ولم يقتصر على استعمال القدر الواجب استعماله منهما فقال (انه لا يجب المسرفين) أى يَغْنَمُهم وناهيك بغضب الله تعالى وعدم رضاه فانه داعية الهلاك وسبب كل المصائب وأى عاقل يجراً على أن يُغضب الله تعالى في مقابلة مرضاة نفسه باتباعها في شهوة هي سبب هلاكه وداعية لأسقامه وآلامه اللهم أعنا على أنفسنا باستعمالها في كل ما تحب وترضى انك سميع الدعاء كثير العطاء

(وقال جعل ثناؤه في بيان ما أحل الله أكله من الطعام وهو الحلال الطيب الطاهر وما حرمه منه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله وما أباح تناوله مع كونه محرماً للضرورة والاحتياج اليه مع عدم وجود غيره)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ^{١٧٣} إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَنَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهَلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَن اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

البقرة ١٧٢

(ما ترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان)

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى ما بينه الله تعالى لعباده المؤمنين وأمرهم به من الاكل مما رزقهم على شرط أن يكون حلالاً طيباً وأن يشكروه على هدايتهم لذلك وتبيينه معالم دينهم وارشادهم لما يحل أكله وما لا يحل لان ذلك من المن العظمى والنعم الكبرى التي يجب الشكر لمسيها ان كانوا يخصوصونه بالعبادة ولما امن عليهم برزقه وأرشدهم الى الاكل من طيبه ذكر أنه لم يحرم

عليهم من ذلك الا الميتة وهي التي تموت حتف أنفها من غير تذكية سواء كانت مخنقة أو موقوذة أو مستردية أو نطيحة أو عدا عليها السبع وقد خصص هذا العموم بغير ميتة البحر بقوله تعالى في آية أخرى أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم (والدم) والمراد به الدم المسفوح لقوله تعالى في آية أخرى (قل لا أجد فيما أوحى إلي محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحما خنزير) الآية (ولحم الخنزير) سواء ذكي أو مات حتف أنفه من غير تذكية (وما أهل به لغير الله) أي ذكر عليه اسم غير الله تعالى ومثله ما يقع من بعض جهلاء مصر من الذبح عند قبور موتاهم عند دفنهم فان ذلك يحرم أكله ولا يجوز تعاطيه لانه مما أكل به لغير الله تعالى ولا فرق بينه وبين الذابح للوثن ومثله ما يذرونه لسيدنا الحسين ولسيدى أحمد البدوى وغيرهما من المشايخ والاولياء والصالحين فيذبحونه لهم فان ذلك المذبوح حرام لا يجوز أكله بحال لانه أكل به لغير الله حتى قال بعض العلماء ان الذبح لهؤلاء وأمثالهم كفر كما تقدم التنبيه على ذلك وهو مما عمت به البلوى وعظمت به المصيبة لان عامة الناس في ذلك واقعون ولله وجواز معتقدون فلا حول ولا قوة الا بالله وانما حرم الشارع أكل هذه الاربعة لان الدم قد استحق فيها وشمل جميع أجزائها وانتشر في سائر الجسم مع ما فيه من المواد السمية التي حدثت فيه عند انقلابه وتغيره من حالته الاصلية الى الحالة التي يرى فيها أسود فاجا - ولما كان من الضروري تمييز الميتة من غيرها ضبط ذلك بما قصد ازهاق روحه لاد كل بحر ذلك الى تحريم المتردية وهي التي تسقط من الاعلى الى الأسفل والنطيحة وهي التي قتلت نطها بالقرون والمخنقة وهي التي تخنق فتموت والموقوذة وهي التي تقتل بغير محدد كالنصا والجحر ونحوهما وما أكل السبع وبقي منه بقية فانها كلها خبائث مؤذية وبحرم أكلها كما قال تعالى (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أكل لغير الله به والمخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكركم وما ذبح

على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق الآية)
وأما الدم فلأنه نية غير ناضج وهو ما اتفقت الحكاه على حصول الضرر
منه وقد استثنى من تحريم الميتة والدم ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله
(أحللت لنا ميتتان ودمان فأما الميتتان فالحوت والجراد وأما الدمان فالسكبد
والطحال) وحكمة الحل والله أعلم أن الحوت والجراد ليس فيهما دم مسفوح
فلذلك لم يشرع فيهما الذبح وأما السكبد والطحال فانهما ليسا دما في الواقع
ونفس الأهر وانما هما عضوان من أعضاء البهيمة لكنهما يشبهان الدم
فأزال صلى الله عليه وسلم الشبهة منهما

وأما لحم الخنزير فقد ثبت بواسطة النظارات المعظمة أن بين أجزائه
جسمه ووسط أليافه ديدانا لا حصر لها وقد دلت التجربة على أنها لا تموت
ولو بعد نضجه واستوائه فأكاله مع ما فيه من هذه الديدان مما يلحق
بالجسم أضرارا بليغة وأضرارا رديئة ومن ذلك ما يتولد عنه مما يسميه
الحكاه (بالدودة الوحيدة) وهي حيوان يوجد في المعدة على شكل الضفيرة
من السعف لا يهنا لها صاحبها طعام ولا شراب وتلتقم كل ما يدخل في جوفه
وإذا جاع قليلا تحركت وأخذت تموج في بطنه ذات اليمين وذات الشمال
حتى لا يشك في أنه سيموت من شدة ما يعتريه من الاوصاب والالام -
وأما تحريم ما أهل به لغير الله فلان الذبح بغير اسم الله تعالى شرك به
فاقتضت الحكمة الالهية أن ينهى عن هذا الاشراك ثم يؤكد التحريم
بالنهي عن تناول ما ذبح له ليكون ذلك مانعا عن ذلك الفعل فيكون
فيه منع الاشراك بعدم تعاطي أسبابه - وأيضا فان الله تعالى لما أباح
لنا الحيوانات التي هي مثلنا في الحياة وجعل لنا اليد الطولى عليها كان من
الواجب اذن أن لا نغفل عن هذه النعمة عند اخراج أرواحها وذلك انما يكون
إذا ذكر اسم الله تعالى عليها - وأيضا فان الذبح للطاغوت والوثن وغيرها
من أقبح القبائح وقبح الفعل يسمى في المفعول به ولذا حرم أكله لقبحه

هذا وبعد أن منع جل شأنه أكل هذه الاربعة وبين أنه حرام أخذ يمين
أن ذلك مقيد بعدم الضرورة والحاجة أما عند الضرورة والحاجة بأن
خاف التلف على نفسه ولم يجد ما يستبد به رمقه غير أحد هذه الاربعة
فلا حرج في ذلك ولا اثم على فاعله فقال (فن اضطر غير باغ ولا عاد فلا
اثم عليه ان الله غفور رحيم) أي فن اضطرته الحاجة والضرورة الى أكل
واحد من هذه الاربعة التي حرمها الله تعالى فلا اثم عليه ولا حرج في
أكله بشرط أن لا يحمله على أكله الا الضرورة لا الشهوة وهو معنى غير باغ
وأن لا يتناول منه الا ما يدفع الضرورة فتناول ما فوقها هو العادي فانه جل
شأنه غفور لمن تاب اليه من عباده رحيم بهم حيث أحل لهم الحرام عند
الاضطرار والله بسر كلامه عليم

(وعما حرم الله أكله وحذر من تعاطيه كل مال ينتجه الربا في ذلك يقول)

البقرة ٢٠٤

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ
الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ
الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ
رَبِّهِ فَاتَّقِ اللَّهَ فَإِنَّهُ مِمَّا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ٢٠٥ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي
الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ

(ما ترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان)

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى حرمة الربا والتشجيع على آكله والمتعامل
به وشدة النكير والتغليظ على فاعله وكل من كان له مدخل فيه ككاتب عقد
الوثيقة به والشاهد عليه وغيرهما حتى أخبر الله عنهم يوم خروجهم من
قبورهم وقيامهم الى بعثتهم ونشورهم بأنهم يقومون منها كما يقوم المصروع

حال سرعه وتخبيط الشيطان له وذلك في قوله (الذين يا كاون الربا لا يقومون
الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) والمراد بالا كل ما يتم التعامل
به من أخذ واعطاء لا خصوص الا كل المعام
وانما جوزوا بذلك لاعتراضهم على أحكام الله تعالى في شرعه حيث قالوا
انما البيع مثل الربا أى هو تنظيره فلم حرم هذا وأبىح ذلك فرد الله تعالى
عليهم بقوله (وأحل الله البيع وحرم الربا) أى هو العالم بحقائق الأمور
ومصالح العباد فيبيح ما كان فيه المنفعة لهم وينهى عما كان فيه المضره
عليهم فليس لكم أن تقولوا لم حرم الله هذا وأباح ذلك لان ذلك فعل
الحكيم العليم الذي لا يفعل فعلا عبثا على أنفسهم قد أخطوا في القياس
ووقعوا في التفرقة بينهما في الالتباس لان من باع ثوبا يساوى درهما
بدرهمين فقد جعل الثوب مقابلا لدرهمين فلا شئ منهما الا وهو في
مقابلة شئ من الثوب ولا كذلك الربا لان من باع درهما بدرهمين فقد
أخذ الدرهم الزائد بغير عوض ولا يمكن جعل الامهال عوضا اذ الامهال
ليس بمال حتى يكون في مقابلة المال وهو من الظلم البين والغبن الفاحش
ثم بين جل شأنه أن من انتهى عن المعاملة بالربا بعد علمه بحكم الشرع
فيه فلا مؤاخذه عليه فيما كان يتعامل به من الربا قبل ذلك وأن من
لم ينته عن المعاملة به بعد علمه بتحريم الشرع له وانتهى عنه فقد اجتراً
على الله تعالى واستحق منه من العقوبة أقساها ومن الشدة أقصاها
فقال (من جاء موعظة من ربه فانتهى فله ماسلف وأمره الى الله ومن
عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) أى من بلغه نهى الله عن الربا
فانتهى فله ماسلف من المعاملة لا يؤاخذ عليه وأمره الى الله فيجازه
على انتهائه ان كان عن قبول وصدق نية وبحكم في شأنه يوم القيامة بما
شاء ومن عاد الى فعل الربا بعد بلوغه نهى الله عنه فقد اجتراً على الله
تعالى ونابذه بعصيته وجاهره بمخالفته ولم يكثر بنهيه ولا يكون ذلك الا
من لم يكن في قلبه منقال ذرة من الايمان به اراقب ربه ويخاف عقابه ويتمثل

عظمته في قلبه عند ما يتعرف ذنبا من الذنوب فيرجع عنه ويندم على فعله ومن كان كذلك فقد أحاطت الخطيئة بقلبه حتى لم تدع منفذا للإيمان فكان جزاءه لذلك الخلود في النار ولذا قال جل شأنه (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) - وقد بين جل شأنه ما يترتب على الربا من الدمار والخراب فقال (يعق الله الربا ويربى الصدقات) أى يذهب بركته ويهلك المال الذى يدخل فيه وهذا أمر مشاهد فلا تكاد ترى أحدا من الناس يتعامل بالربا الا وقد أصبح لاهلك شيا حتى بيته الذى يسكنه وبأوى اليه بل ثوبه الذى يلبسه ولذا قد ورد النهى عن الربا في غير ما آية من القرآن الكريم فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون) وقال جل شأنه (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله) وقال عز وجل (وما آتيتكم من ربا ليروا في أموال الناس فلا يربوها عند الله)

ولعل حكمة التغليظ والتشديد من الله جل شأنه في حرمة الربا والتعامل به أن المقرضين بهذا النوع هم المحتاجون المضطرون وكثيرا ما لا يجدون الوفاء عند حلول الاجل فيصير أضعافا مضاعفة لا يمكن التخاص منه أبدا ولا يزال يتضاعف حتى يستغرق ما عند المدين من الاموال فتؤخذ منه قسرا عنه فيصبح فقيرا معدما بعد أن كان عنده شئ من اليسار وهذا باب واسع لجلب الدمار والخراب على الناس فلذا سد جل شأنه هذا الباب بتحريم الربا

وأيا إذا جرت العادة بنماء الاموال وزيادتها على هذا الوجه أفضى ذلك الى اهمال الزراعات والصناعات التى هى أصول المكاسب فسفى التعامل به مصادرة لما نمرع الله لعباده من المكاسب وما حث عليه من السعى وراء تحصيلها ولا يخفى ما فى ذلك من تعطيل المصالح وأيضا الربا مظنة مناقشات عظيمة وخصومات كبيرة ربما أدت الى القتال

فتزحق أرواح وتخرب بيوت وتيتم أطفال ففيه قلب لموضوع المعاملات
لان المعاملات ما شرعت الا لقطع المنازعات ومنع الخصومات و بالجملة
لوم يكن في التعامل بالربا الاضياع المروعة وفقد صنائع المعروف وذهاب
الحياء من المقرض والمستقرض والخزى في الدنيا والاخرة لكفى والله
باسرار شريعته عليم

﴿ وقال جل وعز في النهي عن أكل أموال الناس بالباطل من كل ما لم يبيح
الشرع أخذه من مالكه مع الاسراع بالخصومة عند الحاكم في تلك
الاموال واقامة الحجج الباطلة سواء كانت بقوة العارضة وشدة الدكاه أو شهادة
الزور أو نحو ذلك مما يترتب عليه أخذ الاموال من أربابها بدون حق ﴾

وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَذُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ
لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ

﴿ ما تشير اليه هذه الآية الكريمة ﴾

تشير هذه الآية الكريمة الى ما بينه الله تعالى لعباده المؤمنين وأرشدهم
اليه من الوقوف عند ما حده لهم الشرع من عدم أكل أموال الناس
بالباطل وأخذها منهم بدون استحقاق ولو برضا المالك نفسه كمن الخمر
وحملوان الكاهن وأجرة المغني والقمار والرشوة في الحكم والحيانة في
الودعة والامانة والا كل بطريق التعدي والنهب والغصب وغيرها
مما لم يبيح الشرع أخذه فان ذلك حرام ومثله ما يؤخذ بالخصومة عند
الحاكم فيخاصم الرجل أخاه في ماله ويقسم الحجة على ذلك فيحكم
الحاكم له به لما أقامه من الحجة الباطلة سواء كان ذلك بقوة عارضته
أو شهادة الزور أو اليمين الكاذبة وهو يعتقد أنه ليس له فيه أدنى حق
فان ذلك حرام أيضا وقد نهى الله عن كل ذلك بقوله (وَلَا تَأْكُلُوا
أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَذُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ) أى ولا يأكل كل بعضكم مال

بعض بالباطل والحرام ولا تدلوا بها أى ولا تلقوا بحكومتها والخصومة فيها الى الحكام لتأكلوا بهذا النحاحكم والرفع اليهم جملة من أموال الناس بالانم أى بسبب ما يوجب الاثم كشهادة الزور واليمين الكاذبة وأنتم تعلمون أن ذلك باطل ليس من الحق فى شئ

وفى هذه الآية دليل على أن حكم الحاكم لا يحلل الحرام ولا يحرم الحلال فمن حكم له القاضى بشئ مستندا فى حكمه الى شهادة زور أو يمين كاذبة فلا يحل له أكله فان ذلك من أكل أموال الناس بالباطل وكذا اذا ارتشى الحاكم فحكم له بغير الحق فانه من أكل أموال الناس بالباطل كما يرشد الى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (لانكم تختصمون الىّ واعمل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحوه ما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه بشئ فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار)

(وقال تبارك اسمه فى بيان ما أباح الاكل فيه من بيوت الاقرباء والاصدقاء والبيوت التى يملك التصرف فيها باذن من أربابها والاكل مجتمعين أو مفترقين)

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاتِحُهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا

(ما تفيد هذه الآية الكريمة)

تفيد هذه الآية الكريمة نفي الحرج والضيق عن الاعشى والاعرج والمرضى أن يأكلوا مع غيرهم من الاصحاء الذين ليس بهم عاهة تهذيباً لنفوس الاصحاء وجبراً لخاطر ذوي العاهات وتفيد أيضاً أنه لا حرج على المؤمنين أن يأكلوا من بيوت أقاربهم - كآبائهم وأمهاتهم وأخوانهم وأخواتهم وأعمامهم وعماتهم وأخوالهم وخالاتهم أو البيوت التي يملكون التصرف فيها بأذن من أصحابها كالكلاء والخزان فانهم يملكون التصرف في بيت من أذن لهم بدخول بيته وأعطاهم مفتاحه أو بيوت الاصدقاء والاصحاب والاحباء فلا جناح في الاكل منها بشرط أن يعلم أن ذلك لا يشق عليهم ولا يكرهونه ثم أشار جل شأنه الى بيان حكم آخر وهو جواز أكل الانسان منفرداً أو معه غيره فقال (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً) أى مجتمعين أو متفرقين وذلك لان بعض العرب كان يتحرج أن يأكل وحده حتى يجد من يأكل معه فرخص الله لهم في أن يأكل الرجل وحده أو مع الجماعة والله أعلم

أدب الولد مع والديه

اعلم أن أبا الانسان وأمه لهما عليه حقوق لا بد من أدائها وواجبات لا بد من قضائها فمن تلك الحقوق وتلك الواجبات مقابلتها بكل ما يمكنه من البر والاحسان واستعمال الادب معهما وأن يمتثل أوامرهما خصوصاً فيما يتعلق بأحواله الشخصية التي تعود عليه بالمنفعة كأوامرهما المتعلقة بالادب وحسن السلوك ومكارم الاخلاق وحسن المعاشرة مع الخلق والنظافة والعفة والامانة وغير ذلك من الكمالات وحيد الاخلاق وجميل الصفات وأن يجتنب فواهيها وكل ما يؤذيها أو يكدر خاطرهما أو يجلب غضبهما من قول أو فعل فان أجهد نفسه في فعل كل ما يرضيهما كان له الحظ الاوفر من الفضل والنصيب الاكبر من الثواب وان لم يفعل ذلك

واستجاب غضبهما فقد قابل الحسنة بالسيئة والاحسان بالكفران والخير
بالشر والطاعة بالمعصية فان أباء هو الذي رباه صغيرا وأجهد نفسه في
تحصيل ما ينفقه عليه في ملبسه وما كاد ومشر به وجبوع لوازمه والقيام
بأوده الى حد عرف فيه حقوق نفسه وأمكنه فيه أن يكتسب ولولاه
لمات جوعا لانه لا يقدر على شئ من ذلك في حال صغره وأما أمه فقد
تحملت فيه المشقات العظيمة والأتعاب الخطيرة في مدة حمله وولادته
ورضاعه وتنقيته من القاذورات والافساخ والادران وسهرت لاجله
الليالي الطوال وتكدرت لكدره وفرحت لفرحه الى غير ذلك من الأعنان
التي لا تحصى والأتعاب والمشقات التي لا تستقصى

ومنها أن ينفق عليهما اذا كبرا لانهما السبب في حياته وتربيته وكفالاته
الى هذا الحد الذي أمكنه فيه أن يكتسب فهذا الكسب ثمرة غرسهما
وليس من الادب والمروءة أن يغرس الانسان غرسا ثم يحرم من جنى غرسه
على أنه مهمما أنفق عليهما فلا ينفق بعض ما أنفقاه عليه مع وجود الفرق
بين الانفاقين فانهما كانا ينفقان عليه ويتمنيان بقاءه وهو ينفق عليهما
ويتمنى فراقهما

ومنها أن يجلس بحضرتهم في غاية الادب والسكون والدعة فلا يضحك
ولا يلعب كما يضحك ويلعب السفهاء وليكن ضحكهم ولعبهم على وضع
لا يخل بالادب ولا يمد رجله ولا يرفع صوته فوق صوتهما ولا يحضرتهم
ولا يمشي أمامهما الا للحاجة ولا يسبقهما بالكلام في المجلس واذا أقبل
عليه أو أحدهما وهو في مجلس قام ليوسع لهما حتى يجلسا ان كان في
المكان ضيق وبالجملة فيفعل جميع الوسائل التي تكون سببا في مرضاتهما
وزوال ما يكثرهما

(وقد بين لنا الله جل شأنه في كتابه العزيز بعض ما يلزم لهما

من الآداب والحقوق فقال)

وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا أَمَّا
يَبْلُغُنَّ عَلَيْكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا
أُفْ وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۚ وَاخْفِضْ لَهُمَا
جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي
صَغِيرًا

(ما ترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان)

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى أهم الامور وأولاهما بالعناية
وأجدرها بالرعاية وأقربها لرضا الله تعالى وأبعدهما من سخطه ومقتته
ألا وهو بر الوالدين الذي جمع من الخير أكله ومن الاحسان أجمله ومن
المروعة أرفعها ومن الخيرات أنفعها وكفى به فضلا وشرفا أن قرنه الله
بتوحيده وعبادته وبالغ في التوصية به مبالغة تقشعر لها جلود أهل
العقوب وتحمل ذوى العقول على تأدية الواجب لهما من الخفوق فأمر
جل شأنه بالاحسان اليهما وقرنه بتوحيده وعبادته في قوله (وقضى ربك
أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا) أى أمر أمرا جازما وحكم حكما
قاطعا بتوحيده وعبادته وبر الوالدين والاحسان بهما وفي هذا الاقتران
من الدلالة على تأكيد حقهما والعناية بشأنهما ما لا يخفى ثم شدد في الامر
بعراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات
الضجر ومع أحوال لا يكاد يصبر الانسان معها فاذا حصل منهما أى شئ
يكروهه فلا يصح له أن يتكلم معهما بأى كلام يكون من ورائه تضررهما
وتكدر خاطرهما بل الواجب عليه في هذه الحالة أن يقول لهما قولا لينا
جميلا سهلا أحسن ما يمكن التعبير به من لطف القول وكرامته مع حسن
التأدب والحياء والاحتشام وخصوصا اذا كانا كبيرين فانهما في هذه الحالة

أحق بالمجاملة وحسن التلطف لانهما يظنان أنهما عالة عليه فكل كلمة تصدر منه ولو صغيرة يتأثران منها وتنكسر قلوبهما من أجل ذلك ولذا خص الله سبحانه وتعالى حالة الكبير بالذكور في قوله (إما يبلغن عندك الكبير أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما) أي ان كبراهما في كنفك وكفالتك فلا يصح أن تقول لهما أي قول يكدر خاطرهما ويوجب غضبهما حتى التأفف الذي هو أدنى مراتب القول السيئ مما لا يصح أن يصدر منك نحوهما اذا حصل منهما مالا بلائك ولا يعجبك بل الواجب عليك بدل ذلك أن تعاملهما بالحسنى وتقول لهما ما القول اللين الطيب الحسن مع الادب والتوفير والتعظيم والاحترام والاحتشام وأن تخفض لهما جناح الذل وتتواضع وتتذلل لهما بجميع أنواع التذلل والمسكنة لانهما صارا أفقر الناس اليك بعد أن كنت أفقر الناس اليهما واحتياج المرء الى من كان محتاجا اليه غاية الضراعة والذل والمسكنة فكانا لذلك أولى بشدة الرحمة والشفقة وزيادة التعطف عليهما ثم ختم جل شأنه النصيحة عليهما والحث على برهما والاحسان بهما بطلب الدعاء لهما من الله أن يرجهما برحمته الباقية الدائمة فقال (وقل رب ارجهما كما ربياني صغيرا) كأنه تعالى يقول له لا تنكف برحمتك التي لا تدوم ولكن اطلب من الله الرحمة الدائمة وقل رب ارجهما رحمة مثل رحمتهم وتربيتهم إياي وأنا صغير

ثم أعلم أن بر الوالدين لا يختص بكونهما حييين بل يكون بعد الموت أيضا ويكون بالصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما وذلك أن رجلا جاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هل بقي على من بر أبوي شيء أبرهما به بعد وفاتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما ولئن تأكد بر الوالدين فهو في حق الأم أوكد لانها تعبت في حمله

وولادته وتربيته وحضانه وغيرها أكثر من أبيه ولذلك يقول صلى الله عليه وسلم (بر الوالدة على الولد ضعفتان) ويقول (دعوة الوالدة أسرع اجابة قيل يا رسول الله ولم ذلك قال هي أرحم من الاب ودعوة الرحم لا تسقط) والله ورسوله أعلم

(وقال تبارك اسمه في الحث على بر الوالدين وما أعده مشوبة لذلك من قبول العمل الصالح والتجاوز عن السيئات وادخال الجنة)

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا
وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَجَمَلُهُ وَفَصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا
بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ
أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ
صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي
مِنَ الْمُسْلِمِينَ ^{١٦} أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ
مَعْمُولًا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ
الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ

(ما ترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان)

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى بيان ما أمر الله به الانسان من بر الوالدين والاحسان اليهما والحنو عليهما وخصوصا أمه لانها تعبت فيه وتكبدت من المشقات والمتاعب في حمله ووضعه ورضاعه ما لم يشاركها الأب في شيء منه ولذلك كان حقها أوكد من حقه وبرها أوجب من بره والى ذلك الإشارة بقوله تعالى (ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) فانه جل شأنه بعد

أن وصى بالوالدين وأمر بالاحسان اليهما والحنو عليهما ذكر ما ناله الام من التعب والمشقات وقاسته من الاوصاب والآلام في حال حملها من الوحم والغثيان والنقل والكرب وغير ذلك مما تلاقيه الحوامل مدة الحمل وفي حال وضعه من الطلق وشدته فقال (حمله أمه كرها ووضعته كرها) أى بعشقة وتعب زائدين ثم أريد ذلك ببيان ما تقاسيه الام من الآلام من حين الوضع الى الفصل أى الفطام من تعهد بالنظافة وإزالة ما عليه من الاوساخ والادرن وكدرها لكدره وفرحها لفرحه وسهرها عليه الليالى الطوال وغير ذلك مما يفيد أن حق الأم أكد من حق الأب واضعا ذلك في قالب بيان مدة الحمل والرضاع فقال (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) أى وحيث كانت هذه المدة الطويلة ظرفا لما تقاسيه الام من الآلام وتتكبد من المشقات والمتاعب في الولد فحقها عليه في بره لها أكد من حق أبيه في ذلك عليه

ومن هذه الآية الكريمة والتي في البقرة وهى قوله تبارك وتعالى (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) يؤخذ أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لان الحولين الكاملين اللذين هم امدة الرضاعة أربعة وعشرون شهرا فيكون الباقى وهو ستة أشهر مدة الحمل وهو بيان لاقله هذا وبعد أن وصى جل شأنه ببر الوالدين والاحسان اليهما وبيان ما اختصت به الام من الفضل والمزية وزيادة رعاية الحقوق على الأب أخذ يبين أن من تدرج في النمو وأخذ يتزعرع وينمو ويكبر حتى بلغ استحكام قوته وعقله وغاية شبابه واستوائه وذلك يكون ببلوغه الأربعين من عمره كان عليه أن يجدد التوبة والانابة الى الله تعالى ويكثر من هذه الدعوات الصالحات التى علمها الله تعالى له بقوله (حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى) أى ألهمنى ووفقنى (أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذرىتى) أى اجعلهم صالحين متمكنين فى الصلاح (انى تبت اليك وانى من المسلمين) أى المستسلمين المنقادين

سورة	آية	
		اطاعتك المخلصين في توحيدك ثم بعد ذلك كله بين جزاء من اتصفوا بهذه الاوصاف فبروا وأنابوا الى الله تعالى فقال (أولئك الذين نلقبهم أحسن ماعملوا وتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة) فبين جل شأنه أن جزاءهم عنده أن يقبل ماعملوه من الاعمال الصالحة وأن يتجاوز عن سيئاتهم فلا يعاقبهم عليها وأن يدخلهم الجنة حسبا وعدهم الله تعالى وعد الصديق الذي وعدهم به على لسان رسوله المكرام عليهم الصلاة والسلام
		(وقال تعالى آلاؤه في الحث على بر الوالدين وخصوصا الام واتباعهما في كل ما أمر به مالم يكن فيه معصية الله تعالى)
لقمان	١٤	وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَلَّةً أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَالَهُ فِي عَمِينَ أَنْ أَشْكُرِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ^{١٥} وَأَنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعِمُهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَى تَمَّ إِلَى مَرَّ جَعَلَكُمْ فَأَنْبِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
		(ما يؤخذ من هاتين الآيتين الكريمين)
		يؤخذ منهما وجوب بر الوالدين والاحسان اليهما والحنو عليهما وخصوصا الام لانها تعبت في تربيته وتحملت المتاعب والمشقات في ذلك وفاسدت الشدايد في سهرها عليه آناه الليل وأطراف النهار حتى استولى عليها بسبب ذلك الوهن والضعف وهذا الذي أشار له الله تعالى بقوله (حلتها أمه وهنا على وهن وفصالة في عامين) أي حلتها في بطنها وهي تزاد كل يوم ضعفا على ضعف مما تقاسيه من ألم الحمل وألم الطلق وألم الولادة والتعب الذي تقاسيه مدة تربيته وارضاعه بعد وضعه وهي عامان وهي

مدة ليست بالقليلة ولذا كان لها من البر ثلثاء ثم قال جل شأنه (أن اشكرني ولو الديك الى المصير) أى وصديناه بشكرنا وشكر والدیه ومن قام باداء هذا الشكر جازيناه أوفر الجزاء لان المصير والمرجع الينا وما أعظم هذه العناية من الله جل شأنه بالوالدين حيث قرن شكرهما بشكره ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين

وقد حدث جل شأنه الحد الذي يجب طاعتهما ومتابعتهما فيه بأنه ما لم يكن فيه معصية الله تعالى فان أمراه بمعصية الله تعالى أو نهياه عن طاعته فلا حرج في مخالفتها ولا تعد حينئذ عقوبا اذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق الا أنه مع ذلك لا يصح له أن يقطعهما ويمنع الاحسان اليهما بل يصنع المعروف معهما وهذا الذي أفاده الله تعالى بقوله (وان جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا) أى وان حرصا كل الحرص على أن تتابعهما على دينهما وتشرك بي فلا تطعهما ولا تقبل منهما ذلك ولا يمنعك ذلك من أن تصاحبهما في الدنيا بالمعروف والاحسان اليهما والتصدق عليهما ثم أمر جل شأنه بعد الفراغ من الوصية ببر الوالدين باتباع سبيل من رجع اليه من عباده الصالحين بالتوبة فقال (واتبع سبييل من أناب الى) أى اتبع أيها المكافدين من أقبل الى طاعتي من عبادي الصالحين بالتوبة والاخلاص وهو النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ثم الى من رجعتكم جميعا في الآخرة فأنبئكم وأخبركم بالذي كنتم تعملونه من خير أو شر فأجازى كل عامل بما عمل - اللهم اجعلنا من أحسن عملهم وتقبلنا منهم وجعلناهم خالصا لوجهك انك سميع الدعاء واسع العطاء آمين

(وقال جل شأنه في الحث على بر الوالدين بالانفاق عليهما وأن أفضل الصدقات وأعظم القربات التي يتقرب بها العبد الى ربه هو ما كان للوالدين ثم لمن يليهما من ذكرهم الله تعالى في الآية بعد وهي)

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ
فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ
السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ

(ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة)

ترشد هذه الآية الكريمة الى بر الوالدين والاحسان اليهما وان أفضل شيء
يتصدق به الانسان ويحسن به ويفعله من المعروف والخير والبر والصدقة
هو ما كان للوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وقد
بين الله ذلك عند ما سأل المؤمنون النبي عليه الصلاة والسلام كيف ينفقون
أموالهم وعلى من يصرفونها فقال (قل ما أنفقتم من خير فلولوالدين والاقربين
واليتامى والمساكين وابن السبيل) أى اصرفوها في هذه الوجوه وذلك لان
الوالدين هما السبب في وجوده حتى أمكنه أن يكتسب هذا المال وينفقه
فهما أولى بصرف المال اليهما وأجدر بالتصدق عليهما من غيرهما
لان في ذلك برهما واستجلاب رضاها ومنعهما من التكفف وذل السؤال
وما أقبح من يرى نفسه في غنى وسعة ويتلذذ بأنواع المآكل والمشارب
وأبواب لا يصيبهما من ذلك شيء بل ربما باتا بالجوع فما أقل مروءته
وأخس نفسه وأقبح تربيته - ثم من بعدهما الاقربون لانهم أبعاض
الوالدين ولان الانسان لا يمكنه أن يسع جميع الفقراء بصدقته واحسانه
ولا أن يقوم بمصالحهم فتقديم القرابة أولى من غيرهم - ثم من بعدهم
اليتامى فانهم أحوج الناس وأولاهم بالعتاء والاحسان اليهم بعد الوالدين
والاقربين لانهم لا كسب لهم وليس لهم من يتكفل بمصالحهم - ثم من
بعدهم المساكين المحتاجون الذين لا يجدون من يقوم بكفائتهم فهم أولى
بالتصدق بعد من ذكر لان فيه منهم من ذل السؤال والتكفف - ثم من
بعدهم ابن السبيل والمراد به المسافر الذي فرغ زاده وقلت مؤنته وبينه

وبين غرضه مسافة تحتاج الى المؤنة والزاد فيعطى ما يبلغه الى مقصده
وخصوصا اذا كان سفره لطلب العلم أو الارشاد وتعليم الناس أمر دينهم
أو للجهاد لاعلاء كلمة الله تعالى فان ذلك تجب النفقة عليه بقدر ما يوصله
الى المحل الذي يقصده - فانظر الى هذا الترتيب الحسن العجيب في بيان
كيفية الانفاق وما يجب أن يصرف الانسان ماله فيه من وجوه الخير والبر
وما أحسن تعقيب ذلك بعبارة تفيد الترغيب والحث على الانفاق بلطف
وذلك قوله تعالى (وما تفعلوا من خير فان الله به عليم) أى مهما صدر منكم
من فعل معروف فان الله تعالى يعلمه ويجازيكم عليه أوفر الجزاء لانه
لا يظلم أحدا مثقال ذرة ولا شك أن من أبقن بالخلف جاد بالعطية

(وقال جل ثناؤه في الحث على بر الوالدين والاحسان اليهما والحنو
والشفقة عليهما فارنا ذلك بتوحيده وعبادته مما يدل على تأكد حقهما
والاعتناء بشأنهما)

وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا
وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْتَغُوا الْخَيْرَ وَالْأَخْيَارِ
وَابْتَغُوا الْخَيْرَ وَالْأَخْيَارِ وَالْأَخْيَارِ وَالْأَخْيَارِ
وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنْ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا
فَفُخُورًا

(ما تفيد هذه الآية الكريمة)

لقد جمعت هذه الآية الكريمة من صنوف البر وأنواع الخير وحسن المعاملة
مع الله والناس ما لو علمت به وتخالقت به لكنت من أسعد السعداء وأنبل
النبلاء فمن ذلك توحيد الله تعالى وحسن عبادته وبر الوالدين بالاحسان
اليهما والحنو عليهما وصلة الرحم بتدبير المساعدة لهم ان كانوا فقراء والتودد

اليهم بالزيارة والهدايا والطيب من القول ان كانوا أغنياء والاحسان الى
اليتامى والمساكين بالنظر في مصالحهم والقيام بأودهم وكل ما يحتاجون
اليه - وحسن الجوار سواء كان الجار ملاصقا أو غير ملاصق
وخصوصا اذا انضم الى الجوار القرابة فيكون له حقان حق الجوار وحق
القرابة وحسنه يكون بالاحسان الى جاره والتصدق عليه ان كان محتاجا
والتودد اليه بالزيارة والمبادرة برد السلام والمساعدة له في كل ما يحتاجه
فلا يمنع عنه ما عون البيت وأثائه اذا احتاج الى شيء منه كالقدوم والنار
والمأجور والخفنة والقدر وغير ذلك - وحسن الصحبة وهو المراد بقوله
تعالى والصاحب بالجنب أى الذى كانت صحبته بسبب مرافقته بالجنب
سواء كان ذلك يجلسه بجانبه فى طاب علم أو تعلم صناعة أو مباشرة تجارة
أو مرافقة فى سفر أو عودته بجانبه فى مسجد أو مجلس أو غير ذلك وحسن
الصحبة معه بأن يكون له فى النوائب وبؤثره بالرغائب وينشر حسنته
ويطوى سيئته ويكتم سره ويستر عيبه واذا سأله أعطاه واذا سكت وكان
محتاجا ابتداه وان نزلت به نازلة واساه - ومواساة ابن السبيل وهو المسافر
وتكون بصدعوزه وإعانتة بما يوصله الى محل أوبته - والشفقة والرحمة
بالارقاء والعبيد والاحسان اليهم لان الرقيق ضعيف الحيلة أسير فى أيدي
الناس ويكون ذلك بتربيته وتعليمه وعدم تكليفه من العمل مالا يطيق
وأن يكسوه ويطعمه مما يلبس ويأكل حتى اذا آنس فيه النباهة والمعرفة
والقدرة على أن يملك زمام نفسه بنفسه ويعرف أن يتصرف في معيشته
باستقلاله أعتقه فان ذلك هو المقصود من الاسترقاق ولذا ترى الشارع كثيرا
ما يرغب فى عتق العبيد حتى جعله فى الكفارات عما يرتكبه الانسان
من الخطا في عيئه أو قتله أو صومعه وليس المقصود من الاسترقاق الاستعباد
المطلق لان العبد أخو سيده ومتمتع بسائر الحقوق البشرية والمميزات
الانسانية بل المقصد الاسمى منه أن العبد اذا وجد عند سيده كان ذلك
داعية لتعلمه واكتسابه من أخلاق سيده وحسن آدابه وكمال معرفته

ما يؤهلها لان يعرف أحوال نفسه ويمكنه أن يقوم بجميع مصالحه حتى اذا وصل الى هذه الحالة أعتمقه وقد جعل الشارع لذلك أسبابا كثيرة منها الكفارات وغيرها

وما أحسن ما وصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم على الارتقاء والخدم فانه صلى الله عليه وسلم جعل يوصي أمته في مرض موته ويقول الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم وجعل يرددها حتى ما يفيض بها لسانه وقال صلى الله عليه وسلم (للمأول طعامه وكسوته ولا يكف من العمل ما لا يطيق) وقال صلى الله عليه وسلم (اذا أتى أحدكم خادمه بطعام فليقلعه معه فليأكل فان كان الطعام مشفوها قليلا فليضع في يده أكلة أو أكلتين) وقال عليه الصلاة والسلام (اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكفوهم من العمل ما لا يطيقون فما أحببتهم فأمسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله فان الله ملككم اياهم ولول شاء لملكهم اياكم) والاحاديث في الوصاية بالرفيق والخدم كثيرة وقوله تعالى (ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا) أى مختالا في نفسه معجبا متكبرا فخورا على الناس يرى أنه خير منهم فهو في نفسه كبير وهو عند الله حقير وعند الناس بغيض والله أعلم

صلة الرحم

رحم الانسان أقربه وصلتهم أن يطعمهم من جوع ويؤمنهم من خوف ويقضى عنهم ديننا ويفرج عنهم غما ويقوم بما يحتاجون اليه ويتودد اليهم بالزيارة والهدايا والطيب من القول والبشاشة عند اللقاء والمبادرة بالسلام ورد ضالتهم والمحافظة على فعل كل ما يجلب محبتهم اليه وهي من أفضل الخصال وأجل الخلال فيها يكثر التواصل والتوادد وتوأم الغوائل ويزول التباغض والتحاسد وتستمال القلوب وتلتئم الشعوب وتغفر الذنوب وتصفو الضمائر وتحسن السرائر وتنتظر الرحمة وتستلهم

النعمة ويستحكم الوداد ويتمكن الاسعاد ولما اشتملت عليه من هذه الثمار
 المانعة والفوائد النافعة حث الشرع عليها وبالغ في التمسك بها حتى
 جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم سببا في ادرار الرزق وسعته وفتحة
 الخير وزيادته فقال عليه الصلاة والسلام (ان أعجل الطاعة ثوابا صلة
 الرحم حتى ان أهل البيت ليكونون بخارا فتنمو أموالهم ويكثر عددهم
 اذا وصلوا أرحامهم) وقال عليه الصلاة والسلام (من سره أن يمد له في
 عمره ويوسع له في رزقه فليتق الله وليصل رحمه) وسأل معاوية عمر بن
 الخطاب رضي الله عنهما عن المروءة فقال هي تقوى الله وصلة الرحم
 * وقال رجل لابنه في بعض وصاياه يا بني لا تقطع القريب وان أساء
 فان المرء لا يأكل لحمه وان جاع * وقال بعض الحكماء من وصل رحمه
 وصله الله ورحمه ومن قطعها قطعها الله وحرمه * ومن الحكيم المنشورة صلوا
 الارحام بالحقوق ولا تجفوها بالعقوق وما أحسن ما قال بعض الشعراء
 اني ليمنعني من قطع ذي رحم * رأى أصيل وعقل غير ذي وصم
 ان لان لنت وان دببت عقارب * ملأت كفيه من صفح ومن كرم
 ولو أني استقصيت بك الكلام على صلة الرحم وما ورد في الترغيب فيها
 من الشرع ومن أقوال الحكماء والعلماء والادباء لأطلت عليك بشئ ربما
 يكون لك في بعضه غنى عن كله
 ولعل حكمة حث الشارع عليها والتشديد في أمرها والترغيب فيها
 والتحذير من قطعها ومجانبة ذلك جهدا لاستطاعة أن أقارب الرجل هم
 أكثر الناس بعد أبويه له تناصرا وأكثرهم رغبة في الخير له وأشدهم
 شفقة عليه وأعظمهم محبة له بهم يعاوبين الانام قدسه ويعظم نفرة
 ويرتفع ذكره وهم أكثر الناس به اختلاطا فاذا قطعهم تنغص عيشه
 وأكثر شره وقل خيره ولانهم أبعاض أبويه ومنهم انشؤا أو اختلطوا معهما
 في نسب فكل هذه حقوق تحتم على الشخص أن يصلهم بقدر
 جهده واستطاعته

﴿وقد حث جل شأنه على صلة الرحم ورغب فيها وحذر من قطعها
وأعد الجنة لمن وصلها والنار لمن قطعها فقال﴾

الرعد ٢٢

الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ^{٢٣} وَالَّذِينَ
يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ
سُوءَ الْحِسَابِ^{٢٤} وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَانْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ^{٢٥}
جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ
وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ^{٢٦}
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ^{٢٧} وَالَّذِينَ
يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ
اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ
الْعَذَابُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ

﴿ما ترشد اليه هذه الآيات الكريمات﴾

ترشد الى بيان ما أعده الله تعالى من الخير العيم والثواب الجزيل
الجسيم لمن اتصفوا بهذه الصفات الحميدة وتحققوا بهذا الاخلاق الجميلة
وهي الوفاء بالعهد وعدم نقض الميثاق وصلة الرحم التي أمر الله بها
أن توصل مع مراقبة جانب الله تعالى والخشية من عقابه على قطعها
والخوف من سوء الحساب في السؤال عنها والصبر عند حلول النوائب
 وإقام الصلاة على وجهها المطلوب شرعا من الخضوع والخشوع

والانكسار والنفقة والتصدق على الفقراء والمساكين في السر والجهـر
فان هؤلاء الناس الذين اتصفوا بهذه الاوصاف قد أعد الله لهم من
الجزاء الاوفى والثواب الموفى ما بينه بقوله (أولئك لهم عقبى الدار جـنات
عدن يدخلونها) ولتـكـمـل لهم أنواع المسـرـه وتتم لهم أسباب السعادة
والمبره أدخل معهم فيها من أحببهم من يصلح منهم لدخولها وذلك
من الآباء والأزواج والذريات وبعد دخولهم فيها تدخل عليهم الملائكة
من كل باب يهنئهم بالدخول ويقولون سلام عليكم بما صبرتم فنعم
عقبى الدار ثم أردف ذلك ببيان ما أعدّه من العذاب الاليم والطرـد من
رحمته لمن نقض عهد الله بعد أن استوثقه وأكده عليه وقطع
الرحم التي أمر الله بها أن توصـل وسـعى في الأرض بالفساد فقال
(أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) أى دار السوء وذلك بما اشمات
عليه من الاهوال والمشقات ومناقشة الحساب

﴿ وقال جل ثناؤه فى النهى عن قطع الرحم مع بيان ما يترتب على ذلك من
العقاب الشديد والعذاب الاليم والخسران المبين ﴾

الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ
مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ
هُمْ الْخَاسِرُونَ

البقرة ٢٧

﴿ ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة ﴾

ترشد هذه الآية الكريمة الى بيان ما أعدّه الله تعالى من النكال الشديد
والعذاب الاليم والخسران المبين لمن اتصفوا بهذه الاوصاف الرذيلة
وتخلعوا بهذه الاخلاق القبيحة وهى نقض العهد بعد ما أخذ الله عليهم
الميثاق به وهو كل ما أمر الله به ونهى عنه فى كتبه أو على ألسن رسله الكرام

ونفضه عدم العمل به وقطع الرحم التي أمر الله بها أن توصل والفساد في الأرض بارتكاب كل معصية يتعمد ضررها ويطيح في الآفاق شررها وإنما استحق هؤلاء الناس العقوبة لأنهم أهملوا العقل عن النظر ولم يقتنصوا المعرفة المفيدة للحياة الأبدية والمسرة المرمدية فاشتروا النقص بالوفاء والقطيعة بالصلة والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب فضاع منهم رأس المال والربح وحصل لهم الضرر والجسيم وهذا هو الخسران العظيم ولذلك يقول الله تعالى (أولئك هم الخاسرون) أي الناقصون أنفسهم حظوظها من رحمة الله بمعصيتهم له كما يخسر الرجل في تجارته بأن يوضع من رأس ماله في بيعه فكذلك هؤلاء الناس الذين اتصفوا بهذه الاوصاف القبيحة قد خسروا بحرمان الله تعالى لهم من رحمته التي خلقها لعباده في القيامة أسوج ما كانوا الى رحمته

(وقال تبارك اسمه في الحث على صلة الرحم وبيان أن ذوى القربايات في إيصال الخيرات لبعضهم أولى من غيرهم ممن ليس بينهم وبينهم قرابة)

وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

٧٥

الانفال

(ما يستفاد من هذه الآية الكريمة)

يستفاد من هذه الآية الكريمة بيان حقوق الأقرباء بعضهم على بعض وأنهم أولى من غيرهم في تأدية هذه الحقوق لهم فمن ذلك أنهم يرثونهم دون غيرهم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بين أصحابه فكان المهاجري يرث الأنصاري دون قراباته وذوى رحمه للاخوة التي عقدتها بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر الله هذه الآية لتخصيص الأقرباء بالميراث دون غيرهم من الأجانب لأنهم أولى ببعضهم

من غيرهم وذلك منه جل شأنه حث على انتفاعهم ووصول الخير لهم وصلتهم
ولعل حكمة ذلك والله أعلم أن الأقرباء أدخل في التناصر والتعاون من
غيرهم فلذلك كانوا أولى ببعضهم من غيرهم في التمتع بما يتركه المتوفى
من الاموال وكان من الحكمة والعدل أن يكون من هو أدخل في
التناصر وأشد ارتباطاً وأمس رجا وأقرب قرابة من الميت صاحب
الحظ الأكبر والنصيب الأوفر من ماله أكثر من غيره فترى الابن مثلاً
يحجب غيره من الأقرباء الأبعد ويمنعهم من الميراث لأنه أكثر نصرة لأبيه
وأعظم شفقة عليه وأشد تعاوناً له من غيره من الأقارب فبالأبعد
نظر الشريعة الغراء وأعلمها بالمصلحة للعباد ولا عجب فإنه جل شأنه عليم
بكل شئ لا يخفى عليه شئ من الأشياء كأننا ما كان ومن ذلك مصالح
العباد ومضارهم فيسرع لهم ما فيه مصلحة لهم ومنفعة ويعفو عما فيه
مفسدة لهم ومضرة ومن ذلك التوارث بعقتهى القرابة دون التوارث
بعقتهى الايمان والاخوة في الدين والله يعلم وأنتم لا تعلمون

﴿ وقال تبارك اسمه في الحث على صلة الرحم وبرها والنهي عن حرمانها
وقطعها فارنا ذلك بالامر بتقواه ﴾

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ
وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا
وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا

﴿ ما شتمل عليه هذه الآية الكريمة ﴾

تشتمل هذه الآية الكريمة على أمرين (الاول) ما أرشد الله اليه خلقه
من الامر بتقواه وهى عبادته وحده لا شريك له منها لهم على قدرته

التي خلقهم بها من نفس واحدة وهي آدم عليه السلام وخلق منها زوجها وهي حواء عليها السلام وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ونشرهم في أقطار العالم على اختلاف أصنافهم وأوصافهم وألوانهم ولغاتهم ولا شك أن خلقه تعالى بهذه الكيفية من أقوى الدواعي إلى الاتقاء من موجبات نعمته ومن أتم الزواجر عن كفران نعمته فبقوله تعالى الذي خلقكم من نفس واحدة في قوة العلة للأمر بالتقوى فكانه قال يا أيها الناس اتقوا لأنني خلقتكم من نفس واحدة الآية (الأمر الثاني) الحث على صلة الرحم وبرها وعدم قطعها وهذا الذي أفاده الله تعالى بقوله (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) أي واتقوا الله الذي يسأل بعضكم بعضا به وذلك يكون بطاعتكم إياه واتقوا قطع مودة الأرحام فإن قطعها من أكبر الكبائر وصلتها باب لكل خير فتزيد في العمر وتبارك في الرزق ولذا وصل جل شأنه تقوى الرحم بتقواه

وما أحسن ما ذكر الله من دواعي الخشوع والعطف والشفقة والرحمة بالأقارب واستمالة القلوب إليهم حتى يصلوهم ولا يقطعوهم حيث ذكر جل شأنه أن أصل الخلق من أب واحد وأم واحدة فإن في ذلك من موجبات الاحتراز عن الإخلال بمراعاة حقوق الأخوة مالا يخفى وقوله تعالى (إن الله كان عليكم رقيبا) أي مطلعا وعلينا فيعلم من امتثل أمره بتقواه وصلة الرحم ومن لم يمتثل فيجازي كلا بما يستحق والله أعلم

الاتحاد والائخاء وما يترتب عليهم من المودة والولاء

اعلم أن الاتحاد وارتباط القلوب ببعضها وتضافرها على أمر واحد واجتماعها على كلمة واحدة من أعظم أسباب السعادة وأقوى دواعي المودة والمحبة فيه اجتماع الشعوب المنفرقة وتوحيد المقاصد المتباينة

وائتلاف القلوب المتباغضة وكم بالاتحاد عمرت بلاد وسادت عباد
 وقضيت مصالح وانتشر عمران وأسست ممالك وحصل تناصر ووجد
 تضافر وقوى ضعيف وتغلبت ممالك وسهلت مسالك واستحكم وداد
 وتمكن اسعاد وأمنت غوائل وكثر تواصل وصفت ضماير وحسنت
 سرائر وقويت شوكة وتمت نعمه وأزيلت نقبه وحصلت رحمه الى غير
 ذلك مما لا يمكن عدده ولا حصره وحده - علم ذلك الشارع الحكيم
 العليم بمصالح العباد وماتكون فيه سعادتهم ومصلح حالهم واستكمال
 شؤونهم فث على الاتحاد والالفة وبين ما يترتب على ذلك من جليل
 المنافع وعظيم الفوائد ولم يكتف بذلك حتى بث الاجتماع الذي هو
 أعظم الوسائل وأمن الأسباب فيه وجعله مطلوبا في أغلب العبادات
 فشرع الجمعة والجماعات والعديد من الحج ليكون من وراء ذلك اجتماع
 المسلمين كلهم في يوم واحد في ساعة واحدة يؤم الكل غرضا
 واحدا يتبادلون فيه أنواع التحية ويتصالحون ويتعانقون ويبث
 أحدهم شكواه للآخر ويستشير في جميع مهماته التي تحتاج لمشاركة
 في الفكر والرأى ليرشده الى أرشده وأموره وأمنلها ويعلم بعضهم
 بعضا أمر دينهم ويتصدق الغني منهم على الفقير ويحسن اليه بما
 يستجوعه ويسترعونه ولا غرض للشارع الحكيم من ذلك كله
 الا أن يرشد عباده كيف يتحدون ويجمعون ويتعاونون ويستجاب بعضهم
 حجة أخيه اليه فيكون له عون عند الحاجة ومساعدة وقت الضرورة
 وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه حتى كان أحدهم
 يرث الآخر دون قراباته وذوى رحمه وبذلك كانت نصرتهم على عدوهم
 مع قلة عددهم وعددهم وكثرتهمما عنده فذوقوا البلاد وفتحوا الفتوحات
 ومصرروا الامصار ومدوا ظلال العمران وشيدوا مدنا وسهلوا مسالك
 وجابوا البلاد شرقا وغربا وشمالا وجنوبا كل ذلك كان باعتصامهم بحبل
 الاتحاد وارتباط قلوبهم بجامعة الدين

وقد مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم الاتحاد بأعظم مثال وشخصه
بأعظم تشخيص فقال (مثل المؤمنين في تراحهم وتواددهم وتواصلهم كمثل
الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحسنى والسهر)

ثم اعلم أنه ليس كل اجتماع ينشأ عنه ألفة واتحاد ومحبة ومودة ومدوحا
الا اجتماعا يكون فيه فوائد دينية وأعمال مرضية كالاتحاد في
الصلوات وطاب العلم والذكر وغيرها من الاجتماعات الخيرية - أما
الاتحاد للفسق واللاهو وغيرهما من أنواع المنكر فهذا لا فائدة فيه
الا الاثم على أنه كلما يأتي مثل هذه الاجتماعات بفائدة تذكر فيكم من
محابين كانت محبتهم نتيجة اجتماع من مثل هذه الاجتماعات لم يلبسوا في
مودتهم ومحبتهم وتآلفهم وتواددهم الا ريثما اقتربا وتباغضا لانه ليس
لهذا الاتحاد أصل ثابت ينبني عليه فهو أسرع شئ الى الزوال وأقرب الى
الاضمحلال ولذا كان من الواجب اختبار الصاحب قبل صحبته فقد قال
صلى الله عليه وسلم (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)

واختباره يكون بالنظر فيه فان كان مستجمعا لصفات الكمال مستوفيا
لأنواع البر والخير وجبت صحبته وتعينت مودته يمكن الاهتداء به عند
الضلالة والاسترشاد به عند الحيرة وأن يكون عنده دين يرشده الى فعل
الخيرات وما فيه نفع له واصحابه ويؤثره به على نفسه وان كان غير
ذلك وجبت مباغضته وتعينت مجانبته * وما أحسن ما قال بعض الفضلاء
لابنه يومئذ يا بني اذا عرضت لك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب
من اذا خدمته صانك وان صحبته زانك وان فسد بك مؤنة مانك
واصحب من اذا مدد يدك بخير مدها وان رأى منك حسنة عسدها
وان رأى سيئة سددها واصحب من اذا سأته أعطاك وان سكت
ابتدأك وان تزلت بك نازلة واسلك فان لم تجده فلا تصاحب الانفسك
ولما للاتحاد من عظيم المنفعة وجليل الفائدة حث الله عليه في مواضع
كثيرة من القرآن الكريم

﴿ فقال جل شأنه في سياق الامتنان على عبيده وتعداد النعم عليهم
بكونه ألف بين قلوبهم وجمع شتات شملهم ووجد جامعهم ﴾

واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة
الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحت
بينكم اخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم
منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون

﴿ مانشير اليه هذه الآية الكريمة ﴾

تشير هذه الآية الكريمة الى فضل الاتحاد وعظيم المنة به على العباد
وما تفضل به الله عليهم من عظيم المنة وجزيل النعمة حيث جمع
قلوبهم بعد الشتات ووجد كلمتهم بعد الافتراق ومنحهم التحاب والتوادد
بعد التباغض والتحاسد وصاروا اخواناً احباء بعد أن كانوا أخصاماً ألداء
وذكروهم بحبل آلائه وجزيل نعمائه ليذكروه على ما تفضل به وتكرم
وأحسن وأنعم وقد أمرهم جل شأنه بالاعتصام بحبله والتمسك بدينه
والعمل بما فيه والنزول عند حكمه والاجتماع على نصرتة والذب عن
حوزته والثبات في اعلاء كلمته ونهاهم عن التفرق فيه وعدم الائتلاف
والسعي فيما يجلب الشقاق والاختلاف فقال (واعتصموا بحبل الله
جميعاً ولا تفرقوا) أي تمسكوا بدينه واعملوا بما فيه مجتمعين على ذلك
ولا تفرقوا عن الحق الذي أمرتم بالاعتصام به ثم أخذ جل شأنه يذكرهم
نعمته عليهم بأنهم كانوا أعداء مختلفين يقتل بعضهم بعضاً وينهب بعضهم
بعضاً لا يهنا لهم عيش ولا تصفوا لهم حياة فألف بين قلوبهم فصاروا
بعد هذه الافعال الشنيعة والاعمال القبيحة اخواناً احباء مجتمعين
مؤتلفين متحابين يساعد بعضهم بعضاً ويود أحدهم لأخيه ما يود لنفسه

فقال (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) وهذا الخطاب في النظم الكريم للانصار رضوان الله عليهم وذلك أنه كان بينهم حروب كثيرة في الجاهلية وعداوة شديدة وضاغائن وأحقاد طال بسببها قتالهم ولم يكن بينهم وبين الوقوع في النار الا أن يموتوا كفارا فلما جاء الاسلام ودخل فيه من دخل منهم صاروا اخوانا متحابين متواصلين متعاونين يحب أحدهم لآخيه ما يحب لنفسه وذلك من أكبر النعم وأعظم المنن ولذا أمرهم بحل ذكركم بتذكرها ليكون ذلك داعيا لشكره على احسانه اليهم وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون)

(وقال جل ثناؤه في بيان أن التنازع والتفريق في الكلمة والرأي سبب الضعف والخذلان والفشل في جميع الأزمان)

٤٧

الأنفال

وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ
اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ

(ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة)

ترشد هذه الآية الكريمة الى ما نهى الله عنه عباده المؤمنين عند مقاتلة الاعداء من التنازع والاختلاف في الكلمة والرأي مبيناً لهم المضار التي تنتج عن ذلك من الفشل والخذلان ويمكن العدو من الوقعة بهم والنصر عليهم وذلك لان اختلافهم في الرأي يحل من عزائهم ويضعف من قوتهم وينبسط من همهم فاذا حل عليهم العدو قابلوه بقلوب خائرة وعزائم فائرة وهم قليل وقوة ضئيلة فينال منهم العدو مالا يمكن أن يناله مع الاتحاد ولانهم يتنازعهم وتخاذلهم وضعف همهم قد أضافوا الى العدو قوة بقدر الفتور الذي حصل في عزائهم والضعف الذي

وجد في قلوبهم فبعد أن كانوا عوناً عليه صاروا عوناً له ومن الغريب أنه على أنفسهم فما أحسن ما أُرشد الله إليه عباده ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم أكثر الناس إيماناً بهذا الأمر الإلهي وأحرص الناس على العمل به وأعظمهم ثباتاً عند اللقاء ومقاتلة الأعداء ففتحوا بذلك الأقاليم العديدة شرقاً وغرباً في مدة يسيرة مع قلة عددهم وعددهم بالنسبة إلى جيوش سائر الأقاليم من الروم والفرس والترك والصقالبة والبربر والحبوش وأصناف السودان والقبط وطوائف بني آدم فهمدوا الجميع حتى علت كلمة الله وظهر دينه على سائر الأديان وامتدت الممالك الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها في أقل من ثلاثين سنة وذلك كله بفضل الاتحاد والألفة وعدم الاختلاف والتنازع فكان الواحد منهم لا يهمله إلا الحق والحق واحد لا يتعدد فكانت أغراضهم واحدة ومقاصدهم واحدة وقلوبهم واحدة وكلهم واحدة وجامعتهم واحدة وهي جامعة الدين والحق رضى الله عنهم وأرضاهم وحشرنا في زمرة من هم أكرم وأجود ولما كان عدم التنازع والفشل ليس كافياً في قمع العدو والنصرة عليه بل لابد معه من اصطحاب جميل الصبر نبه الله جل شأنه على وجوب اصطحابه مع ذلك فقال (واصبروا إن الله مع الصابرين) أي معيهم وناصرهم ثم أعلم أن القتال ليس بشرط فإن التنازع والاختلاف في كل شيء مجلبة الفساد وداعية الدمار فكيف شاهدنا من عائلات كبيرة كانت في رغد من العيش وبيوت كثيرة كانت أهلاً بأهلها حتى اذابت فيهم عقارب التنازع وسرى سمه في قلوبهم ثم أخذ منهم الشيطان مأخذه تفرقوا شذروا مذر وأصبحت بيوتهم خاوية على عروشها وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون

(وقال جل ذكره نعمنا على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بأنه أيده على عدوه ونصره عليهم بمجونة المؤمنين الذين ألف بين قلوبهم وجهها على الإيمان به وطاعته ومناصرته وموازرتة)

هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ
لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ
وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

(ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة)

ترشد هذه الآية الكريمة الى رفعة مقام النبي صلى الله عليه وسلم وجلالة قدره وعلو مكانته عند الله تعالى حيث أيده على عدوه بنصره وبالمؤمنين والمراد بهم المهاجرون والانصار ومنحه من الآيات الباهرة والمعجزات الفاخرة اذ ألف بين قلوب من بعث اليهم بما أوجد بينهم من التحاب والتوَادد مع ما جبلوا عليه من الحمية والعصبية والانطواء على الضغينة والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يألف فيهم قلبان حتى صاروا بتوفيقه تعالى كنفس واحدة واجتمعت كلمتهم وصاروا جميعا كئانة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذابن عنه بقوس واحدة ولا يقدر على مثل ذلك الا من يملك القلوب فهو يقلبها كيف شاء ويصنع فيها ما أراد ولذا يقول الله له عليه الصلاة والسلام (لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) أي أن ما كان بينهم من العداوة والعصبية فدمكت في قلوبهم الى حد صار لا يمكن دفعه بحال من الاحوال ولو أنفق الطالب في دفعه ومنعه جميع ما في الارض من نفائس الاموال لما أمكنه ذلك لان أمرهم في ذلك قد تعاطم جدا ولكن الله ببديع صنعه وعظيم قدرته التي بها يصرف القلوب كيف شاء ويقلبها كيفما أراد يقدر على ذلك وهو هين عليه لانه عزيز قوى لا يستعصى عليه شيء بل الكل في قبضته وتحت أمره ونهيه حكيم يعلم ما يليق تعلق الارادة به فيوجده بمقتضى حكمته ومن آثار عزته وقوته تصرفه في قلوبهم حسب ارادته ومشيئته ومن آثار حكمته تدبير أمورهم على وجه أحدث فيهم التوَادد والتحاب

سورة	آية
العران	
	١٠٥
﴿ وقال جل ثناؤه في النهي عن التفرق والاختلاف مبينا ما يترتب على ذلك من العذاب العظيم والعقاب الشديد الاليم ﴾	
وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ	
﴿ ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة ﴾	
ترشد هذه الآية الكريمة الى النهي عن التفرق والاختلاف في أمر الدين وفيما جاء به الشرع المتين من بعد مجيء الآيات البينات واقامة الحجج الظاهرات كما تفرقت الامم الماضية واختلفوا في أمر دينهم وقد أشار الى ذلك التفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال (افرقت اليهود على احدى وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة وستفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الامة واحدة فقليله ما الواحدة قال ما أنا عليه اليوم وأصحابي) ثم اعلم أن الاختلاف والتفرق ان كان في أصول الدين فهو ضلال وسبب كل فساد لانه اذا كان الاصل موضوع الخلاف فكيف يمكن الرجوع اليه عند التنازع والله تعالى يقول (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول) وان كان في الرأي فان كان يترتب عليه تضيق مصالح دينية أو دنيوية فهو ضلال أيضا لقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ وأبي موسى لما بعثهما الى اليمن (تطاوعا ولا تخلفا) وان لم يترتب عليه شئ من ذلك فلا شئ فيه وان كان في الفروع كالاختلاف في الحلال والحرام ونحوهما فما كان منه مبناه اختلاف الآراء في الاستنباط من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مع تحرى الحق والصدق في النية فهو جائز وما كان مبناه الهوى وحب المحمدة والسمعة والشهرة لا غير فهو محظور	

غير جائز

وبعد أن نهي جل شأنه عن التفرق في الدين والاختلاف فيه بين ما يترتب على ذلك الاختلاف وما يحقق بصاحبه من النكال ويحل به من الوبال وعظيم العذاب وشديد العقاب فقال (وأولئك لهم عذاب عظيم) ولا يخفى ما في ذلك من عظيم الزجر للمؤمنين عن التفرق والاختلاف

(وقال جل ثناؤه في الحث على الاتحاد والائتلاف تحت جامعة الدين)

ال عمران

٦٤

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا
بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا
بِأَنَّا مُسْلِمُونَ

(ما تشير اليه هذه الآية الكريمة)

تشير هذه الآية الكريمة الى ما أمر الله به نبيه عليه الصلاة والسلام أن يدعو
أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى اليه ويقبلوا عليه وذلك من اجتماعهم
واتفاقهم واتحادهم مع المسلمين على جملة مفيدة بحيث يستوى الكل في
اعتقادها والعمل بها وتلك الجملة هي أن لا يعبدوا الا الله ولا يشركوا به شيئاً
لا وثناً ولا صليباً ولا صنماً ولا ناراً ولا غير ذلك مما يعتقدون أنه شريك لله تعالى
وأن لا يطيع بعضهم بعضاً في معصية الله تعالى فإن فعلوا ذلك وقبلوا هذه
الدعوة التي هي دعوة جميع الرسل كما قال الله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من
رسول الا فوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة
رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) ووجدوا الله تعالى وأخلصوا له
في العبادة فقد فازوا بالسعادة ومنحروا رضوان الله عليهم وان تولوا وأعرضوا

عنها فأشهدوهم أنتم على استمراركم على الاسلام الذي شرعه الله لكم
وذروهم وما يعملون

وقد دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الدعوة فقد أرسل الى هرقل ملك
الروم كتابا يدعوه فيه الى الاسلام وهو (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله
الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد أسلم تسلم يؤتك الله
أجره مرتين فان توليت فانما عليك اثم الاريسيين ويأهل الكتاب تعالوا
الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا
أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون)

الاستقامة

الاستقامة وفقك الله اليها هي الاعتماد في جميع الامور من الاقوال والافعال
والمحافظة على جميع الاحوال التي تكون بها النفس على أفضل حالة
وأكلها فلا يظهر منها قبيح ولا يتوجه اليها ذم ولا لوم وذلك انما يكون
بالمحافظة على الشرع الشريف والتمسك بالدين والوقوف عند حدوده مع
التخاق بالاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة كاجتناب المحارم والتعفف
عن المآثم وابن الجانب وحسن الاخلاق والصدق وانجاز الوعد والوفاء
بالعهد وبذل النصيحة نطق الله تعالى والشفقة عليهم وأداء الامانة لمن
اثمنه منهم وكف اليد واللسان عن أذيتهم لافرق في ذلك بين صغيرهم
وكبيرهم واصلاح ذات بينهم وكتمان السر وقبول العذر وبذل الشفاعة
والعفة والورع والنزاهة وكظم الغيظ الى غير ذلك من كل شئ يحمل
على صلاح الدنيا والدين ويبعث على شرف المحيا والممات
ولعمري الحق انها لمن أفضل الخصال وأجل اللال فيها كمال المروءة وتمام
الايمان وبها تكتسب الفضائل وتسلب الرذائل وتحمدا السيرة وتحسن
السيرة وتعمر البلاد وترتاح العباد وتنمو بها الاموال وتحسن بها
الاحوال ولو لم يكن لها من الحسن الا اسمها لكفها

سورة	آية	
		﴿وقد أثنى الله على المستقيمين وبالغ في اكرامهم ومنحهم أعظم ما يكون لديه وقت الفرع الاكبر من الامن وعدم الخوف والسرور برؤيتهم - ما أعده لهم من النعيم الدائم والخير القائم فقال
فصلت	٣٠	إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أُنْ لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ^{٣١} نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ
		﴿ما ترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان﴾
		ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى أعظم الامور قدرا وأجلها نفرا وذكرا وأعظمها مثوبة لديه تعالى وأجرا ألا وهو الاستقامة على طاعة الله تعالى والوقوف عند حدوده والارتباط بحفظ مواعيقه وعهوده والائتمار بأوامره والاجتناب لنواهيه ومحارمه حتى لا يراه حيث نهاه ولا يفقده حيث أمره فان الله جات قدرته وعلت كلمته قدمخ صاحبها من الخسر أكثره ومن الاجر والثواب أعظمه وأكبره فنزل عليه الملائكة في حال حياته عند حلول الملمات به وتراكم الاهوال عليه بما يشرح صدره ويدفع عنه الخوف والحزن وعند الموت تقول له لا تخف مما قدمت عليه من أمر الآخرة ولا تحزن على ما خلفت في الحياة الدنيا من ولد وأهل ومال فانا نخلفك فيه وفي القبر تؤمنه مما فيه من الاهوال وتؤنسه فيه من الوحشة وتؤمنه حين يبعث مما يشاهده من الهول الجسيم والخطب العظيم الذى تشي به الولدان ويفتر المر فيه من الاصحاب والخلان وتذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل

سورة	آية	
		ذات جل جلالها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى فتمونهم الملائكة من هول ذلك اليوم العظيم وتبشره بالجنة التي وعد بها على ألسن الرسل الكرام وفيها من جميع ما تختاره النفوس وتشتهي وتقر به العيون وترتضيه ومهما طلب من أى شئ فيها وجد حاضرا بين يديه كل ذلك يفعل الله تعالى ضيافة وعطاء وانعاما منه على عبده جزاء استقامته وملازمة طاعته وعبادته فلا أبزل هذا الخير وما أحسن ما يوصل اليه رزق الله الاستقامة ومنحنا من واسع فضله جزيل العطاء وحسن الكرامة آمين
		(وقال جل ثناؤه في بيان أن الاستقامة تجلب الخير وتوسع الرزق)
الجن ١٦		وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَاهُمْ مَاءً غَدَقًا لَنَفْتَنَهُمْ فِيهِ
		(ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة)
		ترشد هذه الآية الكريمة الى بيان ما أعده الله للمتقين ومنحهم اياه من واسع فضله وجزيل عطائه من الخير الجامع والرزق الواسع جزاء استقامتهم على طريقة الاسلام وطاعتهم لله تعالى واخلاصهم له في العبادة وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا) أى كثيرا وهو كناية عن توسعة الرزق لهم وقوله جل شأنه (لنفتنهم فيه) معناه لنختبرهم حتى نعلم كيف شكرهم على تلك النعم ولقد حث جل شأنه على الاستقامة ورغب فيها وبين أنها مدرة للرزق موسعة له في غير ما آتته من كتابه العزيز فن ذلك قوله تعالى (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) ومنه أيضا قوله تعالى (ولو أنهم أوفوا بعهدهم لكان اليمين بينهم من ربهم لا يوفونهم ومن تحت أرجلهم فإنا أحسن الاستقامة وأجلهم للخير وأدرها للرزق وما أحسن من يتصف بها وأجله

وأجله في العيون وأعظمه في الانظار

(وقال تبارك اسمه في أن عدم الاستقامة سبب الدمار والهلاك)

وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا
فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا

(ما يستفاد من هذه الآية الكريمة)

يستفاد من هذه الآية الكريمة أن عدم الاستقامة ومخالفة الله تعالى في
أوامره وفواهيمه والتهالك على الفسق واتباع الشهوات والترف في الماء كل
والشرب والملبس فوق الحاجة من أكبر دواعي الدمار وأعظم موجبات
الحرب والهلاك سنة الله في عباده وإن تجدد لسنة الله تبديلا ولن تجد
لسنة الله تحويلا

وقد اقتضت إرادته العلية وحكمته الإلهية وهو الحكيم فيما يفعل العليم
بحقائق الأشياء وأسرارها أنه إذا أراد أن يهلك قوما أفاض النعمة على
رؤسائهم وعظمائهم ووسع لهم في الرزق فطغوا وبغوا وتمكنت الشهوة
في نفوسهم وفادتهم - ثم إلى حيث تشاء من الأهواء والموبقات ففسقوا في
الأرض وتغردوا وأخذوا يعثون في الأرض بالفساد ويعصون الله
مأمرهم ولا يبالون بفعل منكر ولا يفتيح فيغضب الله عليهم بسبب ذلك
فيحق عليهم القول ويحقق بهم العذاب الشديد والعقاب الإليم ويهلكهم
الله تعالى ويحرب منازلهم فتصبح خاوية على عروشها ذلك بأنهم - ثم ظلموا
أنفسهم وناذبوا الله بمعصيته وجأهروه بنقض طاعته وتركوا الاستقامة
وراءهم نظريا وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون

(وقال جل ذكره في بيان أن الله لا يغير ما بقوم من النعمة والعافية

حتى يتركوا الاستقامة ويبدلوا الطاعة بالمعصية)

إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا
أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ آلٍ

(ما يستفاد من هذه الآية الكريمة)

يستفاد من هذه الآية الكريمة أن الله جلت قدرته وعلمت كنيته
قد جرت سنته في خلقه أن جعل الطاعة عنوان رضاه وعلامة توفيقه
للعبد وحسن عنايته به ورعايته إياه والمعصية عنوان سخطه وغضبه فمن
عبد الله وأطاعه رضى عنه ومن رضى عنه أسبغ عليه من نعمه الوافرة
وأفاض عليه من بحور كرمه الزاهرة ومن بدل الطاعة بالمعصية والاحسان
بالكفران وغير الحالة الجميلة بالحالة القبيحة فقد باء بسخط الله وغضبه
فيسلبه نعمته ويحل به نقمته ولا راد لذلك ولا ممانع ولا مدافع لانه جل
شأنه اذا أراد بقوم سوءاً فلا مرد له وماله من غيره والناصر يتولى
أمرهم فيدفع عنهم ما ينزله الله سبحانه بهم من العقوبات

ولا يخفى ما في ذلك من الردع والزجر للتمالكين في المعاصي الدائنين على
الفسور وملازمة الجور وانذارهم بغضب الله تعالى عليهم وحلول
الوقعة بهم اذا غيروا وبدلوا ففعلوا بدل الطاعة بمعصية وبدل الخير
شراً وبدل النافع الضار اللهم حول حالنا الى أحسن حال والطف بنا
فيمانزل من الأهوال انك سميع الدعاء واسع العطاء آمين

الاقتصاد وما يترتب عليه من الاسعاد

اعلم أن حاجة الامم الى المال كحاجة الجسم الى الغذاء فكما أن الغذاء
حياة الجسم وقوامه فكذلك المال حياة الأئمة ولا قوام لها الا به وكما
أن الغذاء اذا كثر في الجسم عن الحاجة واستعمل منه فوق القدر اللازم
كان مضراً به وديماً في ضعفه واضمحلاله فكذلك المال اذا استعمل

منه فوق الحاجة وصرف منه فوق القدر اللازم الواجب صرفه منه كان ذلك سببا في ضعف الامم واضمحلالها ووقوعها في مهاوى الذل والاحتقار وليس ذلك قاصرا على الأمم فقط بل الأمم والشعوب والقبائل والعائلات والافراد في ذلك سواء وفي المشاهدة اكبر دليل ولا ينبتك مثل خير فيكم من مسرف رأيناه قل بعد الكثرة وذل بعد العزة وانقرب بعد الغنى وأهين بعد التعليل وقل اعتباره وكثراحتقاره وذهبت هيئته وانحطت قيمته وكما أن الاسراف والتبذير ووضع المال في غير موضعه موجب للدمار والحرب كذلك البخل والتفكير مجلبة لكل شر وداعية الى كل ضرر قال الله تعالى (ولا تحسبن الذين يبخلون عما آتاهم الله من فضله هم خيرا لهم بل هم شر لاهم سيطؤون ما بخلوا به يوم القيامة) فالواجب اذن استعمال الحد الوسط والاخذ بطر في الافراط والتفريط في التصرف في الاموال وهذا هو المعنى بالاقتصاد وذلك يكون بامسالك المال حيث يجب الامسالك وبذله حيث يجب البذل ولا يكون ذلك الا حيث يعرف المقدار الواجب بذله والمقدار الواجب امساكه فالقدر الواجب بذله قسمان واجب بالشرع وواجب بالضرورة والعادة فالواجب بالشرع كالزكاة والنفقة على العيال والاقارب الذين لهم حق النفقة والواجب بالضرورة هو ترك المضايقة والاقتصاد في المحقرات سواء كان ذلك بالنسبة لنفسه كان يلبس أو يأكل أو يشرب أو يركب ما لا يحسن بمثله أن يلبسه أو يأكله أو يشربه أو يركبه على وفرة ماله وهكذا من أموال ذلك أو لغيره كان يضيق على أهله وأقاربه ومما يليه فيمنحهم درهما حيث يستحقون عشرة فان ذلك كله مستقيم واستقباحه يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص فمن كثر ماله يستقيم منه مالا يستقيم من الفقير من المضايقة ويستقيم من الرجل المضايقة مع أهله وأقاربه وزوجته وصديقه مالا يستقيم مع غيرهم ويستقيم مع الجار مالا يستقيم مع البعيد وهكذا فمن أدى واجب الشرع وواجب المروءة الثلاثة به فقد أخدم الاقتصاد بأكمله ومن الاعتبار باجله

وأيضاً فالمال من أكبر النعم على الإنسان التي يجب عليه شكرها
 أثناء الليل وأطراف النهار ومن الشكر أن يصرفه في مصارفه الحميدة التي
 بينها له الشرع فلو أسرف فيه وبذر وسرفه في غير موضعه فقد أخل
 بشكر هذه النعمة ومن أخل بشكر نعم الله تعالى فقد تعرض استخط الله
 وغضبه ومن غضب الله عليه خلعه لباس نعمائه وحرمه من جزيل عطائه
 وأيضاً فإن المال لم يخلق عيشاً وانما خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه
 لحاجات الخلق وذلك يكون بصرفه في مظانه وعدم امساكه فإذا أمسك
 ولم ينفقه أو أنفقه ولكن في غير موضعه الذي يجب أن ينفق فيه فقد
 أبطل الحكمة التي من أجلها خلقه الله تعالى لانه في الحالة الاولى
 حبس المنفعة به وعطل مصالح العباد فيه ولذلك كان جزاؤه النار يكوى
 بها على جهنمه وجنبيه وظهوره كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله (والذين
 يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم
 يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم
 هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكتزون) ولانه في الحالة الثانية
 ضيع المنفعة منه حيث وضعه في غير موضعه واستعمله في غير ما اليه
 خلق بسوء تصرفه وحققه فكان جزاؤه عند الله العقاب الليم
 والعذاب الشديد كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله (ان الذين ينفقون
 أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغفلون)
 هذا وقد تبين مما تقدم أن الواجب استعماله هو الحد الوسط في الانفاق فلا
 يسرف ولا يصرف فوق الحاجة لان ذلك داعية الفقر والدمار ولا يقتر
 دون الحاجة لان ذلك يوجب الذم واللوم والعار

وقد نهى جل شأنه عن الاسراف والتبذير كما نهى عن البخل والتفكير
 وبين ما يترتب على كل منهما من المضار ويلحق صاحبهما من العار وحث
 على الاقتصاد والاخذ بالحكمة في الانفاق فقال ﴿

وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا ۚ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ
وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ۚ ۲٨ وَأَمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ
رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا ۚ ۲٩
وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ
فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا

(ما ترشد اليه هذه الآيات الكريمة)

ترشد هذه الآيات الى ما علمنا الله اياه من حسن التدبير في المعيشة والاقتصاد
فيها الذي هو من أهم المبادئ التي تأسست عليها دعائم سعادة الامم
الدينية وحياتهم القومية - ونهانا عنه من التبذير وصرف المال
فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف وذلك لما يترتب عليه من
المفاسد الكبرى والمصائب العظمى من النقر بعد الغنى والذل بعد العز
والتحقير بعد التعظيم والاهانة بعد التكريم فكهم بيوت خربت وكم أمم
شقيت وكم ممالك اضمحلت وكم مصالح عطلت بسبب الاسراف والتبذير
وصرف الاموال في غير موضعها الذي يجب أن تصرف فيه

لذلك مثل الله جل شأنه المبذرين بأشنع مثال وأقبحه فجعلهم اخوان
الشياطين حيث قال (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) أى أمثالهم
في التبذير والسرف وترك طاعة الله تعالى وارتكاب معصيته وهذا
غاية في المذمة لانه لا شر من الشيطان - ولما كان الشيطان كثير
الكفران بخودا للنعمة عظيم التمرد على الحق ومع كفره لا يعمل الا شرا
ولا يأمر الا بغير الشر ولا يؤسس الا بغير الخير فيسه عقب الله
المماثلة بنفسه وبين المبذر بقوله (وكان الشيطان لربه كفورا)
أى أن المبذر مماثل للشيطان وكل مماثل للشيطان له حكم الشيطان
وكل شيطان كفور فالمبذر كذلك

ولما نهى جل شأنه عن الاسراف والتبذير وحذر منهما وبالغ في التشجيع على تركهما أخذ بين الادب لمن سئل عن شيء ولم يكن موجودا عنده كيف يقول للسائل وكيف يردده فقال (واما نعرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا) أى اذا سألك سائل وخصوصا اذا كان من أقر ربائك وليس عندك ذلك الشيء الذى سأله وأعرضت عنه لذلك فقل له قولا سهلا اينما وعده وعدا جميلا رجوة له وتطييبا لقلبه

ثم كرر جل شأنه الى الادب فى الاتفاق فقال (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محمورا) فأمر جل ذكره بالاقتصاد فى العيش واتخاذ السبيل الوسط بين الاسراف والتبذير ونهى عن الجمل والتبذير ممثلا حالة الاول بحال من كانت يده مغلولة الى عنقه مضمومة اليه مجموعة معه فى الغل بحيث لا يستطيع التصرف بها وحالة الثانى بحال من يبسط يده بسطا بحيث لا يتعلق بهائى مما يقبض الايدى عليه مبينا ما ينتج عن الجمل من المذمة والالوم وعن الاسراف والتبذير من الحسرة والندامة حيث لا يجد شيئا ينفقه

وما أحسن ما أرشد جل شأنه اليه عباده فانه أرشدهم الى ما عليه مدار حياتهم وبه ممالك أمرهم وغمام مجدهم ونفخهم فشكرا له على ما علم وأرشد اليه وأحسن به ونفضل وأنعم وتكرم

(وقال جل ذكره فى سياق مدح عباده الصالحين وبيان أوصافهم الممدوحة مما فيه حث على الاقتصاد ونهى عن الاسراف والتبذير والجمل والتبذير)

وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا

(ما يستفاد من هذه الآية الكريمة)

يستفاد من هذه الآية السكرية أن من أخص صفات الكمال التي يمدح بها الانسان ويحمد عليها ويجزى عليها الجزاء الاوفى في الآخرة ويدخل بسببها الجنة وتلقاه فيها الملائكة بالتحية والبشر والتهنئة والسلام الاقتصاد في المعيشة والتدبير فيها وعدم الاسراف والتبذير ومجانبة الشح والمقتير وهذا الذي أفاده الله تعالى بقوله (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) أى والذين اذا أنفقوا لم يكونوا مبذرين فى انفاقهم فيصرفون فوق الحاجة والضرورة ولا يخلوا فيمنعون أنفسهم وأهلهم وغيرهم من لهم الحق فى أموالهم من التمتع بها مع اتخاذهم لها من غير منفعة بها بل كان انفاقهم بين الاسراف والتقتير قواما ووسطا جزاؤهم عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار يدخلون فيها متمتعين مثلهذين كما أخبر الله تعالى بذلك عنهم بعد فى آخر الآية بقوله (أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا وقاما)

وهذا من أكبر التدبيرات الالهية وأعظم الحكم السماوية التى من الله بها على عباده المؤمنين وأرشدتهم اليها فانه ما قامت لأى أمة قائمة بل ولا أى فرد الا بهذا التدبير الالهى ومن حاد عنه وقع فى مهواة الفقر وساءت حاله سواء فى ذلك الأتم والعائلات والافراد كما هو مشاهد ولذا حث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وبالغ فيه مبينا أنه حسن فى جميع الاحوال حيث قال (ما أحسن القصد فى الغنى وما أحسن القصد فى الفقر وما أحسن القصد فى العبادة) يريد صلى الله عليه وسلم الاقتصاد فى هذه الاشياء الثلاثة فلا يتعدى القدر اللازم منها أما فى الغنى فلان تعديده مجلبة الفساد وداعية الدمار والخراب كما علمت وأما فى الفقر فلان فى تعديده ضم مصيبة الى مصيبة وفى الاقتصاد وحسن التدبير فى حال الفقر تحصيل ثروة وزيادة غنى وأما فى العبادة فلان الاسراف فيها داعية الملل والملل داعية الترك والكسل فكان الاقتصاد فيها من أكبر

موجبات الدوام وخير العمل المستديم ولو قليلا ولذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الميت لأرضا قطع ولا ظهر أبقي) والله أعلم
 (وقال تبارك وتعالى في الحث على اتباع الجادة المثلى والطريقة الوسطى وسلك السبيل الوسط بين الإفراط والتفريط)

وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تَخَافُ فِيهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا

١١٠

الكرية

(ما يؤخذ من هذه الآية الكريمة)

يؤخذ من هذه الآية الكريمة ومن الآيات المتقدمة الحث على الاعتدال في سائر الأحوال واستعمال الحد الوسط في كل شيء فلا يمال إلى الإفراط لما فيه من المضره وهي في كل شيء بحسبه فهمي في رفع الصوت بالقراءة في الصلاة كما هو موضوع النهي في الآية الكريمة منافاة للشروع الذي هو روح الصلاة والتشويش على غيره كما قال تعالى (واغضض من صوتك ان أنكر الأصوات لصوت الحمير) وظاهره العموم لافرق فيه بين الصلاة وغيرها - وهي في المال مثلا ما يترتب عليه من نفاذه وحرمان صاحبه من التمتع به وفقره وذله واحتياجه وغير ذلك من المضار - وهي في الأكل ما يترتب عليه من التخمه في المعدة التي هي منشأ جميع الامراض الجسمانيه غالبا وهكذا في جميع الاشياء فان الإفراط فيها مضر

وكذا لا يمال إلى التفريط لما فيه أيضا من المضره وهي كذلك في كل شيء بحسبه فهمي في المخافه بالقراءة في الصلاة عدم سماع المأمومين ان كان اماما كما هو موضوع النهي في الآية الكريمة فيصرون من الأخذ بما فيها من الاحكام والعمل بها وفي ذلك تضييع لخير كثير ولذا يقول جل شأنه لنبيه صلى الله عليه وسلم (ولا تخافت بها) أي بقراءتك في الصلاة حتى لا يسمعها المأمومون الذين وراءك - والتفريط في صرف المال يترتب

سورة	آية	عليه من المضرّة الاتسام برذيلة الشح والبخل المترتب عليهما حصول الشر والضرر كما قال تعالى (ولا تحسبن الذين ينجّلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما مّخّلوا به يوم القيامة) وعلى مجانبتهما النجاح والفلاح المشار له بقوله تعالى (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) - والتفريط في الاكل يترتب عليه ضعف البنية ونحول الجسم وعدم قدرته على أداء ما يُلَبِّط به من التكاليف دينية كالعبادات وباقي المأمورات أودنيوية كالسعي على الرزق وغيره وهكذا جميع الاشياء فان التفريط فيها مضر
		ولما علم جل شأنه أن في كل من الافراط والتفريط مضرّة أمر بالاعتدال في سائر الاحوال فقال (وابتغ بين ذلك سبيلا) أي اطلب طريقا وسطا بين الافراط في الجهر بالقراءة وبين التفريط في المخافة والاسرار بها فان الركون الى احدى الحالتين مضر
		الثبات في الاعمال وقوة العزيمة فيها اعلم أن الثبات في الاعمال يكون بالدأب والمثابرة عليها ومقابلة الاهوال والمشقات والصعوبات التي تعرض له في أثناء سعيه وراء النتيجة المقصودة له من تلك الاعمال بقلب ثابت وعزيمة صادقة حتى يتحصل عليها وينال أمنيته منها فاذا عرض له ما يظن معه صعوبة الوصول الى النتيجة المطلوبة له فلا يكون ذلك حائلا دون الاستمرار في العمل فانه لا صعب مع الاجتهاد وتوجه النفس والرغبة في ذلك الشئ المطلوب مع تدقيق النظر والفكر والتؤدة في العمل وتخيرات الوقت المناسب والحالة المناسبة وعدم الميل الى جانب الافراط فانه ممل ومتعب ولا الى جانب التفريط لعدم نجاح العمل معه فيعمل بمقدار ما ينبغي في الزمن الذي ينبغي في الحالة التي ينبغي
		فن لازم الثبات بهذه الكيفية وجعله أساسا له في سائر أعماله

ووجهته في كل عمل يعمل كان السعد فائده والنجاح رائده والفلاح
 قرينه والعز خدينه ومن اسفرت له الاهواء وطوحت به الحوادث فاشتغل
 كل يوم بعمل وكذا غير حكيم واجتهد غير عليم فلا شك أنه لا يجني غير
 الشقاء والعناء بدون ثمرة تعود عليه ولا فائدة ترجع اليه
 ولو أني تدرجت بك الى ذكر الاشخاص وأعمالهم والامم وأحوالهم وما
 ينتجهم عمل كل بقدر درجة الثبات فيه وعدمه لرأيت أن الثبات من أهم
 دعائم النجاح التي تأسست عليها سعادة الامم والافراد وأن عدمه من أكبر
 دواعي الانحطاط والذل والهوان والحرمان والشقاوة والخسران
 فترى الشخص يقاسى من الاعمال أشقها وأتعبها وأفساها غير مخرج بالا
 ولا مدرك مالا ومع ذلك تراه لا يجني من عمله الاثر الشقاء وماعناء من
 العناء وترى الآخر يكتمى بالنزول ويقنع بالقليل من السعي ولا يتكلف المؤنة
 ولا يتحمل المشاق في عمله ومع ذلك تراه ارتقى عقلا وسعد حظا وجنى
 من ثمار عمله أطيبها وألذها فهنؤ عيشا وطاب نفسا ذلك بان الاول درج
 في عمله الى الطيش والخفة وعدم الثبات فيه فكذلك غير حكيم وجد غير
 عليم فكانت النتيجة حرمانه والعاقبة خسارانه وأن الثاني شرع في
 عمله بالحكمة ودبر أوقات عمله متخذ الوسائل الموصلة اليه عاملا فيه
 بعقضى البواعث لان مالا باعث عليه لا تنوجه الهمة اليه ولا تقبل
 النفس عليه مستصعبا الدأب والصبر في كل عمله فهو وان عمل قليلا فقد
 أحكم عمله واحتاط وتدبر في الاسباب ووضعها حيث تصلح أن توضع
 فنل هذا لابد أن يجنى من عمله ثمر السعادة والراحة

والأم في ذلك كالأفراد سواء بسواء فمن تمسك منهم بعروة الثبات في أى عمل
 يعمل وتدبر فيه قبل الخوض فيه والهجوم عليه فقد استمسك بالعروة الوثقى
 التي لا انفصام لها وكان النجاح قرينه والفلاح رائده والسعد خليفه

ولما كان الثبات في العمل وقوة العزيمة فيه من أجل ما يوصل الامة الى
 سعادتها الحقيقية وفانونا للنجاح في سائر الاعمال ومن أعظم الدعائم التي

تأسست عليها سعادة الأمم حث الله تعالى عليه وبالع في الوصية به فقال)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا
اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

(ما يؤخذ من هذه الآية الكريمة)

يؤخذ من هذه الآية الكريمة بيان ما علم الله به عباده المؤمنين من
آداب لقاء العدو وقت اشتباك القتال وطرق الشجاعة عند مواجهة
الاعداء وبيان الوسائل التي يكون بها الظفر والنصر على العدو فبين
أن من أهمها أمرين (الاول الثبات) وهو مقابلة الاعداء بجأش ثابت
لا يهاب الموت ولا يؤثر فيه الوهم ولا يختلج به الخوف ولا ترعزعه الارجاف
ولا ركض الخيل ولا قراع السيوف ولا استتباك الكتائب وذلك انما
يكون اذا كان القلب ثابت الايمان عظيم الثقة بالله تعالى قوي
الركون الى جانب الله معتقداً انه لا يكون موت حيث كتب الله الحياة ولا
تكون حياة حيث كتب الله الموت عملاً بقوله تعالى (قل لن يصيبنا
الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فاذا وصل
ايمانه وشدة يقينه وقوة وثوقه بالله جل شأنه الى هذا الحد من اليقين لاجرم
كان ذلك من أكبر دواعي الثبات الذي هو من أعظم أركان الظفر
والنصر على العدو أما اذا كان ضعيف الايمان فتنتفد في قلبه المخاوف وتحيط
به احاطة السوار بالمعصم فتخل عرى عزيمته ويضعف قلبه ويحين ليه
وينهد ركن عظيم من قوته فاذا تحرك أى حركة تنسم منه العدو الخوف
والضعف وفتور العزيمة فيتجدد طمعه فيه وتقوى آماله في الظفر به
فيزيده ذلك قوة على قوته وثباتاً على ثباته ويجدد من عزيمته بقدر ما نقص
من هذه بسبب الفتور الذي نشأ من ضعف الايمان فيكون عوناً له على
نفسه بعد أن كان عوناً عليه وحين ذاك تكون الطامة الكبرى والخطب

المدلهم (الثاني) ذكر الله تعالى في مواطن الخوف بدعائه وطلب الاستغاثة به والمعونة منه فان في ذلك من الدلالة على كمال الايمان وقوة اليقين وثبات الجأش ما لا يخفى لاسيما في هذه الحالة التي ترجف لها القلوب وتزيع عندها الابصار فلن يحرم من الله إذن المعونة والنصر والتظفر لانه جل شأنه ولي من انتصر به ومعين من استعان به ومقويه وناصره على أعدائه ولذا يقول جل شأنه (لعلكم تفلحون) أى لعلكم ان قابلتم العدو بقلب ثابت وجأش قوى وذكرتم الله تعالى وطلبتم منه المعونة واستنصرتم به تفلحون وتظفرون بمرادكم على عدوكم تولانا الله برحمته وأعاننا من فضله ورزقنا المشوبة من كرمه وحلمه انه سميع الدعاء كثير العطاء

﴿ وقال جل ثناؤه في الحث على الثبات وقوة العزيمة في الامر وعدم التردد في امضائه عند العزم على فعله ﴾

فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ

١٥٩

ال عمران

﴿ ما يستفاد من هذه الآية الكريمة ﴾

يستفاد من هذه الآية الكريمة الحث على الثبات في الامر وقوة العزيمة فيه وعدم التردد في امضائه عند العزم على فعله مع الاعتماد على الله تعالى في انفاذه وامضائه والوثوق به وتفويض الامر في تحييره ما فيه المصلحة له لانه جل شأنه هو الا علم بالاصح ولذا يقول جل شأنه (فاذا عزمتم فتوكل على الله) أى فاذا قصدت امضاء أمر وصممت العزيمة عليه فافعله مع تفويض الامر لله تعالى والاعتماد عليه فيه ليكون ذلك أنجح لطلبته وأتم في نوال مقصودك وأبلغ في نجاح مقصودك وتنام مرغوبك لانه جل شأنه يحب من توكل عليه ووثق به وفوض الامور اليه فينصره ويرشده الى ما هو خير له كما تقتضيه المحبة وأصل التوكل اظهار العجز والاعتماد على الغير والاكتفائه في فعل ما يحتاج

اليه وهو على الله تعالى لا ينافي الاخذ في الاسباب والسعي في الاكتساب بل يكون عمراعاتها مفوضا الامر الى الله تعالى ولا عبرة بما يهيجس به بعض الحق من لاخلق لهم حيث يقولون ان التوكل هو ترك الكسب وعدم السعي والاخذ في الاسباب والجلوس في البيوت كالمقعدين والمجائز فان ذلك غاية الجهل ونهاية الخبل والدليل على أن الكسب لا ينافي التوكل أن الصديق رضي الله عنه لما يبيع بالخلافة أصبح وقد أخذ الاثواب والذراع بيده ودخل السوق ينادى حتى كره ذلك منه المسلمون وقالوا كيف ذلك وقد أفت بالخلافة النبوة فقال لا تشغلوني عن عيالي فاني ان أضعهم كنت لما سواهم أضيع حتى فرضوا له قوت أهل بيت من المسلمين فلما رضوا بذلك رأى أن مساعدهم وتطبيب قلوبهم واستغراق الوقت بمصالح المسلمين أولى ولا يصح أن يقال لم يكن الصديق في مقام التوكل ومن أولى بهذا المقام منه فدل على أنه كان متوكلا ولكن لا باعتبار ترك الكسب والسعي بل باعتبار قطع الانفقات الى قوته وكفايته والعلم بأن الله تعالى هو ميسر الاكساب ومدبر الاسباب وبشروط كان يراعيها في طريق الكسب مع الاكتفاء بقدر الحاجة حتى لا يشتغل بالزائد عن عبادة الله تعالى والنظر في مصالح العباد والخلاصة أن المكتسب اذا راعى آداب الكسب وأخلص نيته بان لا يقصد به الاستكثار الذي يعوقه عن طاعة الله تعالى ولم يكن اعتماده على بضاعته وكفايته كان متوكلا وعلامة عدم انكاله على البضاعة والكفاية أنه ان سرقت بضاعته أو خسرت تجارتها أو تعوق عن أمر من أموره كان راضيا ولم تبطل طمأنينته واعتماده على أن الله تعالى لا يفعل به الا ما فيه صلاحه فربما كان في اهلاله بضاعته خيره في دينه وفي ابقائها فساد دينه كافي الخبر (ان العبد ليتم من الليل بأمر من أمور التجارة مما لو فعله لكان فيه هلاكه فينظر الله تعالى اليه من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح كئيبا حزينا يشطير بجاره والسنعه من سبقني

سورة	آية
التوبة ٤١	

ما الذي دهاني وما هي الا رجة رحمة الله بها) فاذا اكتسب العبد بهذا الوجه
وعنده الشروط كان متوكلا حقيقة وعلى الله الانكال والاعتماد في كل حال

وقال جل ثناؤه فيما بينه لنا من ثبات نبينا صلى الله عليه وسلم وقت
الشدة والاعتماد عليه تعالى في موطن الخوف ليقتردي به ويتبع سنته
وطريقته ونهتدي بهديه فان به الاسوة الحسنة وفي الاقتداء به الخير
الكثير صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

الَّتِ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا
ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ
إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ
لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَلِلَّهِ اللَّهُ
هِيَ الْعُلَمَاءُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

(ما ترشد اليه هذه الآية المكرية)

ترشد هذه الآية المكرية الى ما منح الله به نبينا صلى الله عليه وسلم من
قوة الثبات وقت الملمات ونزول الشدائد وحصول الحادثات ليكون
لنا من وراء قصصه ما كان عليه نبينا صلى الله عليه وسلم من الاخلاق
الفاضلة والصفات الكاملة ما فيه الاسوة الحسنة والقدوة المستحسنة فانه
صلى الله عليه وسلم افضل من تؤسى به في أقواله وأفعاله

وقد بين ذلك جل شأنه عا كيا ما حصل بينه صلى الله عليه وسلم وبين
صاحبه الصديق حينما كانا في الغار من المحاورة وما أظهره صلى الله عليه
وسلم من الثبات العظيم حيث قال (الاتنصروه فقد نصره الله اذ
أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن
ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة

الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) أى ان تركتم نصره فان الله ناصره ومؤيده وكافيه وحافظه كما تولى نصره وقت أن أخرجه الذين كفروا من مكة مهاجرا الى المدينة هو وصاحبه أبو بكر الصديق رضى الله عنه وذلك عام الهجرة لما هم المشركون بقتله عليه الصلاة والسلام أوجبسه أو نفيه فلجأ الى غار ثور وهو جبل بقرب مكة بينه وبينها مسيرة ساعة وخرج المشركون يقتفون أثرهما حتى وصلوا الى غار ثور فلما بصروهم أبو بكر حزن حزنا شديدا فرقا على النبي صلى الله عليه وسلم وقال اذا أنامت فأنا رجل واحد واذا مت أنت هلكت الامة والدين فأخذ صلى الله عليه وسلم بما أوتيته من قوة اليقين وكمال الايمان وشدة ثقته بالله تعالى يسكن روعه ويشجعه ويثبت به ويقول له لا تحزن ان الله معنا أى ومن كان الله معه فان يغاب ومن لا يغلب يحق له أن لا يحزن فما أعظم هذا الثبات وما أمكن هذه القوة في الدين ولقد كافأه الله تعالى على هذا الثبات العظيم وعلى ثقته به بان أنزل عليه سكينته وتأييده ونصره وأيده بالملائكة في الغار يحرسونه ويسكنون روعه ويصرفون أبصار الكفار عنه وجعل كلمة الذين كفروا وهي الشرك السفلى أى المغلوبة المتهورة وجعل كلمة الله وهي لا اله الا الله هي العليا أى الغالبة القاهرة والله عزيز أى في انتقامه وانتصاره منيع الجناب لا يضام من لاذ به واعتمد عليه ووثق به حكيم في أقواله وأفعاله لا يفعل الا ما فيه الحكمة والصواب

ثم اعلم أن الخطاب في قوله تعالى الاتنصروه يحتمل أن يكون لقوم مخصوصين وهم الذين كانوا في مدته صلى الله عليه وسلم أولهم ولين بعدهم الى يوم القيامة والمراد اذا بنصرته صلى الله عليه وسلم نصرته دينه وتكون بأشياء كثيرة منها السعي في تقوية دعائه وارتفاع شأنه واعلاء كلمته ونشر التعليمات التي جاء بها ليتعلمها الناس ويفقهوها ويعملوا بها على الوجه المطلوب ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبذل

سورة	آية	
		النفس والنفيس في كل ما يعود عليه بالعزة والقوة والمنعة الى غير ذلك وفي ذلك من الحث على اقامة الدين واطهار شعائره والعمل بما جاء به وامتنال ما امر به وترك ما نهى عنه ما لا يخفى
		﴿ وقال جل شأنه في الحث على الثبات وقوة الجأش وذم الجزع مع بيان ما يترتب عليه من غضب الله والخلود في النار ﴾
الانفال ١٥		يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفُوا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ۚ وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ دَرَهُ الْأُمْتَحَرَفَا لِقَتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ
		﴿ ما ترشد اليه هاتان الآيتان الكرعتان ﴾
		ترشد هاتان الآيتان الكرعتان الى ما أمر الله به المؤمنين من الثبات وقت مقاتلة الاعداء وما نهى عنه من الفرار أمامهم فان ذلك داعية الطمع فيهم وتقوية لعدوهم عليهم مالم يكن ذلك لقصد خديعة أو مكيدة كان يفر أمام العدو ليريه أنه قد خاف منه فيتبعه ثم يكر عليه فيقتله فهذا لا بأس به ومثله مالم يفر أمامه ليتحيز وينضم الى فئة أخرى وجاعة آخرين من المسلمين يعاونهم ويعاونونه فهذا لا بأس به أيضا أما من فرأى أمام العدو وغير هذين الأمرين كعبين ونحوه فقد رجع بغضب من الله وكان جزاؤه جهنم بأوى اليها ويدخل فيها وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفُوا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ دَرَهُ الْأُمْتَحَرَفَا لِقَتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) أي يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْقِتَالِ فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ وَلَا تَهْرَمُوا أَمَامَهُمْ وَلَا تَعْطُوهُمْ ظُهُورَكُمْ بَلْ قَاتِلُوهُمْ بِثَبَاتٍ عَظِيمٍ وَجَاسٍ ثَابِتٍ لَا يَهَابُ

الموت ومن يفعل منكم غير ذلك ينفراً أمامهم فقد باء ورجع بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير - مالم يكن فراره أمامهم للخرف للقتال والميل من جانب الى جانب في المعركة ليموهم أنه منهزم فيتمعه العدو فيكر عليه ويمكن من الوقعة به وهذا من خدع الحرب ومكايده فلا بأس به أوللتحيز والانضمام الى فئة أخرى من المسلمين غير النعمة المقابلة للعدو ليكون الكل يدا واحدة على العدو فيكون ذلك أدعى لنصرهم وخذلان عدوهم لان يد الله مع الجماعة

التعاون على الخير والمساعدة في فعله

التعاون وفق الله المسلمين اليه قوام الامم وملاكها وعليه مدار نظامها وحياتها وهو أمر فطرى فى الانسان اذ لا يمكنه أن يقوم بمفرده بسائر وظائف الحياة البشرية فهو مضطرا الى الاجتماع بطبيعته ولما كان الاجتماع لا يخلو من المنازعات المفضية الى تغالب القوى المتنازعة وتكافحها فى ميدان الحياة كانت الحاجة ماسة ولا بد الى منع ذلك التغالب ومن أهم الوسائل فى منعه وأعظم الوسائل فى دفعه التعاون والتناصر والتآلف والنضافر - فبالتعاون يدفع عواذى الطبيعة ويتق خطر الوحدة ويتسابق فى ميدان الوجود فيدعوه ذلك الى المشاركة على العمل فيزرع ويستثمر ويعمر ويخترع وينتدع ويتفيا لطلال الممران ويستمد مادة الحياة الطيبة من خلال المتاعب والمشاق التى يشكدها بمقتضى حب التزامهم الطبيعى ولولا التعاون لشبطت همته وقعدت به عزيمته حيث يعتقد من نفسه العجز عن مطاردة العواذى ولا يقدر بمفرده على اتقاء مخاطر الحياة البشرية فيكتفى من العيش بنزوه ومن الحياة بقدر ما تقتضيه الطبيعة وهذا مناف للحكمة الالهية التى أودع الله من أجلها فى الانسان هذه الجوهرية النفيسة التى بها يمكنه أن يستجلى حقائق الأمور ويستخرج بها كنوز الاسرار والماعلم الله جل شأنه أن هذا السر المكنون الذى

أودعه في التعاون وجعله أساس العمران يستلزم معرفة حقائق الأشياء
خيرها وشرها حتى يكون ذلك سبباً في جلب الاول ودفع الثاني وكانت
معرفة ذلك لا يمكن أن يتوصل اليها الانسان باستقلاله مهما قوى
ادراكه وغا فكره فأرسل الله جل شأنه الرسل ليبينوا للناس طرق
الخير وما عليه نظام حياتهم وتقويم ما اعوج من أعمالهم وما به
ينتظم في الحياة الدنيا شأنهم والى ذلك وردت الاشارة في قوله تعالى
(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس
بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) ثم من بعدهم
الخلفاء ثم الملوك ولما كانوا لا يمكنهم القيام بجميع مصالح العباد بأنفسهم
وجب أن يكون لهم بازاء كل حاجة أعوان يتعاونون في جلب المنفعة
للاممة ودفع المنفعة عنها وبذلك استقام العالم وانتظم الكون وعمرت
البلاد وسعدت العباد

﴿ولما اشتمل عليه التعاون من الخير وتكفل به من المصالح حث الله
عليه وبالع في التمسك به والاعتصام بحبله فقال﴾

وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ
وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

﴿ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة﴾

ترشد هذه الآية الكريمة الى أهم الامور وأجدرها بالعناية وأحقها بالرعاية
وهو التعاون على فعل الخيرات وهو البر وترك المنهيات وهو التقوى
لما في ذلك من الخير الكثير والأجر الكبير وما يترتب عليه من الفوائد
والمنافع التي تعود على الناس بالخير والسعادة

فبالتعاون على فعل الخيرات يتبادلون المنافع ويقضى البعض لبعض
مالا يمكنه الحصول عليه - وبالتعاون على ترك المنهيات يرضى الله عنهم

فيمنحهم الخير ويكفيهم الضر شأن الراضى مع المرضى عنه - فمن جمع
التعاون بقسميه فقد كملت سعادته وطابت حياته وهنت معيشته
وبعد أن أمر جل شأنه بالتعاون على فعل الخير وترك الشر والضرر نهى
عن التعاون على الاثم وهو ترك ما أمر الله بفعله والعدوان وهو التعدى
على الناس بما فيه ظلم فان فى التعاون على ذلك مفسد كثيرة ومنكرات
فظيعة - ثم توعد من خالف ذلك وتعاون على ظلم الناس وعدم مراعاة
حرماتهم ولم يبال بما أمر الله به فتركه ولا بما نهى عنه ففعله بالعذاب
الاليم والعقاب الشديد فقال (واتقوا الله ان الله شديد العقاب) والله أعلم

﴿وقال تبارك اسمه فيما حكاه عن نبيه موسى عليه السلام من طلب
وزير له ومعين مينا ما يترتب على ذلك من الفوائد والمنافع﴾

قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ^{٢٦} وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ^{٢٧} وَاحْلُلْ
عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ^{٢٨} يَفْقَهُوا قَوْلِي ^{٢٩} وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ
أَهْلِي ^{٣٠} هَارُونَ أَخِي ^{٣١} اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ^{٣٢} وَأَشْرِكْهُ فِي
أَمْرِي ^{٣٣} كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ^{٣٤} وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ^{٣٥} إِنَّكَ
كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا

﴿ما ترشد اليه هذه الآيات الكريمات﴾

ترشد هذه الآيات الكريمات الى سؤال موسى عليه السلام ربه أن
يجعل أخاه هرون معيناً له فى تبليغ رسالته وذلك عند ما أمره ربه
بالذهاب الى فرعون وقال له اذهب الى فرعون انه طغى فتنسّم عليه
السلام من الامر بذلك والتعليل بالعلة المذكورة أنه كاف أمرا
عظيما وخطبا جسيما لا يتحمله الا ذو جأش ثابت وصدر فسيح فطلب
من ربه أن يشرح صدره ويجعله حليما جولا يستقبل ما عسى أن يرد

عليه في طريق التبليغ والدعوة من الشدائد خصوصا وقد بعث الى
 أعظم ملك على وجه الارض اذالك وأجبرهم وأشدهم كفرا وعنادا
 وأطغاهم وأبلغهم قردا - وأن ييسر له ويسهل عليه ما أمره به من
 تبليغ الرسالة الى فرعون بتسهيل الاسباب ورفع المسوانع وأن يحل
 عقدة من لسانه وكانت به من أثر جرة ألقاها في فيه وهو صغير ليفقهوا
 قوله ويفهموا كلامه عند تبليغ الرسالة وأن يجعل له وزيرا ومعينا
 يعاونه في تحمل أعباء ما كلف به عليه السلام من قبل ربه ويعتصم برأيه
 ويلتجئ اليه في أمره ويكون من أهله وهو أخوه هرون وانما اختار أن
 يكون من أهله لانه أشد عونا وأكثر تماسرا وتعاضدا له من غيره وقد
 بين عليه السلام ثمره هذا التعاون وما ينتج عنه من الفوائد والمنافع
 بقوله (أشدد به أزرى وأنمر كره في أمري) أى أمر الرسالة والدعوة الى
 ما أمر أن يدعو اليه كما بين أن ذلك من النعم الكبرى والمنن العظمى
 التى يجب فى مقابلتها الشكر بتنزيهه جل شأنه عما لا يليق به من الصفات
 والافعال واتصافه بما يليق به من صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال
 وهذا الذى أشار له الله تعالى بقوله (كى نسجك كثيرا ونذكرك كثيرا انك
 كنت نبيا بصيرا) أى عالما بأحوالنا وبما دعوناك به عما يصلحنا ويفيدنا
 فى تحقيق ما كلفتنا به من اقامة معالم الرسالة وقد أجاب الله سؤاله عليه
 السلام كما أفاده بقوله (قد أوتيت سؤالك يا موسى) والله أعلم

حب العمل وفضيلة الاجتهاد

اعلم أن كل انسان فى هذه الحياة مطالب بأن يعمل لإمالة نفسه ليحيا
 حياة طيبة ويعيش عيشة راضية وإما لأهله وعشيرته وبلاده وأهل وطنه
 ليتم بينه وبينهم تبادل المنفعة والمشاركة فى كل عمل يحفظ لهم ناموس
 وحدتهم ولما لمن يأتى بعد إيهي أهم ما يتخذونه أساسا يشيدون عليه
 بناء هيئتهم فإذا قصر فى مطلب من هذه المطالب كان عضوا فى جسم
 الهيئة الاجتماعية فاسدا يجب قطعه خشية سريان العدوى منه الى

غيره من بقيمة الاعضاء

وهو في كل ذلك لا يمكنه أن يقوم بنأدية هذه المطالب وتلك الحقوق الا اذا استخدم قواه العقلية ومداركه العالية في سبيل تربيته عن المرتبة الحيوانية الى المرتبة الكاملة الانسانية وذلك انما يكون اذا استعمل تلك القوى فيما هو مستعد له بطريق الفطرة وفيما هو مخلوق لاجله من الدأب على العمل والسعى وراء تتبع أسرار الكون وما أودعه الله فيه من الكنوز ذخيرة للانسان يكتشفها بقوة العقل ويصل اليها بالمشاهدة على العمل فيزرع ويستثمر ويخترع ويتدع ويتفيا ظلال العمران ويستمد مادة الحياة الطيبة من خلال المتاعب والمشاق التي يتكبدتها في سبيل الحصول على ثمرة هذه الحياة وبدون استخدام تلك القوى لا يمكنه أن يؤدي مطلباً واحداً فضلاً عن كل المطالب

ولا يتم له استخدام تلك القوى ولا يتسنى له الوصول الى ما يرمى اليه غرضه من هذه الحياة بواسطة العمل الابنيد الاوهام وكل ما يقعه عن العمل ويدعوه الى الركون الى العجز والكسل وأن يكون له من نفسه باعث على العمل وميل اليه وبدون ذلك لا يجنى من عمله سوى الحرمان والضياع ولا يتم له ذلك أيضاً الا اذا وضع كل عمل في وقته الذي يصح أن يعمل فيه ودبر وقته كتدبير غذائه وشربه وفومه فيصرف بكرته في كذا وضحوته في كذا وغدوته في كذا مراعيًا في ذلك حالة معاشه وصحته وحقوق أعماله

فاذا أدى هذه المطالب واستخدم قواه العقلية في الحصول عليها ونبذ الاوهام واشتغل بما يناسبه من الاعمال ووضع كل عمل فيما يصح أن يعمل فيه ودبر وقته بالحكمة كان ممن كملت سعادته وانبعثت به روح الحياة في الامة

وعلى هذا فيجب أن يكون العمل من القواعد المهمة الممتدة لافراد النوع البشرى والحافطة للامم حياتها واستقلالها ومن المبادئ التي تأسست

عليها دعاة سعادة الأئمة البشرية وحياتهم القومية - ولذلك جاء الاسلام
 وقرر فيما قرر من مبادئ السعادة الدنيوية الموصلة للسعادة الآخروية
 وجوب العمل والكسب والسعي والكد والجهد والنشاط وترك العجز
 والكسل والخمول والتقاعد وعدم النشاط فقد قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم (ان الله يحب المؤمن المحترف) أى التكافى في طلب
 المعاش بنحو صناعة أو زراعة أو تجارة لان قعود الرجل فارغا أو شغله
 بما لا يعنيه مذموم ومن لا عمل له لا أجر له ومن ترك الأسباب دار
 الفلأ ينصيب غيره ومن جدد وجد ولكل مجتهد نصيب والا حادىث
 الدالة على العمل والكسب والحائنة عليهما والمرغبة فيهما كثيرة فمنها قوله
 عليه الصلاة والسلام (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك
 كأنك تموت غدا) وقوله عليه السلام (من سعى على عياله من حله فهو
 كالمجاهد في سبيل الله ومن طلب الدنيا حلالا في عفاف كان في درجة
 الشهداء) اذا علمت ذلك وعلمت أن الشرع كما حث على الجهد والنشاط
 فى العمل للحياة الآخرة كذلك حث على الجهد فى العمل للحياة الدنيا لانها
 دار حرب وهيجاء والقائم فيها يغلب القاعد ويستعبدونه ويسلبونه جميع
 حقوق حياته كما هو مشاهد اليوم من أحوال الأمم ولان المال من أكبر
 مقومات الحياة ومن أعظم دعائم الارتقاء لها ولا يمكن تحصيله الا بالسعى
 والعمل ولان الدنيا هنزعة الآخرة ولا يمكن الوصول اليها الا بطريقها
 علمت أن ما يقوله بعض الحقى ممن لاخلاق اهم المثبتين للهمم من أن
 الرزق مقسوم وأن السعى لا يجلب رزقا ليس للعبد وأن البطالة والكسل
 لا تحرمه رزقا هوله فان ذلك وان كان هو الحقيقة والواجب اعتقاده الآن
 هذا المثبط الاحق كيف لا يعلم أن السعى مقسوم سبق به علم الله أيضا
 وهل قسم الله الرزق وعطل أسباب تحصيله وهل جعل فى تركيب بنية
 الانسان استعدادا لطلبه ومنحه الاميل ليثبطه عن العمل كلا فان
 ما جاءت به الشريعة الاسلامية ويقتضيه العقل السليم يناقض ذلك

واليك الفاعلة التي تبعث الناس الى التسابق في ميدان هذه الحياة
باطمئنان على نوال مكافأة النعب وهي قوله عليه الصلاة والسلام (ان
الله يعطي العبد على قدر همته ونهمته)

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مثالا للنشاط والجد والاجتهاد
وما سمعنا عنه يوما أنه جلس في بيته انكالا على أن الرزق مقسوم مع أنه
صلى الله عليه وسلم أكثر الناس وأشدهم يقينا وأعظمهم وثوقا بالله وبما
عند الله بل قام وكافح وناضل وتاجر وسافر وسعى وكثرت وجته واجتهاده
وهؤلاء أصحابه عليه السلام كان من بينهم الغني الذي أمكنه لو فرة ماله
أن يجيش جيشا ويجرد حملة عسكرية من ماله الخاص كما حصل من
عثمان رضي الله عنه وما حصل على ذلك الا بالكسب والعمل وحسبك
ما قاموا به من الاعمال الجارية والفتوحات العظيمة وما أظهروا في ذلك
من الجهد والنشاط حتى مدوا ظلال العمران وشيدوا الممالك وبلغوا في
مدة ثمانين سنة من الملك وسعة السلطان وامتداد دائرة النفوذ ما لم
تبلغه أعظم دولة في العالم

واليك أوامر الله تعالى وأحكامه في كتابه الكريم تنبئك عما أمر الله به
من الجهد والنشاط في العمل وما نهى عنه من العجز والبطالة والكسل

قال الله تعالى في الحث على العمل وما علمه لنبيه داود وسليمان عليهما
السلام من صنعة الحدادة وعمل الدروع وصناعة البناية وعمل التماثيل
والصور والقصاص وصب النحاس وعمل القدور الكبيرة منه بواسطة الجن
وأمر بالشكر على تعليمه هذه الصنائع

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ
وَأَلَّنَا لَهُ الثَّغِدَ " أَنْ اْعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ
وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ " وَلِسُلَيْمَانَ

الرَّيْحَ غُدُوَّهَا شَهْرُورَ وَاحِهَا شَهْرُ وَأَسْلَمْنَا لَهُ عَيْنَ
الْقَطَرِ وَمِنْ الْجَنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ
يَزِغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نَذْقُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ^{١٣} يَعْمَلُونَ
لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَائِيلَ وَجِفَانٍ كَأُجْحُوبٍ
وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ
عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ

(ما ترشد اليه هذه الآيات الكريمة)

ترشد هذه الآيات الكريمة الى ما منح الله به نبيه داود وسليمان عليهما
السلام من الفضل وما علمهما من الصنائع والحرف وما منح لهما من
الجبال والطير والريح والجن فأعطى داود عليه السلام من الفضل أن
يسخر له الجبال تسبح معه اذا سبح وترجع بصوتها مسجحة عند تسبيحه
والطير يكلمه على اختلاف أنواعه وتباين لغائه وألان له الحديد حتى
كان لا يحتاج أن يدخله نارا ولا يطرقه بطرقة بل كان يقتله بيده مثل
الحيوط يعمل منه دروعا سابغات كاملات واسعات وأرشدته الى كيفية عمل
هذه الدروع فقال له (وقدر في السرد) والسرد نسج الدروع أى اجعله
بحيث تتناسب حلقة منتظمة متسعة محكمة متقنة وفيه ارشاد الى أن
الانسان اذا شرع فى أى عمل من الاعمال عليه أن يحكمه ويتقنه ثم
خاطبه تعالى بقوله (واعملوا صالحا انى بما تعملون بصير) أى واعملوا
فى الذى أعطيتكم اياه من النعم صالحا انى مراقب لكم بصير باعمالكم
وأقول لكم لا يخفى على من ذلك شئ فأجازيكم به وسخر لسليمان عليه
السلام الريح طوع أمره بصرفها كيف يشاء على سرعة سيرها الزائد
حتى كان جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك وأدابه الخاس

سورة	آية	على نحو ما كان الحديد يلين لداود عليه السلام فيعمل منه ماشاء وسخره الجن يملون بسين يديه ماشاء سواء كان ذلك من لوازم المسكن كالحايرب وهي الابنية الرفيعة والقصور العالسة والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال والتمثيل وهي الصور سواء كانت من لحاس أو زجاج أو رخام أو غير ذلك أو من لوازم الاكل كالجفان التي كالجواب أى القصاع الكبيرة التي كالخياض العظام التي تشرب منها الابل وكالقصور الراسيات أى الثابتات التي لا تتحرك ولا تتحول عن أماكنها لعظمها والقصور جمع قدر وهو ما يطبخ فيه ولا يمكن أحدا منهم أن يخالفه ومن خالفه ولم يطعه عليه السلام فيما أمره به من العمل فإن الله سبحانه وتعالى يذيقه من عذاب السعير وهو الحريق ولما كان هذا التسخير وهذا الاعطاء من المنن العظمى والنعم الكبرى من الله تعالى على سليمان التي يجب شكرها أمره جل شأنه بالشكر فقال (اعملوا آل داود شكرا) أى على ما أنعمت به عليكم (وقليل من عباده الشكور) وهو الذى يشكره على أحواله كلها قبل لما أمر داود عليه السلام بالشكر قال يارب كيف أشكرك والشكر نعمة منك قال الآن شكرتني حيث علمت أن النعمة مني وقد جهت هذه الآيات من الصناعات ما هو من لوازم الانسان فى ما كاه ومشربه وملبسه ومسكنه والله يغارى كلامه علم
		(وقال جل شأنه ما كى ما مقالة قوم قارون له لما فهم من الخث على أن الانسان يعمل للآخرة ولا يترك من أعمال الدنيا ما يوصله للآخرة)
القصص	٧٧	وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ

((ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة))

ترشد هذه الآية الكريمة الى أن الانسان عليه أن يشتغل بأمر الآخرة وما يوصل اليها ولا ينسى نصيبه من الدنيا بل يهل الدنيا كما يهل الآخرة فيؤدي ما عليه من الحقوق نحو جسمه فيسد به الاكل بالسهي وراء أسبابه والشرب والملبس والمركب الى غير ذلك من ضروريات الجسم ولوازمه التي لا قوام له الا بها وذلك انما يكون بالسهي والعمل فيما به الوصول الى هذه الاشياء كما قال عليه الصلاة والسلام (اغتم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك) وهذا الذي أفاده الله تعالى بقوله (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)

ولما أمره أولا بالاحسان بالمال أمره ثانيا بالاحسان مطلقا ويدخل فيه الاعانة بالمال والجاه وطلاقة الوجه وحسن اللقاء مع صنوف الخلق فقال (وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين) أي أحسن الى خلقه بصنوف الخير والبر ولا تكن همتك بما أنت فيه أن تفسد به في الارض وتسيء الى خلق الله ان الله لا يحب المفسدين

((وقال جل ثناؤه في سياق الامتنان على عبيده وتعداد النعم عليهم بانه سخر لهم البحر وما فيه من الاسماك والالآت والجواهر النفيسة والسفن لركوبها فيه والسفر بها للتجارة وأشار مع ذلك الى أنه لا يمكن الانتفاع بها الا بالعمل والمشقة والتعب والكد والجد والاجتهاد))

وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لَكُمْ كُلَّوْا مِنْهُ نَجْمًا طَرِيًّا
وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حُلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ
فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

﴿ما تشير اليه هذه الآية الكريمة﴾

تشير هذه الآية الكريمة الى بيان ما أنعم الله تعالى به على عباده من تسخير البحر المتلاطم الامواج وتذليله لهم وتيسيرهم للركوب فيه وجعل السمك والحيتان فيه واحلاله لهم لحما حيا وميتا وما يخلقه فيه من الآلات والجواهر النفيسة وتسهيله للعباد استخراجها من قراره حليلة يلبسونها وتسخير البحر بحمل السفن التي تخزه أى تشقه وأرشد الله العباد الى صنعتها وهداهم الى ذلك إرثا عن أبيهم نوح عليه السلام فانه أول من ركب السفن وله كان تعليم صنعتها ثم أخذها الناس عنه قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل يسرون فيه من قطر الى قطر ومن بلد الى آخر لطلب ما هناك الى هنا وما هنا الى هناك ولذا قال تعالى ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون أى نعمه واحسانه فانظر يا ربك الله الى أنه جعل شأنه مع تسخير البحر للانتفاع بما أودعه فيه من هذه المكنوز والفوائد والمنافع التي تعود على الانسان بالخير الجسيم والنفع العظيم قد ناط الانتفاع بها بالاخذ في أسباب الحصول عليها وتحمل المتاعب وتكبد المشقات في سبيل حصولها وقد أشار الى ذلك بقوله (لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حليلة تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) فان من المعلوم أن أكل اللحم الطرى الذى هو السمك لا يمكن بدون الاصطياد وتكبد المشقات وركوب الاخطار في الحصول عليه ورعى الشباك في البحر والمخاطرة بالنفس وقت هيجان الماء وتتابع الزوابع والاعصار وما يتناوبه من المخاوف فى أثناء ذلك السبيل -- وكذا استخراج الحليلة التي تلبسها لا يمكن الا بعد مخاطرة عظيمة فى غوص الماء وقدرة فائقة على مقاومة الماء فى داخله واستنشاق الهواء من خلاله ولذا قال جعل شأنه فى بيان طريق الانتفاع بهذه الحليلة (لتستخرجوا) أى لتتكبدوا المشقة والتعب وتعانوا

مجهودات كبيرة في استخراجها كما تقتضيه مادة الاستفعال - ولأنه علم جل شأنه أن ذلك مما ينال بدون مكابدة مشقة وعمل مجهودات عظيمة ليقال لتخرج لكم منه حلية تلبسونها ولم يقل لتستخرجوا - وكذا ابتغاء الرزق من فضل الله بواسطة التجارة على هذه السفن التي تنخر الماء وتشقه لا يمكن الأبعد ركوب أهوال عظيمة ومخاطر جسيمة لا يتدبر كل أحد أن يتحملها ويركب متن البحر مع ما يكتنفه من الأمواج التي كالبال ويطرأ عليه كل حين من اختلاف الأنواء إلى غير ذلك مما يقاسيه الإنسان في حال السفر من الأهوال والشدائد

وفي ذلك كله حث على الجِد والنشاط والعمل وترك الخمول والكسل حيث سخر الله البحر وفيه هذه الأشياء لينتفع بها وقد علمت أن الانتفاع بها لا يمكن الأبعد مشقة وعناء فمن لم يجهد نفسه ولم يتحمل الأهوال والشدائد في سبيل الانتفاع بها فقد أبطل الحكمة التي من أجلها سخر الله البحر وأودع فيه هذه الأشياء لا لتفانع بها وبجهد نعمته جل شأنه بهذه الأشياء التي رغبه في الشكر عليها بقوله (ولعلكم تشكرون) والله بسر كلامه عليم

(بالعدل استقام الملاك والدين)

العدل وضع الشيء في محله وإيصاله إلى مستحقه وبه قوام الدنيا والدين وسبب صلاح المخلوقين وبه تألفت القلوب والتأمت الشعوب وظهر الصلاح واتصلت أسباب النجاح وشمل الناس التناصف وضمهم التواصل والتعاطف وبه عمرت البلاد واستراحت العباد وأمنت السبل وفتت التجارات ودرت الأزراق وعم الصلاح العامة والخاصة وما قامت به أمة من الأمم وجعلته في موارد أفعالها ومصادرها الا وكانت في مقدمة الأمم عمراناً وأكثرها حضارة ومدنية وما حادت عنه ونكبت جانباً منه الا وكان الخراب رائدها والضعف قائدها بذلك قضى العقل

وحكم الله وجرى العمل في الأمم من أول نشأتها إلى الآن وحسبك
 عبرة ومصدقا قول الله جل شأنه (فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا)
 وهو نوعان ظاهر وباطن فأما الظاهر فيكون في الحكم بين الناس لقول
 الله سبحانه (وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط) وفي صدق القول لقوله
 تبارك اسمه (وإذا قلتم فاعدوا ولو كان ذا قربى) وفي الوزن لقوله عز وجل
 (وزنوا بالقسط المستقيم) ويكون في غير ذلك

وأما الباطن فهو في جميع ما يلزم الإنسان من محاسبة نفسه سواء فيما
 بينه وبين الخالق أو فيما بينه وبين المخلوقين - فأما الذي بينه وبين
 الخالق فامتثال أحكامه والتزام حدوده والوقوف عند أوامره ونواهيه
 وإن شقت والرضا بقضائه والتسليم لقدره وإن لم يوافق اختياره - وأما
 الذي بينه وبين المخلوقين فالانصاف من نفسه فيماله وعليه وأخذ الحق
 وإعطائه وقول الصدق وحسن المعاشرة وأداء الأمانة والوفاء بالعهد
 وكتمان السر وغير ذلك مما يتعلق بحكم الشريعة ويقضي به الحق وتوجيه
 مكارم الأخلاق وهو بهذا المعنى لا يختص بحاكم أو أمير أو وال أو نحوه ممن
 له على غيره حكم دون غيره بل هو لازم لكل إنسان في جميع أحواله
 فانه يتعين عليه العدل في أهله وماله وولده وأعوانه وخوله وخلانه
 وقرابته وجيرانه ومعاملته وخلطائه في أخذه وعطائه وفي الخاص والعام
 من جميع أموره وأحواله

(وقد حث الله عليه وبالغ في التمسك والاختذ به في جميع الأحوال
 وسائر الأعمال فقال جل شأنه في الحث على العدل في الحكم بين الناس)

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ
 أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ

(وقال تبارك اسمه في الحث على العدل في الشهادات)

سورة	آية
النساء	١٣٤
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا	
﴿ وقال جل ذكره في وجوب العدل بين الخصمين ولو كانا من أشد الامس عداوة له وأبغضهم إليه ﴾	
المائدة	٩
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَنْ لَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ	
﴿ وقال تعالى في الحث عليه والتمسك بعروته الوثقى التي لا انفصام لها ﴾	
النحل	٩٠
إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ	
وغير ذلك من الآيات كثير فعليك بالقرآن الكريم وتتبعها فيه ان أردت استقصاءها والله وليّ الرشد والهدى	
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر	
اعلم أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل من أصول البر وأس عظيم لجميع أعمال الخير ولا تكمل سعادة أمة ولا تتم حياتها المالية والقومية والاجتماعية الا به وذلك أن من المعلوم أن الناس بطبيعتهم ميالون الى الشرور وحب الفجور فلو تركوا أهواءهم وما يشتهون وما تسوله لهم نفوسهم الشريرة من الشهوات والانكباب على اللذات والتوسع في وسائلها لأفضى ذلك بهم الى نيل الفضائل والتخلق بالزائل حتى يصير ذلك رسما فاشيا فيهم وطبيعة لهم وملكة راسخة في نفوسهم	

سورة	آية	
		وحينئذ أخذت عما يفسد بينهم من المفسد والقبائح والذائل والفضائح مما يخرجهم عن حد الانسانية الكاملة الى الحيوانية المحضة ولا حرج
		(ولما علم الله منهم ذلك أوجب على كل فرد من أفراد الأمة عرف المعروف ونحو المنكر وعرف طريق الدعوة الى الامر بالاول والنهي عن الثاني أن يقوم بهما فقال جل ثناؤه)
آل عمران	١٠٤	وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ
آل عمران	١١٠	(وقال تبارك اسمه في وصف المؤمنين بالخيرية لما قاموا به من ذلك) كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
آل عمران	١١٣	(وقال تبارك اسمه في مدح أهل الكتاب ممن قام منهم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر) مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۝ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ
المائدة	٨١	(وقال جل شأنه في ذم من لم يقم منهم بذلك ولعنه وطرده من رحته) لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ۝ ٨٢ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ
		والآيات في ذلك أكثر من أن تحصر

(التكافل العام لجميع المسلمين)

هو أن يكون جميع المسلمين كجسم واحد وكل فرد منهم كعضو من أعضاء ذلك الجسم. ألم الكل لألم الفرد الواحد ويفرح الكل لفرحه ويسعى الفرد الواحد في مصلحة الكل وما يعود عليهم بالخير والسعادة كما يسعى الكل في مصلحة الفرد وهذا الذي أشار له الله تعالى بقوله (انما المؤمنون إخوة) فان معنى الاخوة لا يتحقق فيهم الا اذا كانوا متكافلين متضامين والنبي صلى الله عليه وسلم بقوله (مثل المؤمنين في تواددهم وتراحهم وتواصلهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحسى والنحر) ولعمري الحق ان هذا لباب كبير من علم الاجتماع اذ من المقرر فيه أن الناس مدنيون بالطبع أى لا بد لهم من الاجتماع والمخالطة لان الفرد الواحد لا يمكن أن يستقل بجميع حاجاته ولوازم حياته فهو مضطر بحكم الضرورة الى الاجتماع والمبادلة ولا يتحقق معنى الاجتماع الا بهذا التكافل اذ لو استقل كل فرد بمنفعته الذاتية ورأى أن منفعته ليست منفعة لغيره وأن منفعة الغير ليست منفعة له جرّ ذلك الى قطع المبادلات ونيل المعاملات التى لا تقوم للحياة الا بها أدرك ذلك الشارع الحكيم والسيد العليم سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فكان أول عمل له بعد مهاجرته الى المدينة أن آخى بين الانصار والمهاجرين فكان الانصارى يشاطر المهاجرى فى ماله وكل شئ هو له حتى زوجه فكان من نتائج ذلك الحسنة أن علمت كلمة الدين وكملت سعادة المسلمين وفتحوا الفتوحات ومصرروا الامصار ودوخوا الممالك وتفيؤا خلال العمران وأتوا من جلائل الاعمال بما يهرق العقول ويحير الالباب وكان مما شرع الله لعباده المؤمنين فروض حتم على البعض أن يفعلها مباشرة وعلى الباقين أن يهيمنوا على فعلها حتى اذا لم يقم بأدائها قاموا بدونه وألزموه الاداء واذا أهملوا ذلك وتركوا النظر فيه أثموا جميعا (وهذا الذى يسمى بلسان الشرع فرض كفاية) ولا معنى

سورة	آية	
		لهذا الآن الكل مخاطب فيما يتعلق بالمصالح الاجتماعية بما يخاطب به الفرد والفرد مخاطب بما يخاطب به الكل ولولا ذلك لما أثم الكل عند ترك البعض له
		(ومن نظر في تاريخ الأمم ووقف على أحوال رقيهم ومنبعث سوددهم ومجدهم لم يجد أنهم الأسباب في ذلك ولأعظم الوسائل فيه الا هذا التكافل ولذا يقول جل شأنه)
الانفال	٢٥	وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وذلك أنه كان الواجب على غير الظالمين أن يقبضوا على أيدي الذين ظلموا ويحولوا دونهم ودون ما به كان الظلم وحيث أهملوا أمرهم وتركوهم وما يفعلون فقد شاركوه في فعل هذا المنكر فلم تكن الفتنة قاصرة على الذين ظلموا دونهم لان الكل آثمون والله أعلم
		الاحسان يسترق الانسان
		اعلم أن الاحسان يكون في كل خير فقد يكون في العبادة كما قال صلى الله عليه وسلم (الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك) وقد يكون في الكلمة الطيبة يلقيها المرء لأخيه فتمتدح من همه وتزيل من غمه وقد يكون في بذل المروءة وكف اللسان عن الاذى في القول والعمل وقد يكون في بذل المال في وجوه البر وصنوف الخير مما يعود على الامة بالسعادة والخير العظيم وقد يكون في غير ذلك مما لا حاجة بنا الى استقصائه وليس مقصودنا الذي نرعى الى تحقيقه والحث عليه والترغيب فيه الا هذا النوع الاخير وهو الاحسان بالمال وبذله في وجوه البر والخير وليس معنا بر وخير بعينه بل كل ما صدق عليه مسمى البر والخير فالانفاق فيه حسبما قرره الشرع من الاحسان الذي وعد الله ذويه بنماء

أموالهم اذا هم بذلوها على الوجه الشرعى المرضى وهو أصل من أصول
الايمن الذى لا يكمل الايمان حقيقة الا به كما قال تعالى (انما المؤمنون
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تلى عليهم آياته زادتهم ايمانا
وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم
المؤمنون حقا) فتراه جل شأنه جعل الانفاق مما رزقهم الله من أخص
أوصاف المؤمنين الذين لا يكون ايمانهم حقا الا به

والناظر في كتاب الله الذى لا يأتى به الباطل من بين يديه ولا من
خلفه يجد أن الله جل شأنه لم يعصن أشد الاعتناء ولم يحرض كمال
التحريض بشئ من أعمال البر كاعتنائه بالصدقة والانفاق في وجوه البر
والخير وذلك أن الناس في هذه الحياة الدنيا مشتركون في التمتع
بلذا نذها كل على قدر خطه مما يناله منها ويكتسبه فيها وكان من
حكمة الله جل شأنه أن جعل من الناس قسما عظيما لا كسب لهم
أولهم كسب ولكن لا يقوم بأود حياتهم أولا تسكمل به لذاتهم فلو أن
أهل الاموال وذوى اليسار مع ذلك قصرُوا نفع هذه الاموال على
انفسهم دون غيرهم من المعوزين ولم يجعلوا لهم حظا من أموالهم لأفضى
ذلك الى أن يلجئ أولئك المعوزون الى سلب هذه الاموال وانتهاجها
من أيديهم إما قسرا عنهم أو بما يستعملونه من أنواع الخيل والمكر
والخدعة وفي ذلك من تنغيص حياتهم وتكدر صفو عيشهم والخلل بنظام
المجتمعات بما يجبر الى المنازعات والمقاتلات وفقد الامن والطمأنينة على
الانفس والاموال وتقويض دعائم العمران وهدم بنيان الله ومناقضة
ما أراد الله في خلقه من حفظ حياتهم ونظام حياتهم مالا يخفى - لذلك
كان من أعظم ما حث عليه الشرع وشدد على فعله الانفاق والبذل
في وجوه البر والخير

(قال الله تعالى في أن هذا الانفاق داعية التماء والزيادة)

سورة	آية	
البقرة	٢٦٠	مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ
		((وقال تبارك اسمه في ذلك أيضا))
البقرة	٢٦٤	وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتهٍ مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ حَبَّةٍ رَبَّوْهُ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَاتَتْ أَكْطَاهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
		((وقال جل ثناؤه))
البقرة	٢٤٥	مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً
		((وقال عز وجل))
البقرة	٢٧١	وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤْتِ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ
		((وقال تعالى))
ال عمران	٩٢	(لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ)
		((وقال جل ذكره))
البقرة	٢٦١	الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
		وليس المراد بسبيل الله خصوص الجهاد كما قد يتوهم بل المراد به كل خير والآيات في ذلك أكثر من أن يحصر وبالله التوفيق وله الحمد والمنة
		((المسارعة الى فعل الخيرات))
		اعلم أن أعظم ما يوجه الانسان همته اليه ويبذل قصارى جهده فيه أن

يسمى وراء ما يعود عليه بالخير والسعادة والا كانت نفسه أحقر الأشياء إليه وأخسها وأهونها لديه وإذا كانت عنده كذلك فهي عند غيره أهون وأخس وأضيق ولا يرضى بذلك الا من لاقية للحياة عنده - وحيث ان الخيرات ليست من الأشياء التي تفشى الانسان في جميع آونه وانما هي شوارد يقتنصها من نصب شراله الحرص لتحصيلها وحبائل التيقظ لاقتناصها كان من الواجب على كل عاقل أن يكون لها بالمرصاد حتى اذا آنس غرة الحوائل دون الحصول عليها وثب عليها وتوب الاسد على فريسته واغتنى الفرصة في تحصيلها ليفوز بالخير ويحظى بالسعادة - ولذا حث جل شأنه على المسارعة الى فعل الخير والمبادرة الى تحصيله ونبيه على فضل الذين يسارعون في الخيرات ونوه بذكر أخص أوصافهم التي امتازوا بها عن غيرهم فقال

إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ٥٩ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ٦٠ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ٦١ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ٦٢ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ

٥٨

المؤمنون

وقال جل ذكره فيما يترتب على المسارعة في الخيرات من جزيل الفوائد وعظيم المنافع

وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ٩٠ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَاهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ

٨٩

الانبياء

وقال جل شأنه بحث على ذلك أيضا

وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الْآيَاتِ وَالْآيَاتِ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ فِي هَذَا الْقَدْرِ كَفَايَةً وَاللَّهُ وَلِي الرِّشْدِ وَالسَّدَادِ

٨٣٣

ال عمران

(يقول طه بن محمد قطريه رئيس التصحيح بالمطبعة الكبرى الاميرية)

جدنا لمن بعث الرسل بهداية السبل ونصهم لايضاح الحجج لئلا يكون للناس على الله حجة وصلاة وسلاما على سيدنا محمد أفضل باعث اليه وأكرم مبعوث بكتاب مصدق لما بين يديه وعلى آله آل القرآن وأصحابه أصحاب الاحسان (أما بعد) فهذا مطبوع كريم سماه الصراط المستقيم حضرة مؤلفه الاستاذ الفاضل صديقتنا الشيخ أحمد زناقي ناظر مدرسة القبة الخديوية وأستاذ العلوم العربية والدينية بها قصد في هذا الكتاب « حفظه الله » الى بيان ما ترشد اليه آي القرآن من العقائد والعبادات والآداب الحسان ومن أجل هذا لحظته عين العناية من مولانا خديو مصر الاكرم وولي نعمتنا المعظم من بلغت رعيته بدولته الاماني أفندينا (عباس حلي باشا) الثاني أدام الله طالع سعده وأمتعته بأنجاله الكرام وولي عهده فأصدر « أيد الله دولته » أمره الكريم بطبعه على حساب خزانته الخاصة ابتغاء نشر العلوم الدينية في أنحاء الديار الاسلاميه أبقاه الله للعلم والفضل مؤيدا ولجيش الجهل والضلال مبددا فأخذ في طبعه بالمطبعة الاميرية مشمولا بنظر من عليه مكارم أخلاقه تثني جناب وكيل المطبعة عزتو محمد بك حسني وتم طبعه في أوائل ربيع الآخر من سنة ١٣٢٠ من هجرة من هو الانبياء ختام عليه وعلى آله وصحبه الصلاة والسلام ولما تم طبعه قلت مؤرخا

بأنهم أجمعوا جاءنا * يهدي الصراط المستقيم
بنيان الحسن الذي * أرى على الدر النظيم
وكتابه الحق الذي * صدق الحديث عن القديم
أرني كتابا مثله * ما زال صحيح من السقيم
فبه اعتصم فهو المتين * وغيره البالي الرميم
واقطع جراثيم الهوى * إن الهوى داء قديم
واسلم بدينك انه الدين الحنيف في القويم
دين الخليل وأحمد * وأخيه عيسى والكليم
صلى عليهم ربنا * ما صح في نظر الحكيم
بأنهم أجمعوا جاءنا * يهدي الصراط المستقيم

(فهرست كتاب الصراط المستقيم)

صفحة	صفحة
٤٨	٢ خطبة الكتاب
الصفة السادسة العلم ودليلها من	٥ الله
النقل والعقل	٧ الدين الاسلامي
٥٧	٨ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
الصفة السابعة الارادة ودليلها من	وما بعث به
النقل والعقل	١٠ القرآن الكريم وما اشتمل عليه
٦٧	١٣ كيفية انزال القرآن
الصفة الثامنة القدرة ودليلها من	١٤ أول ما أنزل من القرآن وآخر ما أنزل منه
النقل والعقل	١٥ ما يشتمل عليه القرآن - فائدة فيما
٨١	يشتمل عليه القرآن من السور والآيات
الصفة التاسعة الواحدانية ودليلها	والكلمات والحروف - وجوه إعجاز
من النقل والعقل	القرآن
٩٠	١٧ مقدمة في بيان حكم التشريع وما
الصفة العاشرة السمع ودليلها من السمع	يتضمن من الشرائع وما اشتمل عليه
٩٣	١٨ علم التوحيد وموضوعه ووضعه
الصفة الحادية عشرة البصر ودليلها	ووجه تسميته بذلك ومراتب التوحيد
من السمع	٢١
الصفة الثانية عشرة الكلام ودليلها	الصفة الاولى الوجود ودليلها من النقل
٩٦	والعقل
من السمع	٣٣
١٠٠	الصفة الثانية القدم ودليلها من النقل
الجائز في حقه تعالى	والعقل
١٠٤	٣٥
ارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام	الصفة الثالثة البقاء ودليلها من النقل
مع تهديد في بيان حكمة ارسالهم	والعقل
١١٠	٣٧
صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام	الصفة الرابعة مخالفته تعالى للحوادث
مع تهديد في بيان حال الرسل مع من	ودليلها من النقل والعقل
أرسلوا اليهم ولم أيدهم الله بالمعجزات	٤٥
ووجبت لهم هذه الصفات	الصفة الخامسة الحياة ودليلها من
١١٢	النقل والعقل
الصفة الاولى الصديق ودليلها من	
القرآن الكريم والعقل السليم	
١١٩	
الصفة الثانية الفطانية ودليلها من	
طريق العقل والسمع	
١٢٥	
الصفة الثالثة العصمة ودليلها من	
طريق العقل والسمع أيضا	

صفحة	صفحة
١٣١	الجائز في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام وما ورد في اثبات ذلك لهم سواء ما ورد بالشرع أو بالمشاهدة
١٣٣	رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكيف بلغها الناس وبم قابله عند ذلك
١٣٦	مبجزاته صلى الله عليه وسلم وتنوعها حسب استعداد الناس عند مجيئه
١٤٠	صلى الله عليه وسلم القسم الثاني في العبادات
١٤١	مقدمة - حقيقة العبادة
١٤٢	سرتكليف الانسان بالعبادة دون غيره من الحيوانات والجمادات والارض والسموات
١٤٤	الوسائل التي بها تكون العبادة
١٤٧	مرجوة القبول تبين الناس واختلاف درجاتهم في العبادة - أنواع العبادات - النوع الاول الصلاة
١٤٨	سر الصلاة وما اشتملت عليه من الفوائد والمنافع
١٥٣	كيفية الصلاة وما ينبغى أن يلاحظه المصلي عند أداء كل ركن وشرط من أعمالها - شروط الصلاة
١٥٦	هيئة الصلاة وما تشتمل عليه من الاركان وما ينبغى أن يلاحظه المصلي عند أداء كل ركن من أركانها
١٦١	فصل فيما تقدم الصلاة من الاذان والاقامة
١٦٣	في بيان أنه لا اعتداد بصورة الصلاة الظاهرية وانما المعتمدة أثرها
١٦٤	في بيان أن الصلاة تغير الطباع الثابتة من أخس الاخلاق الى أجل الاخلاق وتمنح صاحبها فضيلة الثبات وقوة العزيمة
١٦٦	في بيان أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر
١٦٧	في بيان أن الصلاة لا تكون سبب الفلاح الا باصطحاب الخشوع في جميع أقوالها وأفعالها مع المحافظة على أداؤها في أوقاتها المعينة لها
١٧٥	جزاء تارك الصلاة وما جاء في اثبات ذلك من الآيات والدلائل الواضحات
١٨١	أوقات الصلوات المفروضة وحكمة تخصيص هذه الاوقات بالتعيين وما جاء في بيانها من القرآن الكريم
١٨٥	شروط الصلاة وما جاء في بيانها من الآيات
١٩٥	صلاة الجمعة والجماعة وحكمة مشروعيتهما
١٩٨	صلاة القصر وما ورد في بيانها من القرآن
٢٠٠	صلاة الخوف وبيانها من القرآن
٢٠٣	صلاة الجنازة وكيفيةها
٢٠٤	صلاة العيدين - النوع الثاني من أنواع العبادات الصوم وما اشتمل عليه من الاسرار والحكم والفوائد والمنافع

تصنيفه	تصنيفه
٢٥٥ الأدب مع الله عز وجل	٢١٤ فضل الصوم
٢٦٣ الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم	٢١٥ النوع الثالث الزكاة وحكمته
٢٧٥ أدب المرء في نفسه	مشروعاتها وما اشتملت عليه من أعظم
٢٩٢ آداب المعاملة والمعاشرت مع مصنف	الفوائد وأجل المنافع
الخلق	٢٢٣ فضل الزكاة
٣٠٤ الأدب في الزيارة	٢٢٦ جزاء مانع الزكاة
٣١١ الأدب في المجالسة	٢٢٨ أنواع الزكاة وبيانها من القرآن الكريم
٣١٣ الأدب في المحادثة	٢٣١ بيان من تصرف أهم الزكاة
٣٢٢ الأدب في الأكل والشرب	٢٣٣ زكاة الفطر - النوع الرابع الحج
٣٢٩ حكمة التغليب والتشديد في حرمة	وحكمة مشروعاته وبيان فوائده
الربا والتعامل به	ومنافعه
٣٣٢ أدب الولد مع والديه	٢٤٠ في بيان أعظم أركان الحج وهو الوقوف
٣٤٣ صلاة الرحم وحكمة حث الشارع عليها	بعرفة والحث على التلبية والتكبير
والتشديد في أمرها والتخدير من قطعها	عند المشعر الحرام
٣٤٩ الاتحاد والاختلاف وما يترتب عليهما	٢٤٢ بيان الركن الثاني من أركان الحج
من المودة والولاء	وهو السعي بين الصفا والمروة
٣٥٨ الاستقامة	٢٤٤ بيان أنواع الدم الواجب في النسك
٣٦٢ الاقتصاد وما يترتب عليه من الاسعاف مع	بأي سبب كان
ذم الاسراف والتبذير والبخل والتقتير	٢٤٧ بيان أشهر الحج ومحظوراته
٣٦٩ الثبات في الأعمال وقوة العزيمة فيها	٢٤٨ بيان بعض محظورات الحج وبيان
٣٧٧ التعاون على الخير والمساعدة في فعله	كفارته
٣٨٠ حب العمل وفضيلة الاجتهاد	٢٥١ بيان فضل الحج وطواف الزيارة وهو
٣٨٨ بالعدل استقام الملائكة والدين	أحد أركان الحج وآخر أعماله
٣٩٠ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر	٢٥٢ القسم الثالث في الآداب ومكارم
٣٩٢ التكافل العام لجميع المسلمين	الاخلاق
٣٩٣ الاحسان يسترقى الانسان	٢٥٥ تمهيد في بيان وجوب الاخذ بالآداب
٣٩٥ المسارعة الى فعل الخيرات	الشرعية مع عدم المبالاة بانتقاد
	الغير من لم يأخذ به هذه الآداب